روايات
مصرية للجيب



ملف المستقبل

٧٦

الاحتلال



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ الخطــر ..

من أعمق أعماق الفضاء جاء ..

من خلف ملايين المجرّات ، ومليارات النجوم أتى ..

ووسط ظلام سرمدىّ انطلق ..

ونحو هدف محدود ، اتجه ..

كان يعبر أجواز الفضاء ، ويشق طريقه بين النجوم والكواكب ، من أجل هذا الهدف ..

من أجل الأرض ..

كوكبنا ..

ذلك الكوكب المأهول ، الذى يحتل المركز الخامس ، فى مجموعتنا الشمسية ، من حيث الحجم ، والمركز الثالث من حيث ترتيب قُربه من الشمس ..

ذلك الجرم الفضائىُ ، الذى تغطيه قشرة يابسة ، تشمل القارات ، وأحواض البحار والمحيطات ، ويحيط به غلاف غازىّ ، تقلُّ كثافته بصفة عامة كلما ازداد بعدًا عن السطح ..

الأرض ..

أرضنا ..

وفى صمت وهدوء ، راح الخطر يقترب من الأرض ..

وهناك ، على سطحها ..

حيث الحياة والهدوء والسلام ..

حيث يرتفع علم (مصر) ..

هناك بدأت القصة ..

قصة الاحتلال ..

* * *

ساد هدوء محبب إلى النفس ، فى تلك البقعة من صحراء (مصر) الغربية ، حيث أقيم أكبر وأضخم مركز فى العالم أجمع ، للاستشعار الفضائى والإرسال الكونى ، بعد أن اقتحمت (مصر) عصر الفضاء ، مع بداية القرن الحادى والعشرين ، وبزت كل من سبقها فى هذا المجال من قبل ..

وفى تلك الليلة بالذات ، كان كل شىء يدعو إلى الهدوء والاستكانة ..

القمر يملأ السماء ، بقرصه الفضى المستدير ، ويلقى ضوءه على رمال الصحراء ، فتتألق بذورها كحبات من اللؤلؤ ، تكدس بعضها فوق البعض ، وتزاحمت لتحوز النصر ، فى معركة بلا هدف .

وسكنت الرياح ، إلا من نسمات رقيقة حانية ، تهمس فى الآذان ، وتداعب خصلات الشعر ..

وتراخت الجفون وتكاسلت ، مع نشوة الموقف ، وروعة الصورة ..

وفى حجرة المراقبة الرئيسية ، جلس ثلاثة من العلماء الشبان ، يتابعون عددًا من الشاشات الفيروزية ، التى تعمل ليل نهار بلا انقطاع ، لالتقاط أية إشارات منتظمة ، قد تأتى يومًا من الفضاء البعيد ، فتنبئ بوجود حضارة فضائية أخرى ، فى جنبات الكون الشاسعة ..

وبتكاسل وتراخ ، غمغم أحدهم ، وهو يبتسم ابتسامة منتشية هادئة :

ـ يا لها من ليلة !!

تمتم الثانى ، فى لهجة بدت أشبه بالتثاؤب :

ـ رائعة !!

أما الثالث ، فقد التفت إليهما ، وابتسم ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ثم عاد يتطلع إلى الشاشات فى تراخ ، شأن من لا ينتظر ، أو يتوقع أبدًا ، حدوث أى أمر غير مألوف ..

وبنفس الهدوء والتراخى ، عاد الأول يغمغم :

— أتذكرون متى كانت آخر مرّة ، تلقّينا فيها إشارات منتظمة من الفضاء الخارجي ؟

تمتم الثانى :

— منذ خمسة أعوام .

ثم ابتسم ، مستطردًا :

وثبت بعدها أنها مرسلة من سفينة فضائية أرضية ، ضلّت طريقها .

أطلق الثالث ضحكة قصيرة ، ثم عاد إلى صمته ، على حين قال الأوّل ، وقد بدأ صوته يحمل نغمة حماسية خافتة :

— ولكننى واثق من أننا سنتلقّى يومًا إشارات من الفضاء الخارجى ، ويومها سنتأكّد من وجود حضارة عاقلة ، ترغب فى عقد أواصر الصداقة مع حضارة كوكبنا .

هزّ الثالث كتفيه ، وهو يغمغم فى لامبالاة :

— ربّما .

لم يكد ينطق بعبارته ، حتى انبعث فجأة ، من الشاشة المواجهة له ، أزيز متقطّع سريع ، وظهرت نقطة مضيئة من طرف الشاشة ، اندفعت فى سرعة نحو الطرف الآخر ، فى مسار متراقص متقافز خاطف ، واختفت هناك ، لتظهر مرّة أخرى من الطرف الأوّل ..

وهنا دبّ نشاط مفاجئ قوىّ ، فى عروق العلماء الشبان الثلاثة ، فهبّ كل منهم من مقعده ، وشخصت أبصارهم شطر الشاشة الفيروزية ، ووجوههم تحمل مزيجًا عجيبًا من الدهشة والحماس والتساؤل ، قبل أن يهتف الأوّل :

— يا إلٰهى !!.. لقد أتت أخيرًا .

وراح الثالث يرتجف فى انفعال ، وهو يشير إلى الشاشة ، قائلًا :

— انظر .. إنها إشارات منتظمة مدروسة ، تزداد قوّةً فى كل لحظة ..

إنها هى .. إنها تلك التى نتلهّف إليها منذ خمس سنوات .

لوّح الأوّل بذراعيه ، وهو يهتف فى حماس :

— دوّن هذه اللحظة أيها التاريخ ، دوّن لحظة اتصال أول حضارة عاقلة بنا ..

غمغم الثانى فى تردُّد وحذر :

— مهلًا .. ربما كانت إشاراتنا نحن .. مَنْ يدرى ؟

هتف الثالث :

— كلّا .. إنها إشارات تختلف .

ثم أشار إلى شاشة أخرى ، مستطردًا فى انفعال :

— دعونا نستشر الكمبيوتر .

وانتقلت أصابعه بنفس الانفعال ، إلى لوحة الأزرار ، المتصلة بالشاشة الأخرى ، وراح يضغطها فى سرعة ، فانبعث من بُوق غائر فى تجويف خاص ، إلى جوار الشاشة ، ذلك الصوت المعدنى للكمبيوتر ، وهو يقول :

— إشارة من مصدر غير بشرى ، منتظمة بشكل تام التوافق ، زمنيًا ، وإيقاعيًا ، تأتى من مسافة تقدَّر بمليونى ميل ، خارج حدود الغلاف الجوىّ الأرضى .

هتف الثانى فى دهشة :

— مليونى ميل ؟!.. عجبًا !!.. إنها مسافة قريبة للغاية ، بالنسبة للفضاء ، وهذا يعنى أنه من الممكن أن نرى ذلك الشىء ، الذى يبعث بالإشارة ، بواسطة المرصد العادى .

انتقل الثلاثة إثر كلمته ، إلى شاشة ثالثة ، حيث ضغط الأوَّل زرًّا فيها ، فأضيئت على الفور ، وبدت فوقها صورة للفضاء بظلامه ونجومه ، وأسرع يوصلها بمعطيات الكمبيوتر ، وإحداثياته ، فانتقل المشهد فوقها فى سرعة ، وراح يشق الفضاء الصامت حتى توقَّف عند مجموعة من النيازك ، تنطلق فى الفضاء ، وراح يتابع حركتها فى توافق هادئ ، فهتف الأوَّل ، وقد سرت فى جسده موجة من خيبة الأمل :

— نيازك ؟!

عقد الثالث حاجبيه ، وهو يقول فى حَيْرة :

— عجبًا !!.. وما الذى يصدر تلك الإشارة منها ؟

وعاد يتطلَّع إلى شاشة الاستشعار ، التى ما زالت الإشارات تجرى فوقها ، ثم استطرد فى مزيد من الحَيْرة :

— إنها أشبه بنبضات حيَّة .

تطلَّع زميلاه إلى الشاشة بدوْرهما ، ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن يهتف أحدهما فى ذُعْر :

— يا إلهى !!.. دعكما من الإشارات الآن ، فهناك ما هو أكثر خطورة .

تطلَّع إليه زميلاه فى دهشة ، فاستطرد وهو يرتجف :

— إن هذه النيازك بالغة الضخامة ، وازدياد قوة الإشارات التدريجى ، بالإضافة إلى ذلك المسار ، يشيران إلى نقطة مخيفة .

وشحب وجهه ، وهو يردف فى هلع :

— إن تلك النيازك سترتطم بالأرض .. سترتطم بها حتمًا .

* * *

٢ — النهاية ..

« بعد ثلاثة أيام ؟!.. » ..

نطقها (نور) فى مزيج من الدهشة والجزع ، وهو يحدّق فى وجه الدكتور (عبد الله) مدير إدارة الأبحاث ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية ، الذى ارتسم عليه الأسف والتوتّر بأبلغ صورهما ، وهو يهزّ رأسه مؤيدًا ، قائلًا :

— نعم يا (نور) .. ثلاثة أيام فحسب ، وتتلقّى الأرض أعنف ضرباتها .. بل لن أكون مبالغًا ، لو قلت إنها ستتلقّى الضربة القاضية .

لوّح (نور) بكفّه ، وهو يهتف :

— ولكن هذا مستحيل !!.. هناك عشرات النيازك ، التى تخترق غلافنا الجوّى ، منذ بدء الخليقة ، ولكن أحدها لم يهدّد كيان الأرض حتى الآن .

تمتم الدكتور (عبد الله) فى مرارة :

— لم يكن أحدها يمثل هذه الضخامة يا ولدى ، ولا يمثل هذه السرعة .

والتقط من فوق مكتبه عددًا من الصور ، وراح يرصّها أمام عينى (نور) ، وهو يستطرد فى ألم :

— انظر .. ها هى ذى الصُّوَر ، التى التقطها مَرْصَد حلوان ، والتى توضح كيان تلك القافلة الهائلة من النيازك .. انظر .. إنها تبدو من بعيد ، كما لو كانت ثلاثة نيازك ضخمة ، يبلغ حجم الواحد منها حجم مدينة كبرى ، ولكن المزيد من الاقتراب يوضّح أنها مجموعة هائلة من النيازك ، متلاصقة على نحو عجيب ، فى ثلاث مجموعات ضخمة .

تمتم (نور) فى توتّر :

— ربما ساعد هذا على تفتّتها ، عند عبُورها غلافنا الجوى ، واحتراق معظمها ، أو .....

قاطعه الدكتور (عبد الله) :

— لقد درس علماؤنا هذا الاحتمال يا (نور) ، ولكن النتائج كانت أكثر إثارة للرعب ، فقد وجدوا أنه ، مع تلك السرعة الفائقة ، والضخامة المذهلة ، ستتشتّت فى عنف ، وتتسع دائرة انتشارها فى شدة ، مع احتراق مالا يزيد على عشرة فى المائة منها ، وهذا يعنى أنها ستغطى نصف الكرة الأرضية تقريبًا .

امتقع وجه (نور) ، وتراقصت عضلاته فى توتر بالغ ، وهو يحاول أن يطرد من ذهنه تلك الصورة البشعة لكوكبه ، وهو يتحطّم إثر وابل من أمطار نيزكية قاتلة ..

وانقبض قلبه فى مرارة ..

وبكت أعماقه ..

كم يكره الدمار !!..

كم يمقت العنف والأذى !!..

وبكل ماتحمله أعماقه من مرارة ، غمغم (نور) :

ـــ هناك حل .

ثم ارتفع صوته فى حِدّة ، وهو يستطرد متوترًا :

ـــ حتمًا هناك حل .

تنهّد الدكتور (عبد الله) ، وقلّب كفّيه فى مرارة ، وهو يقول :

ـــ كيف ياولدى ؟.. كيف .. لقد قلّبنا الأمر على كل الوجوه ، وقتلناه بحثًا ودراسة ، ولكننا لم نجد هذا الحل .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى يأس :

ـــ لقد فكّرنا حتى فى ضرب النيازك بالصواريخ ، ذات الرءوس النوويّة ، ولكننا وجدنا أن هذا سيزيد من انتشارها وتشتّتها فحسب .

غمغم (نور) فى شحوب :

ـــ يا إلهى !!

وبعدها عجز عن أن ينطق كلمة واحدة ..

لقد نشأت فى حلقه غُصّة ، منعته من أن يتفوّه بحرف واحد ..

غُصّة مؤلمة مريرة ..

وبمقاومة هائلة ، خرج من بين شفتيه صوت شاحب مختنق متحشرج ، يقول :

ـــ أهِى النهاية ؟

زفر الدكتور (عبد الله) ، وقال فى مرارة :

ـــ يبدو أنها كذلك يا (نور) .

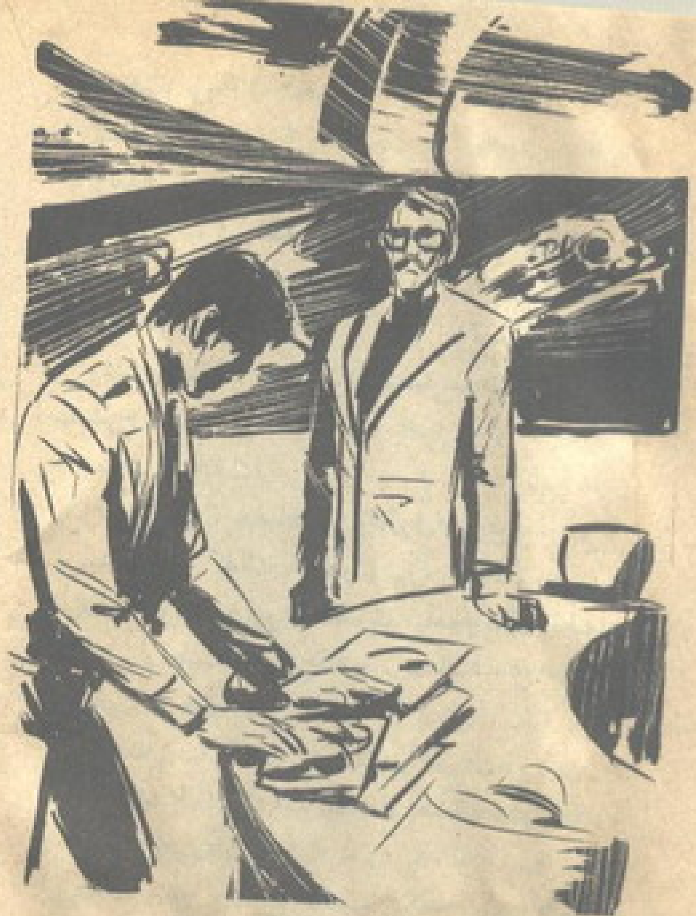
شحب وجه (نور) لحظات ، أمام ذلك الجواب المروّع ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، استعاد عناده وصرامته ، وهو يقول فى حزم :

ـــ خطأ .

تطلّع إليه الدكتور (عبد الله) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ ماذا تعنى يا (نور) ؟

ضرب (نور) سطح المكتب بقبضته ، وهو يقول فى حزم :



شحب وجه (نور) لحظات ، أمام ذلك الجواب المروّع ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ..

— أقول إن هذا خطأ .. لن ينتهى العالم الآن ، ولدىّ دليل لا يقبل الشك .

سأله الدكتور (عبد الله) ، وقد اختلطت دهشته بلهفة حقيقية ، لمعرفة الجواب :

— أى دليل يا (نور) ؟

أشار (نور) إلى صدره ، هاتفًا :

— نحن .. أعنى أنا وفريقى .. فلقد انتقلنا فى إحدى مغامراتنا إلى المستقبل(*) ، وكانت الأرض موجودة متقدّمة حينذاك ، وهذا يعنى أنها لن تنتهى فى هذا العصر .

هزّ الدكتور (عبد الله) رأسه نفيًا ، وقال فى مرارة :

— هذا ليس دليلًا ياولدى ، فلن تكون تلك الكارثة بأضخم من فيضان (نوح) ، الذى أباد العالم كله ، إلا قليلًا ، وعلى الرغم من ذلك ، فقد بقى العالم ، واستعاد حضارته .

تمتم (نور) فى اعتراض متخاذل :

— ولكنهم كانو يعرفوننا ، و .....

لم يتمّ عبارته ، لأنها بدت له ضعيفة سخيفة ، فابتلعها فى صمت ، وأعقبها الدكتور (عبد الله) بزفرة قويّة ، قبل أن يندفع إليه أحد رجاله ، هاتفًا :

— سيّدى .. لقد حدث أمر بالغ الغرابة !!

(*) راجع قصة (عبر العصور) .. المغامرة رقم (٥٤) .

— سيّدى .. لقد حدث أمر بالغ الغرابة !!

التفت إليه (نور) فى دهشة ، فى حين انتفض الدكتور (عبد الله) ، وهتف :

— أى أمر هذا ؟

هتف الرجل :

— النيازك ياسيّدى .. لقد زادت سرعتها إلى عشرة أضعاف ، حتى أنها قد تجاوزت سرعة الضوء بغتة .

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول :

— ازدادت سرعتها ؟!.. سرعة الضوء ؟!

ثم هبّ من مقعده ، صائحًا :

— واصلوا مراقبتها .. ادرسوا تلك الحالة العجيبة .. أريد تقريرًا عاجلًا ، من طاقم علماء الفضاء ، و .....

قاطعه الرجل فى توتّر بالغ :

— إنهم أكثر حيرة منا ياسيّدى ، فهم يؤكّدون أن سرعة النيازك تتزايد ، عند اقترابها من أى كوكب مأهول ، نظرًا لجذب الكوكب لها ، إلا أنها أبدًا لاتبلغ هذا القدر من السرعة ، الذى يحتاج إلى وقود خاص .

هتف (عبد الله) فى عصبيّة :

— ولكن من الضرورى أن ندرس كل شئ عن تلك النيازك ؛ لنفهم على الأقل ، ما الذى يعنيه اختراقها لسرعة الضوء ؟!

أجاب (نور) فى صوت متوتّر :

— يعنى أنها تعبُر حاجز الزمن .

التفت إليه الدكتور (عبد الله) ، وهو يهتف فى دهشة :

— حاجز ماذا ؟

أجابه (نور) فى توتّر مضاعف :

— حاجز الزّمن يادكتور (عبد الله) .. نظرية (أينشتين) القديمة .. لقد حدث ذلك لفريقى يومًا ، وَعَبَرْنا حاجز الزمن إلى الماضى(*).

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) فى دهشة ، وهو يقول :

— ولكن (لماذا) ؟.. لماذا يحدث هذا ؟

تردّد (نور) لحظة ، ثم هزّ كتفيه ، مغمغمًا :

— لست أدرى .. مازال الأمر يبدو غامضًا .

وهنا اندفع رجل آخر إلى المكان ، وكان يرتجف فى قوّة ، ويعانى شحُوبًا مخيفًا ، وهو يقول :

— سيّدى .. إنها النهاية .

حدّق الدكتور (عبد الله) فى وجهه فى ارتياع ، وهو يقول :

— أيّة نهاية يارجل ؟

— هتف الرجل فى انهيار :

(*) راجع قصة (ثقب فى التاريخ) .. المغامرة رقم (٤٣) .

— النيازك .. لقد .. لقد ظهرت بغتة ، عند غلافنا الجوّى .. ستهوى فوق رءوسنا بعد لحظات .

* * *

كانت مفاجأة مُذهلة بحق ..

مفاجأة ألجمَ لها لسان (نور) ، والدكتور (عبد الله) ..

وفجأة ، هتف الأوّل :

— ربّاه .. إنها لم تمنحنا حتى فرصة الدفاع .

وقفز الثانى يضغط زرّ الراصد ، ثم تراجع ، هاتفًا فى ارتياع :

— يا ربُّ السموات !!.

فقد كانت شاشة الراصد تنقل مشهدًا رهيبًا ..

آلاف النيازك تخترق الغلاف الجوّى الأرضىّ ..

كتل من النيران تعبُر المجال ..

السماء تمطر لهبًا ..

هتف الدكتور (عبد الله) فى ارتياع :

— إنها النهاية .. إنها النهاية ..

ولكنه كان مخطئًا ..

لم تكن النهاية ..

كانت البداية ..

* * *

٣ — الغزو ..

كان الجميع يتوقّعون صدمة هائلة ..

ارتطامًا رهيبًا ، وبعده تفنى الحضارة ..

كانوا يتوقّعون نهاية مخيفة ..

نهاية تأتى على حين غِرّة ، فتسلبهم حياتهم وحضارتهم وماضيهم ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد تفرّقت النيازك ، وتشتّتت حقًّا ، عند عبورها الغلاف الجوىّ للأرض ، فانتشرت لمساحة هائلة ، غطّت قارات الأرض الست دفعة واحدة ..

ولكن مخلوقًا واحدًا ، على الأرض بأسرها ، لم يُصب بأدنى ضرر ..

جسديًا على الأقل ..

كل النيازك — على الرغم من أعدادها الهائلة — هبطت فى مناطق غير مأهولة من القارات الست .

من (أستراليا) إلى (أمريكا الجنوبية) ..

كل بقعة خالية من الأرض ، هبطت فيها بعض النيازك ..

حتى البحار والمحيطات ..

حتى الارتطام ، لم يكن قويًا ..

لقد انخفضت سرعة النيازك بغتة ، كأنما كانت هناك قوى مخيفة تحرّكها ، وهبطت كلها على الأرض فى لحظة واحدة ، وهدوء تام ..

ثم ساد الصمت ..

كانت لحظة رهيبة ، من لحظات التاريخ ..

لحظة صمتت فيها الأرض كلها ..

كلها بمعنى الكلمة ..

كل مخلوق على وجه الأرض حبس أنفاسه فى انفعال ..

ثم انفجر الجميع دفعة واحدة ..

كانت فرحتهم عارمة قويّة جارفة ..

فرحة المحكوم عليه بالإعدام ، عندما يصدر لصالحه عفو شامل تام ، قبل لحظة واحدة من التفاف حبل المشنقة حول عنقه ..

وراح الجميع يتبادلون التهنئة ، وكلمات السعادة والارتياح ..

فيما عدا رجلًا واحدًا ..

(نور) ..

وحده كان يشعر بالخطر ..

وحده كان يشعر أن هذا الأمر مُريب ..

وحده كان يشعر أنه مخيف رهيب ..

ووسط فرحة النجاة العارمة ، أمسك ذراع الدكتور (عبد الله) فى قوّة ، يسأله فى توتُّر :

ــ قُل لى .. كيف حدث هذا ؟

هتف الدكتور (عبد الله) ، وهو يلوّح بذراعيه فى فرح :

ــ دعك من كيف حدث .. المهم أننا قد نجونا يافتى .

صاح به (نور) فى حِدّة :

ــ مَنْ قال هذا ؟

توقّف الدكتور (عبد الله) وتطلّع إليه فى دهشة ، مغمغمًا :

ــ ماذا تعنى ؟

هتف وهو يشير إلى شاشات الراصد :

ــ أعنى أنه من المفروض أن يولّد فينا ما حدث مزيدًا من القلق والخوف ، فهل رأيت فى حياتك كلها ، أو قرأت ، أو سمعت عن نيازك ، تهبط فى هدوء ، كما لو كانت سفن فضاء ؟



اندفع وخلفه (نور) ، إلى شاشة كمبيوتر ضخمة ، ضغط أحد أزرارها في خفة فارتسمت فوقها خريطة كاملة للكرة الأرضية ..

اتسعت عينا الدكتور (عبد الله) ، وهو يقول في ذُعر :

ـ ماذا ؟!..

وتسمَّر في مكانه لحظة ، ثم هتف في ارتياع :

ـ اللَّعنة !! هذا صحيح .. كيف حدث هذا حقًا ؟

هتف به (نور) :

ـ سَلْ نفسك .

عاد الرجل يتطلَّع إليه في هلَع ، ثم هتف :

ـ بل دعْنا نسأل الكمبيوتر .

اندفع وخلفه (نور) ، إلى شاشة كمبيوتر ضخمة ، ضغط أحد أزرارها في خفة ، فارتسمت فوقها خريطة كاملة للكرة الأرضية ، وبضغطة زرٍّ أخرى ، راحت آلاف النقاط المضيئة تظهر فوقها ، فعقد الدكتور (عبد الله) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !!.. كل النيازك ـ بلا استثناء ـ هبطت في أماكن غير مأهولة .

سأله (نور) في توتُّر :

ـ أيبدو لك ذلك طبيعيًا ؟

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلًا :

ـ على العكس .. إنه يبدو مريبًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في حِدَّة :

ـ ومخيفًا كذلك .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وقال فى حزم :

ـ لو أننى تركت لخيالى العنان ، فيمكن القول ، بلا تردُّد ، إنها ليست نيازك .

ازدرد الدكتور (عبد الله) لعابه فى صعوبة ، وغمغم :

ـ ما هى إذن ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم عاد يقول بمزيد من الحزم :

ـ مَنْ يدرى يا دكتور (عبد الله) ؟.. مَنْ يدرى ؟.

وفجأة ، شقت شهقة قويَّة المكان ، وبعثت رجفة فى أجساد الجميع ، قبل أن يهتف الدكتور (عبد الله) فى توتُّر بالغ :

ـ ماذا هناك ؟

صاح مراقب الراصد فى شحُوب :

ـ سيدى .. انظر !.. انظر ماذا يحدث هناك !!

أسرع الجميع إليه ، والدكتور (عبد الله) يهتف فى عصبيَّة :

ـ ماذا تعنى بهناك ؟

هتف الرجل فى توتُّر :

ـ فى أقصى الصحراء الغربية يا سيِّدى .. حيث هبط أكبر عدد من النيازك ..

انظر .

ساد صمت مفاجئ ، والجميع يتطلَّعون إلى الشاشة ، التى تنقل صورة الصحراء ، والنيازك الضخمة ، المستقرَّة على رمالها فى سكُون ..

وحول النيازك ، راحت سحابة ورديَّة تنتشر فى بطء ..

سحابة هادئة ، ناعمة ..

سحابة تصنع فى بطء ، ما يشبه قبَّة وَرْديَّة ، تخفى تحتها خمسة من النيازك ..

بالتحديد خمسة ..

وفى كل أنحاء العالم ، كان الشىء نفسه يحدث ..

سحب ورديَّة تحيط كل خمسة نيازك بقبة واحدة ..

وتمتم الدكتور (عبد الله) فى خوف :

ـ ما هذا بحقّ السماء ؟

أجابه (نور) فى توتُّر مماثل :

ـ غزو !!

التفتت إليه كل العيون فى رُعب ، إلَّا أنه استطرد فى حزم :

ـ ألا يبدو لكم هذا واضحًا ؟. إنه غزو .. غزو من الفضاء الخارجىّ .

* * *

٤ ـ وبدأت المأساة ..

ساد الهرج والمرج ، فى قاعة مجلس الأمن ، بمبنى الأمم المتحدة ، حيث اجتمع مندوبو دول العالم ؛ لمناقشة أمر تلك القباب الورديّة المخيفة ، التى غمرت العالم كله دفعة واحدة ، واضطر رئيس الجلسة أن يضرب سطح منصّته بمطرقته ، هاتفًا :

ـ مهلًا أيها السادة .. مهلًا .. شجاركم هذا لن يحلّ شيئًا من الأمر .. إننا نواجه الآن مشكلة عامّة ، تهم العالم أجمع ، فالتزموا الهدوء .

نهض مندوب الاتحاد السوفيتى ، هاتفًا :

ـ إنه ليس شجارًا .. إننى أتحدّث عن حقائق ، وأتّهمُ الولايات المتحدة الأمريكية رسميًا ، بأنها وراء كل هذا .

لوّح مندوب الولايات المتحدة الأمريكية بذراعه ، وهو يهتف فى لهجة تجمع ما بين الغضب الجارف ، والسُّخرية اللاذعة :

ـ هل لك أن تفسر لى إذن أيها الرفيق ، السبب الذى

يدفعنى إلى الجلوس هنا ، والاستماع إلى سخافاتك ، فى حين تملك دولتى سر تلك القباب الورديّة ، التى تنتشر فى العالم أجمع ، والتى يقف الجميع عاجزين أمامها ؟..

ران الصمت التام على المكان إثر عبارته ، وارتسمت الخيبة على الوجوه ، إزاء منطقيتها ، بعد أن كان الأمل قد راود الجميع ، فى أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية هى المسئولة عن كل ذلك حقًا ، مما يقلّل من حجم الخوف والقلق ، إلا أن المندوب الأمريكى لم يلبث أن استطرد فى حنق :

ـ لقد واجهتم جميعًا تلك القباب الورديّة ، وجابهتموها بكل ما لديكم من قوى ، فماذا حدث ؟

لم ينبس أحدهم ببنتِ شفة ، فأردف فى حدّة :

ـ نحن هاجمناها بالدبابات الذريّة ، ومدافع اللّيزر ، والسوفيت أطلقوا على بعضها صواريخ ذات رءوس نوويّة ، وفى (مصر) جابهوها بموجات ارتجاجية .. وفى (الجزائر) ، و (المغرب) ، و (عُمان) ، و (الأردن) .. فى كل دول العالم تقريبًا .. وماذا كانت النتيجة ؟

انتظر أن يسمع جوابًا ، ولكن الصمت ظلّ مسيطرًا على الجميع ، فعاد يتابع فى مرارة :

ـــ هزيمة .. هزيمة نكراء .

وأطلق من أعمق أعماقه زفرة هائلة ، قبل أن يردف :

ـــ كلنا فشلنا وخسرنا .. كلنا عجزنا .

واستعاد صوته حِدَّته بغتة ، وهو يهتف :

ـــ لماذا ؟!.. سلوا أنفسكم : لماذا ؟.. الجواب أيها السادة ـــ وبكل صراحة ووضوح ـــ هو أننا لانملك القوّة الكافية لصدّ هذه القباب ، التي لاندرى عنها ، وعن مكوّناتها ، وعن فحواها شيئًا .. إنها ـــ باختصار ـــ سلاح هائل ، لتعجز كل قوانا ، وتكنولوجيتنا المتطوّرة ، فى القرن الحادى والعشرين عن صدّه ، والدولة التى ستمتلك هذه القوّة ، سيمكنها ـــ ببساطه ـــ أن تسيطر على العالم أجمع ، وتحكمه .

وعاد صوته ينخفض فجأة ، وهو يستطرد :

ـــ فلماذا لم يحدث هذا ؟

ارتسمت الحَيْرة على الوجوه ، وسط صمت مُطْبَق ، قطعه صوته ، الذى عاد يهدر من جديد ، هاتفًا :

ـــ سأخبركم أنا لماذا .. لأنه لاتوجد دولة واحدة ، فى كوكب الأرض كله ، تمتلك مثل تلك القوّة ، التى هى ـــ كما هو واضح ـــ من خارجنا .

وبدا صوته قويًا ، كقرع ملايين الأجراس ، وهو يردف فى حزم :

ـــ من خارج كوكب الأرض ..

* * *

« (نور) ... إنك ترعبنى » ..

هتفت (سلوى) بهذه العبارة فى صوت مرتجف ، وهى تحدّق فى وجه (نور) فى خوف ، متمنّيةً أن يبدو عليه مايشير إلى أنه يمزح ، إلّا أنه بدا جامدًا ، وهو يقول :

ـــ هذا هو التفسير الوحيد يا (سلوى) .. إنها طليعة غزْو فضائىّ .

شَحُب وجهها فى شدة ، وهى تهتف :

ـــ ولكن يا (نور) !.. يا إلٰهى !!.. ما دمنا نعجز عن صدّ تلك المحاولات الأولى ، فهذا يعنى أننا سنخسر معركتنا وأرضنا .. سنخسرهما حتمًا .

تمتم فى ضيق ، وهو ينطلق بسيّارته ، عائدًا إلى منزلهما :

ـــ هذا القول سابق لأوانه يا (سلوى) .. إننا لم نجزم بصحة هذا الافتراض بَعْدُ .

قالت فى توتُّر :

— ولكن لماذا يسود ذلك السكون ؟!.. لقد هبطت تلك النيازك الغامضة ، التى أحيطت بالقباب الوردية على أرضنا ، منذ ثلاثة أيام ، وطوال تلك المدة لم يحدث شىء .. أى شىء .. إن قواتنا تحاصر القباب الوردية ، وكذلك قوات كل دول العالم تقريبًا ، فما الخطوة التالية ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى خفوت :

— الهجوم .

خيل إليها أنها لم تحسن فهم الكلمة ، فعادت تسأله فى شىء من الجزع :

— ماذا ؟

ارتفع صوته ، وهو يقول فى حدة :

— الهجوم .

امتقع وجهها ، وهى تغمغم فى ارتياع :

— يا إلهى !!.. هجوم ؟!

قال فى عصبية :

— نعم .. هجوم شامل عنيف .. هجوم يبدأ بعد أن ينتهى هؤلاء الأوغاد من دراسة كل ما يتعلق بمناخنا وقدراتنا ، من داخل قبابهم الوردية اللعينة .

ازداد امتقاعها ، وهى تهتف :

— (نور) !!.. أتعنى أن تلك النيازك .....؟

لم ينتظر حتى تكمل سؤالها ، بل أجاب فى حدة :

— نعم .. إنها سفن فضائية خارجية ، تنكرت على هيئة مجموعات من النيازك ، حتى تعبر غلافنا الجوى أولًا .. إنه غزو يا عزيزتى .. غزو فضائى شامل .

* * *

كل العالم سادته تلك الممزوجة من القلق والتوتر والخوف ..

كل العالم راح يستنتج ويستنتج ..

كله راح يرتجف ..

النقطة الوحيدة ، التى اتفق عليها الجميع ، هى أن كل هذا قد جاء من بعيد ..

من الفضاء الخارجى ..

من نقطة مجهولة ، فى ذلك الفراغ السرمدى ..

وفى توتر بالغ ، وقلق رهيب ، وخوف عارم ، راح العالم ينتظر الخطوة التالية ..

ولقد جاءت ..

جاءت بغتة ..



ولم يهبط هذا النيزك على سطح الأرض ..
— لقد توقف فى الفضاء على ارتفاع بضعة آلاف من الكيلومترات ..

ففى السادسة من صباح اليوم الرابع ، من الغزو الصامت ، التقطت المراصد الفضائية فى العالم أجمع صورة نيزك هائل ، يقترب بدوره من كوكب الأرض ..

فى هذه المرة كان كتلة واحدة ، وليس مجموعة من النيازك كذى قبل ..

ولم يهبط هذا النيزك على سطح الأرض ..

لقد توقف فى الفضاء ، على ارتفاع بضعة آلاف من الكيلومترات عن سطحها ، وبقى صامتًا ساكنًا ..

ومن العجيب أن دولة واحدة لم تطلق نحوه مدافعها الليزرية ، التى اكتظت بها تلك الأقمار الصناعية الدفاعية ، التى احتشدت حول الأرض ..

كان هائلًا ، حتى أن الجميع قد خشوا من ردّ الفعل ، فآثروا الصمت والانتظار ، خشية التورُّط فى عمل لاتُحمد عقباه ..

وفجأة ، التقطت أجهزة الاستقبال ، فى العالم أجمع ، رسالة غامضة ..

رسالة بلغة غير مفهومة أو معروفة ..

وهنا حدث ما ارتجف له العالم أجمع ..

لم تكد تلك القباب الورديّة تتلقّى الإشارة الغامضة ، حتى تحوّل لونها فى بطء ، من الورديّ إلى الأزرق ..

كان اللون الأزرق ينتشر من قاعدة القباب إلى قمتها فى بطء ، كما لو كان ضبابًا متصاعدًا ..

وعندما اكتمل التحوّل ، فُتحت أبواب القباب دفعة واحدة ، فى كل أنحاء العالم ..

وبدأت المعركة ..

معركة الغزو ..

* * *



٥ ـــ القتال ..

كانت كل القباب محاطة بقوّات ضخمة ، متأهبة لأى موقف مفاجئ ، ومستعدة لصد أى هجوم مباغت ..

وعلى الرغم من ذلك ، كانت المفاجأة ساحقة ..

لقد انطلقت من القباب فجأة ملايين المقاتلات الفضائية ..

من كل قبة انطلقت مئات ..

وبسرعة مذهلة ، ومناورات رائعة ، وانقضاضات بارعة ، بدأت المقاتلات هجومها ..

ومن مقدماتها ، انطلقت أشعة أرجوانية ، تفتك بكل ما تمسّه ، ومَنْ تمسّه ، من بشر ، أو حيوان ، أو جماد ، أو طير .

وقاوم جنود البشر فى بسالة ..

قاوموا بكل مايملكون من قوّة ..

ولكن المعركة لم تكن متعادلة ..

كانت رهيبة ..

ومن المستحيل أن ينجح كاتب أو أديب ـ مهما بلغت براعته ـ أن يصف ما حدث ..
ليس لأنه لايوصف ، ولكن لأن الوقت الذى استغرقته المعركة ، لم يكن يكفى لمعرفة تفاصيلها ..
لقد تصدّت قوات الأرض للهجوم ، و .....
وانسحقت ..
هكذا ..
بهذه البساطة ..
فى نفس الوقت الذى استغرقه الانتقال من السطر الأوّل إلى التالى ..
لقد هاجمت المقاتلات الفضائية ، واستعدت القوات الأرضية لصدّ الهجوم ، ولكن مقاتلات الفضاء سحقت ستين فى المائة منها مع الضربة الأولى ..
وبرغم هذا ، لم تتراجع القوات الأرضية ..
قاومت فى بسالة ..
واستغرقت مقاومتها دقيقة واحدة فحسب ..
ولم تسقط أية مقاتلة للعدوّ خلالها ..
ثم هوَت الضربة الثانية على الرءوس ..

وانسحقت القوات الأرضية الباقية ..
انسحقت سحقًا ، كما لو كانت أرنبًا وليدًا ، وطئته أقدام أضخم أفيال الغابة ، بلا رحمة أو شفقة ..
وفقدت الأرض فى ضربة واحدة ربع قواتها المقاتلة ..
وسادت حالة من رُعْب هائل ..
لقد نقلت شاشات الهولوفيزيون ماحدث ، فوقع الرُّعب فى قلوب الجميع ، وارتجفت الأجساد فى هلع ..
ها هى ذى الأرض تواجه ما لاقِبَل لها به ..
تواجه غزوًا هائلًا رهيبًا ..
وفى كل أنحاء الأرض ، من أقصاها إلى أقصاها ، ساد رُعب هائل ..
وفى منزل (نور) ، هبّ هذا الأخير ، هاتفًا :
ـ يا إلهى !!.. هذا ما خشيته طِيلة عُمْرى .
ثم اختطف سترته الجلدية ، وهو يستطرد فى انفعال :
ـ هيّا يا (سلوى) .. سنذهب إلى إدارة المخابرات ، لاريب أنه سيطلبوننا هناك على الفور .
صاحت (سلوى) فى رُعْب :
ـ وماذا عن (نشوى) ؟.. إنها لم تعُد من عملها بَعْد .
هتف وهو يجذبها من معصمها إلى الخارج :
ـ سنلتقطها من هناك .. هيّا .

قفزا معًا داخل سيّارته الصاروخية ، التى انطلق بها فى توتّر ، وهو يهتف :

ـ المذياع .

وعلى الفور ، انطلق مذياع السيّارة يعمل ، استجابة لأمر (نور) ، الذى عاد يهتف فى توتّر :

ـ محطة الأخبار .

انتقلت موجة المذياع تلقائيًا إلى المحطة الإخباريّة ، استجابة لأمر (نور) ، وارتفع صوت مذيعة المحطة الملتاعة ، وهى تهتف :

ـ دمار شامل .. لقد انهزمت كل قواتنا ، التى كانت تحاصر القباب الورديّة ، وأنا أرى الآن مقاتلات العدوّ الفضائىّ المجهول ، وهى تحلّق فوق القباب ، التى تحوّل لونها إلى الأزرق ، وفوق قواتنا المسحوقة ، كنسور ظافرة ، تحلّق فوق ضحيتها .. إنها رُعب هائل أيها السادة .. أقصد ذلك الذى أشعر به .. إنه .....

وصمتت لحظة ، ثم هتفت فى انفعال :

ـ بلغنا الآن أيها السادة ، أن قواتنا المسلحة قد قرّرت مواصلة القتال ، والدفاع عن أرضنا ودولتنا ، مهما كان الثمن .. كما أن دول العالم كلها قد اتفقت على استخدام

أقمارها الصناعية ، المزوّدة بمدافع اللّيزر ، لصد الهجوم ، والدفاع عن الكوكب .

هتف (نور) :

ـ كفى .

قالها وأوقف سيّارته فى حِدّة ، أمام مركز الكمبيوتر ، حيث تعمل (نشوى) ، وقفز من سيّارته ، وهو يهتف :

ـ انتظرى هنا يا (سلوى) .

صاحت فى توتّر :

ـ سأذهب معك .

هتف فى عصبيّة :

ـ قلت انتظرى هنا .

واندفع نحو باب المركز ، حيث استوقفه حارس الأمن ، فهتف به ، وهو يبرز بطاقة المخابرات العلمية :

ـ ابتعد .. الوقت لا يسمح بتلك المهاترات .

ومن العجيب أن الحارس قد ابتعد على الفور ..

أو أن هذا كان طبيعيًا ، فى ظل تلك الظروف المخيفة ..

وأسرع (نور) يعْبر ممرّات المبنى ، حتى دلف إلى أحد حجراته ، وهتف :

ـ (نشوى) .

هبّت ابنته من مقعدها ، وهى تهتف :

— أبى .. كنت أعلم أنك ستأتى .
وألقت نفسها بين ذراعيه ، وهى تبكى هاتفة :
— إننى أرتجف رعبًا .. لقد خشيت حتى أن أغادر المكان ، و .....
بترت عبارتها بغتة ، عندما شعرت بتلك الانتفاضة القويّة ، التى سرَت بغتة فى جسد والدها ، وسمعت صوته المذهول ، وهو يغمغم :
— يا إلهى !!
فباعدت عن والدها بطول ذراعيها ، وهى تهتف فى هلَع :
— أبى !.. ماذا هناك ؟
لم يجب ، فقد كان يحدّق فى نافذة حجرتها ، مما دفعها إلى الالتفات خلفها ، إلى حيث ينظر ..
ولم تكد تفعل ، حتى شهقت فى رُعْب ..
لقد رأت أمامها تلك المقاتلات الفضائية ..
رأتها تنقضّ على المبنى ..
ورأت أشعتها الأرجوانية المدمِّرة تنطلق ..

* * *

٦ ـ الدَّمار ..

اندفع الدكتور (عبد الله) ، داخل حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، والذُّعر يملأ ملامحه ، وهو يهتف :
— سيِّدى .. هل رأيت ما حدث ؟
هتف به القائد الأعلى ، وهو يلملم أوراقه السرّيّة ، ويُلقى بها داخل آلة تدمير خاصّة :
— أرأيت يا دكتور (عبد الله) ؟. لقد نقلت إلىّ شاشة الراصد ذلك المشهد الأخير ، عندما بدأت أقمار اللّيزر هجومها .
وتوقّف لحظة ، ليرفع عينيه إلى الدكتور (عبد الله) ، مستطردًا :
— لقد كان ذلك مروّعًا .
هتف الدكتور (عبد الله) فى هلَع :
— بالتأكيد .. لقد هاجم ذلك النّيزك الرهيب ، الذى يحتلّ فضاء كوكبنا ، كل الأقمار الصناعية ، وسحقها سحقًا بأشعته الأرجوانية الهائلة ، التى يبلغ نصف قطر مقطعها عشرة

كيلومترات كاملة .. لقد فقد العالم كله أقماره الصناعية يا سيّدى .. لقد فقدنا وسائل الاتصال الدولية ، ووسائل الدفاع الفضائية كلها .. لقد خسرنا كل هذا بضربة واحدة .

قال القائد الأعلى ، وهو يواصل تدمير كل أوراق إدارة المخابرات العلمية ، التي تحوى ملفات الإدارة كلها .

ـ من الواضح أننا نواجه عدوًا لا قبل لنا به هذه المرّة .. يا إلهى !!.. ليت (س ١٨) كان هنا(*) .

هتف الدكتور (عبد الله) :

ـ لم يَعُد هناك وقت للآمال .. إن (س ١٨) يرقد الآن في قرار المحيط ، ثم إنه ليس سوى شخص آلىّ ، مهما بلغت قوته وإمكاناته .

هتف القائد الأعلى :

ـ في الواقع لم يَعُد هناك وقت لأى شيء .. إننا سنخسر حتمًا ، المهم الآن هو أن ندمّر كل ما خلفنا .

وزفر في عمق ، قبل أن يستطرد في مرارة :

ـ وأن نعترف بأنها النهاية .. نهاية الأرض ..

* * *

(*) راجع قصص (المقاتل الأخير) ، و (غزو الأرض) ، و (جحيم أرغوران) ، و (المحيط الملتهب).. المغامرات رقم (٤٧) ، و (٤٩) ، و (٥٩) ، و (٦٣) .

كانت سرعة استجابة (نور) خرافية في ذلك الموقف .

لقد جذب ابنته في قوة ، ودفعها جانبًا ، في نفس اللحظة التي أصابت فيها الأشعة الأرجوانية الساحقة المبنى المركزى للكمبيوتر ..

وتفجّرت جدران المبنى ، وراح ينهار في عنف ، و (نشوى) تصرخ :

ـ إنهم يقتلوننا يا أبى .. يدمروننا .

جذبها خلفه ، وهو يعدو هاتفًا في حزم :

ـ لا ينبغى أن نسمح لهم بذلك .

راحا يعدُوان عبْر ممرات المبنى ، التي تهدم نصفها ، والأشعة الأرجوانية تنهال على المكان ، وتسحق جدرانه سحقًا ، حتى بلغا خارجه ، ورأيا (سلوى) تكاد تنهار جزعًا ولوْعة ، فقفزا داخل السيّارة ، وصاحت هي في لهفة ، وهي تضمّ ابنتها إلى صدرها :

ـ (نشوى) !!.. يا إلهى !.. لقد خشيت أن ......

لم تكمل عبارتها ؛ لأنها لم تحتمل ذكر موطن خوفها الحقيقى ، فعادت تضمّ ابنتها إلى صدرها ، على حين كان (نور) ينطلق بسيّارته في بطء نسبىّ ، وسط حالة من الهرج ،



راحا يعدوان عبْر ممرات المبنى ، التى تهدم نصفها ، والأشعة الأرجوانية تنهال على المكان ، وتسحق جدرانه سحقًا ..

والرُّعب سادت كل الشوارع والطرقات ، والجميع يتدافعون للهرب والفرار من الخطر ، إلى أى مكان ، وأى هدف ..

وغمغم (نور) فى خنق :

ـــ يا إلٰهى !!.. ماذا يحدث هنا ؟

هتفت (سلوى) :

ـــ يبدو أنهم يدمرون كل أوجه حضارتنا .. لقد أعلن المذياع أنهم قد دمَّروا أبراج البث الهولوجرافى المجسَّم ، ولم يعُد لدينا هولوفيزيون .. بل لم يعُد لدى العالم كله مثله ، وها هم أولاء قد دمَّروا المبنى المركزى للكمبيوتر ، مما يقطع الصلة بين أجهزة الكمبيوتر فى البلاد ، ويعيدنا إلى عصر ماقبل الوحدة المركزية الأم .. يا إلٰهى يا (نور) .. إننا نعود إلى بدايات القرن الحادى والعشرين .

هتف فى حدَّة :

ـــ ليس هذا هو موطن الخطر يا (سلوى) ، فأنا أرتجف ، كلما تصوَّرت أن تمتد موجة التدمير هذه إلى المفاعلات النوويَّة ، فى أنحاء العالم .

امتقع وجه (نشوى) ، وهى تهتف :

ـــ يا إلٰهى !! ستكون كارثة .

هتفت (سلوى) :

ــ بل مأساة .

صاح (نور) :

ــ ينبغي أن نعلم ما يحدث حولنا .

وهتف آمرًا كمبيوتر السيّارة :

ــ المذياع .

وعلى الفور ، انطلق صوت مذياع السيّارة :

ــ لقد دمّروا كل شيء .. المكتبات العامّة .. الكباري والجسور .. لقد أصابوا برج (إيفل) فى (باريس) ، وسحقوه سحقًا ، وحطّموا تمثال الحرية الأمريكي ، وحوّلوا مبني (الكريملين) فى (موسكو) إلى أنقاض(*) .. إنهم يدمّرون الحضارات والتاريخ والمستقبل .. إنهم يحطّمون كل شيء .

إنهم .....

انطلقت بغتة شوشرة قويّة ، انقطع بعدها الإرسال تمامًا ، وهتفت (نشوى) ، وهي تشير إلى سحابة سوداء ، تصاعدت من بعيد :

(*) الكريملين : مقر حكم الحزب السوفيتي .

ــ انظروا .. لقد نسفوا محطة البث الإذاعي الجديدة .

ثم استطردت فى ارتياع :

ــ وماذا عن (رمزي) ؟.. ماذا أصابه ؟

أوقف (نور) سيّارته فى حدّة ، ثم هتف ، وهو يديرها يسارًا :

ــ صدقت .. ينبغي أن نجمع شمل الفريق أوّلًا .

ثم عاد ينطلق صوب منزل (رمزي) ، وهو يستطرد :

ــ سنلتقط (رمزي) أوّلًا ، ثم الدكتور (حجازي) فى طريقنا ، و (محمود) فى النهاية .

هتفت (نشوى) :

ــ أسرع يا أبي .. أسرع .

هتف فى توتّر :

ــ هذه أقصى سرعة يسمح بها الزحام .. لقد غادر الجميع منازلهم ، و .....

قبل أن يتمّ عبارته ، برزت المقاتلات الفضائية فى الأفق ، وصرخت (سلوى) فى رُعب هائل :

ــ لقد وصلوا

ولم تكد تتم هتافها ، حتى هوت الأشعة الأرجوانية الساحقة

على الرءوس ، وراحت تسحق السيّارات والمبانى والبشر بلا تمييز ، فصرخت (نشوى) :

ـ إنها إبادة .. إبادة كاملة .

صاح وهو يتفادى حُزم الأشعة الأرجوانية فى صعوبة ومهارة :

ـ كلّا .. إنهم لا يقصدون إبادة تامة ، فهم يحطّمون فقط ما يجدونه فى طريقهم ، باستثناء الأهداف المحدودة مسبقًا .. إنه نوع من استعراض العضلات ليس إلّا ..

هتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـ و (رمزى) ؟!

صاح فى توتّر :

ـ لقد وصلنا إلى منزله ، فهو فى المنعطف التالى ، و .....

كان ينطق بعبارته ، وهو ينعطف بالفعل ؛ لذا فقد أنهاها بشهقة جزع ، وبضغطة قويّة على كابحة السيّارة ، قبل أن يهتف :

ـ يا إلهى !!

ومع هتافه ، اتسعت عيون (سلوى) و (نشوى) رُعبًا ..

كل هذا ؛ لأن منزل (رمزى) لم يكن فى موضعه ..

كان هناك حطام فحسب ..

حطام منزل مسحوق ..

* * *

اتسعت عينا (نشوى) فى رُعب هائل ، وهى تردّد :

ـ (رمزى) .. مستحيل !! .. مستحيل !!

صاحت أمها ، وهى تضمّها إلى صدرها فى حنان :

ـ كفى يابنتى .. إنه قدره .. إنه .....

صرخت (نشوى) فى انهيار :

ـ لا .. لا .. مستحيل !!

صاح بها (نور) :

ـ كفى .

ثم هوى على وجهها بصفعة قاسية ، اتسعت لها عيناها فى ذُعر ، ثم لم تلبث أن انفجرت باكية ، على حين عاد هو ينطلق بالسيّارة ، هاتفًا فى مرارة :

ـ لهذا أكره الحروب والدمار يا بنيّتى .. فهذه هى سمتها .. أن نخسر الأحبّاء والأصدقاء ، دون أن ندرى السبب .. هذه هى الحروب .

راح يقاوم دمعة عنيدة فى عينيه ، انحدرت من عينى (سلوى) ، وهى تردد فى ألم :

ــ نعم .. هذه هى سمة الحروب .

أما (نشوى) ، فقد ظلت تبكى فى مرارة ، وهى تستعيد كل ذكرياتها مع خطيبها (رمزى) ، وتجتر مرارتها ..

وأمام منزل الدكتور (حجازى) ، أوقف (نور) سيارته ، وقفز منها ، وهو يهتف :

ــ حمدًا لله .. منزله سليم .

راح يدق الباب فى عنف ، دون أن يحصل على استجابة ، فأسرع ينتزع مسدسه الليزرى ، ويطلقه على رتاج الباب ، ثم اندفع إلى الداخل ، وهو يهتف :

ــ دكتور (حجازى) .. أين أنت ؟

كان المنزل خاليًا تمامًا ، فهتف (نور) فى حنق :

ــ أين أنت ؟

ثم عاد أدراجه إلى سيارته فى سرعة ، وقفز داخلها ، وهو يهتف :

ــ إنه ليس هنا .

سألته (سلوى) فى جزع :

ــ أين ذهب ؟

صاح وهو ينطلق بسيارته .

ــ ليتنى أعلم .

قالها وتوقف أمام منزل (محمود) ، وهو يهتف :

ــ هذا المنزل سليم أيضًا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى رأى (محمود) يغادر المنزل ، ويسرع إليه هاتفًا :

ــ كنت أعلم أنك ستأتى يا (نور) .. كنت أنتظرك .

كان يحمل حقيبته الخاصة ، التى تحوى جهاز فحص الإشعاع ، مع كمبيوتر صغير ، وألقاها داخل السيارة ، ثم قفز داخلها ، وهو يستطرد :

ــ هيا يا (نور) .. فلنذهب إلى منزل (رمزى) ، و .....

قاطعه (نور) فى مرارة :

ــ لم يعد المنزل هناك ..

اتسعت عينا (محمود) فى هلع ، وهو يهتف :

ــ يا إلهى !! .. لقد كنت أتحدث مع (رمزى) منذ قليل ، عبر جهاز التليفيديو ، قبل أن ينسفوا شبكة الاتصالات ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وازدادت عيناه اتساعًا ، وهو يستطرد :

ــ يا إلهى !! .. هل تعنى ؟

انفجرت (نشوى) باكية ، وهى تهتف :

— نعم يا (محمود) .. لقد خسرناه .. خسرنا (رمزى) .

اغرورقت عينا (محمود) بالدموع ، وهو يهتف فى ارتياع :

— خسرناه !!

ثم استطرد فى ألم ومرارة :

— ربّاه !! أيّة لعنة أحاقت بنا ؟!

هتف (نور) ، وهو ينطلق بالسيّارة نحو مبنى إدارة المخابرات العلمية :

— لعنة الطمع يا (محمود) .. الطمع الذى يدفع المخلوقات إلى استعمار بعضها البعض ، والحصول على مايملكه غيرها .. لقد ثبت أنها ليست صفة بشريّة ، كما كنّا نظن .. إنها صفة فضائية ، تملكها كل المخلوقات ، التى نطلق عليها اسم المخلوقات العاقلة .. تصوّر .. المخلوقات العاقلة وحدها تملك الصفة الاستعماريّة .

صاحت (سلوى) فى مرارة :

— (نور) .. لست أحتمل المحاورات الفلسفية الآن .

قال فى أسف :

— يبدو أنك ستضطرين إلى احتمالها يا (سلوى) ، فلم يَعُد لدينا سواها .. لقد فقدنا فى الساعات الأولى للحرب كل

قوتنا ، وكل تاريخنا وحضارتنا ، ولم يَعُد لدينا سوى أن نتحاور فلسفيًا .

هتفت (سلوى) فى ألم :

— مستحيل يا (نور) !!.. مستحيل أن يفقد كوكب كامل حضارته ، وتاريخه فى لحظات !! مستحيل !!

قال (محمود) فى ألم :

— ولكن هذا مايحدث بالفعل يا (سلوى) .. إنهم يدمّرون مكتباتنا ، وكل المكتبات العامّة فى العالم ، والمتاحف ودور الفنون والآداب ، و .....

لم يتم عبارته ..

لقد بترها عندما اندفع إلى الأمام ، إثر توقّف سيّارة (نور) بغتة ..

وهتف (محمود) فى حَنَق :

— ماذا حدث ؟

لم ينبس (نور) ببنتِ شفَة ..

فقط أشار إلى منطقة خالية ..

منطقة كانت تحوى يومًا مبنى بالغ الأهمية والخطورة .. مبنى المخابرات العلميّة المصريّة ..

* * *

٧ ـــ بلا أمل ..

هتفت (سلوى) فى مرارة هائلة :

ـــ يا إلهى !!.. لقد ذهب المبنى يا (نور) .

وغمغم (محمود) فى انبهار :

ـــ لقد قضوا على المخابرات العلمية .

صاح (نور) فى حزم :

ـــ ليس بعد .

ثم قفز خارج سيّارته ، وهو يستطرد :

ـــ الجهاز أقوى من أن يدمّره هؤلاء الأوغاد .

واندفع نحو المبنى المتهدّم ، وتبعه (محمود) و (سلوى) و (نشوى) ، وراح الجميع يخطون فوق الحطام فى حذر ، و (سلوى) تغمغم فى مرارة :

ـــ ربّاه !! لقد سحقوا المبنى كله يا (نور) .. لقد سحقوه سحقًا .

أجابها فى جِدّة :

ـــ المبنى العلوى فحسب .

ـــ هتفت فى دهشة :

ـــ ماذا تعنى ؟

قال فى توتّر :

ـــ أعنى أن ذلك المبنى ، الذى كنا نلتقى فيه ، عبارة عن مبنى إدارى ، أمّا الأعمال السّرّيّة الفعلية ، فكلها تدور تحت الأرض ، على عمق مائتى متر ، فى المبنى السّرّى .

وراح يتلفّت حوله فى انفعال ، مستطردًا :

ـــ المهم أن نجد مدخله .

ثم أسرع نحو أحد الأجزاء ، هاتفًا :

ـــ لقد كان هنا .

تعاون الجميع فى رفع الأنقاض فى سرعة وهمّة ، و (نشوى) تتساءل فى مرارة :

ـــ أأنت واثق من الموضع يا أبى ؟

أجابها متوتّرًا :

ـــ تمام الثقة .. فهنا كانت توجد حجرة خالية ، ينبعث داخلها ضوء وردى خافت ، وأسفلها كان ذلك المصعد ، أقصد المهبط ، الذى يقود إلى الإدارة السّرّيّة ، وحجرة القائد الأعلى .

واصلوا عملهم في همّة ونشاط ، حتى ظهرت أرضية الحجرة ، فهتفت (سلوى) :

ـــ ها هي ذي .

صاح (نور) :

ـــ هنا يوجد مدخل المهبط الخاص ، ولكنني لست أدري كيف يمكن حلّه على الظهور ، دون إذن من القائد الأعلى ؟

قالت (نشوى) في حماس :

ـــ اترك لي هذه المهمّة يا أبي .

انحنت تفحص الأرضية في توتّر ، ثم لم تلبث أن قالت لـ(محمود) :

ـــ هل لك أن تعيرني حقيبتك ؟

تمتم في دهشة :

ـــ حقيبتي ؟!

ثم عاد يهتف :

ـــ آه !! حقيبتي .. سأحضرها على الفور .

أسرع إلى السيّارة ، وانتزع منها الحقيبة ، ثم اندفع عائدًا إلى حيث وقف رفاقه ، و .....

وفجأة ، دفعته قوّة هائلة إلى الأمام ، ودوّى من خلفه انفجار قوي ..

انفجار سيارة (نور) ..

* * *

حدث كل شيء في سرعة مذهلة ..

ظهرت تلك المقاتلة الفضائية في السماء ، وانطلقت منها تلك الأشعة الأرجوانية ، وأصابت سيّارة (نور) ..

وانفجرت السيّارة ..

وأطاحت بـ(محمود) ، وألقته وسط الحطام ..

ثم اختفت المقاتلة ، وهي تكمل طريقها ..

وطارت حقيبة (محمود) في الهواء ..

وقفز (نور) يلتقطها ..

كان يخشى أن يفقدها ، أو أن يتركها تسقط أرضًا ..

كان يخشى أن يفقد معها آخر أمل ..

والتقطها ..

التقطها وهبط على قدميه ، وهو يهتف :

ـــ أأنت بخير يا (محمود) ؟!

نهض (محمود) شاحبًا ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. لو أنك تقصد جسديًا ، فالجواب هو نعم .



وفجأة ، دفعته قوة هائلة إلى الأمام ، ودوى من خلفه انفجار قوى .. انفجار سيارة (نور)

هتفت (نشوى) :

ــ فلنبدأ عملنا إذن

واختطفت الحقيبة من يد والدها ، وهى تستطرد فى انفعال :

ــ مادام المهبط السرّى هو أملنا الوحيد والأخير .

راحت تكشف ما تبقى من أرضية الحجرة ، وتفتح حقيبة (محمود) ، وهى تقول :

ــ لاريب أنه يُفتح بواسطة شفرة سرّيّة خاصّة ، بالغة التعقيد ؛ لذا فهى تحتاج إلى برنامج كمبيوتر شديد التعقيد مثلها .

أسرعت أصابعها تتقافز فوق أزرار الكمبيوتر ، وتتنقل فوقها فى خفة ، وهى تتابع :

ــ لقد وضعت برنامجًا خاصًا ، للبحث عن الشفرات السّرّيّة المعقّدة ، بسرعة فائقة ، تبلغ عشرة أضعاف السّرعة الطبيعية ، وكنت أنوى التقدّم به ؛ لنيل درجة الماجستير فى برمجة الكمبيوتر .

تمتم (نور) فى حماس :

ــ رائع .

ثم أردف فى انفعال :

— لو أنك نجحت فى دفع ذلك المهبط إلى العمل ، فستنالين ما هو أفضل من درجة الماجستير ..

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حزم :

— ستنالين الحياة .

انتهت أصابعها من ضغط الأزرار ، وهتفت :

— ها هو ذا .

حدّق الجميع فى شاشة الكمبيوتر ، التى راحت ترسم عددًا غير محدود من الأرقام والرموز ، فى سرعة خرافية ، وترصّها جنبًا إلى جنب ، مع تبادل مواضعها وأشكالها ، و .....

وتعلّقت عيون الجميع بالشاشة ، التى تراقصت طويلًا ، ثم استقرّت فوقها مجموعة من الأرقام والرموز ، فى ترتيب شديد التعقيد ، وهتفت (نشوى) فى انفعال :

— لقد نجحنا .

ارتفع إثر كلمتها صوت تكّة خافتة ، ثم بدأ جزء مستدير من الأرض فى الهبوط ، فصاح (نور) :

— هيّا .. سيهبط بنا أو دوننا .

قفز الجميع إلى الدائرة الهابطة ، وتلاصقوا وهم يهبطون داخل أسطوانة شفّافة ، يغمرها ضوء بنفسجىّ هادئ ، وغمغمت (نشوى) :

— أكنت تعبر ذلك الطريق دومًا يا أبى ؟

تمتم فى خفوت :

— ولم يتوقّف عن إبهارى لحظة واحدة يا بنيّتى .

واصلوا هبوطهم فى صمت ، بعد هذه العبارة ، حتى استقرّت بهم الأسطوانة الشفّافة أرضًا ، على عمق مائتى متر من سطح الأرض ، فأسرعوا يغادرونها ، و (نور) يهتف :

— من هنا .

أسرع الجميع يعدُون عبْر ممر طويل ، و (سلوى) تهتف :

— (نور) .. أيبدو المكان عادةً خاليًا هكذا ؟!

أجابها فى توتّر :

— لا .. وهذا ما يقلقنى .

هتف (محمود) فى هلع :

— يقلقك ؟!.. فقط ؟!

صاح (نور) :

— فلنؤجل هذا لما بعْدُ .. لقد بلغنا حجرة القائد الأعلى .

هتفت (نشوى) فى انبهار :

— شخصيًا ؟!

توقّف (نور) أمام الباب حائرًا ، وهتف فى توتّر :

ـ يبدو أننا سنحتاج إلى برنامج مرّة أخرى ياعزيزتى (نشوى) .

قال (محمود) فى انفعال :

ـ ها هى ذى الحقيبة ..

التقطت منه (نشوى) الحقيبة ، وهى تقول فى انفعال :

ـ فليكن ، وأتمنّى ألّا تكون شفرة باب حجرة القائد الأعلى من نوع شديد التعقيد ، أو .....

قبل أن تتم عبارتها ، انفتح الباب فى هدوء ، فهتف (نور) :

ـ يا إلهى .. إنه هنا .

وفى لهفة ، تطلّع عَبْر فتحة الباب إلى القائد الأعلى ، وإلى الدكتور (عبد الله) ، قبل أن يغمغم الأوّل فى ارتياح :

ـ (نور) !.. كنت أنتظرك أيها الرائد .

رفع (نور) يده بالتحية العسكرية ، وهو يقول فى حزم :

ـ الرائد (نور الدين) فى خدمتك ياسيّدى .

ألقى القائد الأعلى نظرة سريعة على زوجة (نور) وابنته وصديقه ، ثم لوح بكفّه ، قائلًا :

ـ دعك من هذا يا (نور) .. لقد خسرنا معركتنا هذه المرّة ، ولم تعُد هناك فائدة من الالتزام بالرسميّات .

هتف (نور) فى حزم :

ـ إننا لم نخسر معركتنا بعد ياسيّدى .

أجابه الرجل فى مرارة .

ـ بل خسرناها يا (نور) .. العالم كله خسرها .. هؤلاء الغزاة أقوى ألف مرة من كل ما بلغه خيالنا ، فى أبشع كوابيسنا وتصوّراتنا الانهزامية يا (نور) .. لقد انقضّوا علينا فى عنف يفوق الوصف ، وقاتلونا بأبشع الصُوَر .. إنهم يحطّمون ويدمّرون كل ما له صلة بحضارتنا وتاريخنا .. إنهم .....

قاطعه الدكتور (عبد الله) فى هلع :

ـ باختصار يا (نور) .. إنهم يحطّمون آدميتنا .

تمتمت (سلوى) فى لوْعة :

ـ آدميتنا ؟!.. يا إلهى !

لوّح الدكتور (عبد الله) بذراعه ، هاتفًا :

ـ إنك لن تتصوّر ما فعلوه .. لقد .....

قاطعه فجأة أزيز مخيف ، فامتقع وجهه ، وهتف فى ارتياع :

ـ يا إلهى !!.. المفاعلات الذريّة .

اتسعت عيون الجميع فى رُعب ، وهتف القائد الأعلى ، وهو يضغط أحد الأزرار فوق مكتبه :

— رباه !! هذا ما خشيته .

تمتم (نور) فى مرارة :

— وأنا أيضًا .

وفى هدوء ، أضيئت شاشة إلى يسار القائد الأعلى ، وظهرت فوقها صورة لأحد المفاعلات الذرية المصرية ، وفوقها تحلق تلك المقاتلات الفضائية ، وهتفت (سلوى) فى دهشة :

— عجبًا !!.. كنت أظن أنهم قد حطموا كل وسائل البث .

أجابها القائد الأعلى فى توتر :

— إنه راصد خاصّ مباشر .

عادت تغمغم :

— عجبًا !!

وقال الدكتور (عبد الله) فى توتر بالغ ، وهو يشير إلى شاشة الراصد :

— هذا الذى ترينه هو مفاعل الواحات البحرية النووى ، أضخم مفاعلاتنا النووية على الإطلاق ، وهاهىَ ذى تلك المقاتلات الفضائية تحوم حوله ، ومن الواضح أنها ستهاجمه .

هتفت (نشوى) فى رُعب :

— يا إلهى !!.. الإشعاعات الذَّرِّيَّة التى ستنجم عن تفجيره ، ستلوّث ثلث (مصر) تقريبًا .

غمغم (محمود) فى ألم :

— لو حسبنا ذلك ، بضرب نسبة التلوّث فى عدد المفاعلات الذَّرِّيَّة ، فسنجد أن الأرض كلها ستلوّث بالإشعاعات الذَّرِّيَّة إلى الأبد .

تراجعت (سلوى) فى رُعب ، وهى تغمغم :

— يا إلهى !!.. مستحيل !

صاح (نور) ، وهو يشير إلى الشاشة :

— ولكنهم لا يهجمون .. إنهم يحومون فحسب ، و .....

ظهرت بغتة فى طرف الشاشة دائرة أسطوانية ضخمة ، تسبح فى الفضاء ، متجهة نحو مجموعة المقاتلات ، فبتر (نور) عبارته ، مغمغمًا فى حَيْرة :

— ما هذا ؟

غمغم الدكتور (عبد الله) فى دهشة :

— لست أدرى .. إنه جسم لامع ، أشبه بأسطوانة موسيقية ، أو .....

بتر عبارته ، عندما استقرّت تلك الأسطوانة فوق المفاعل النووى تمامًا ، وهتف فى ذُعر :

— يا إلٰهى !!.. إنهم سيـ ......

قبل أن يتمّ عبارته ، كانت الأسطوانة اللامعة قد أطلقت أشعتها الأرجوانية نحو المفاعل ، و .....

وانفجر مفاعل الواحات البحرية النووى ..

* * *



٨ — الانهيار ..

توقّف ذلك النّيزك الهائل ، خارج المجال الجوّى الأرضى ساكنًا ، هادئًا ، بعد أن دمّر كل أقمار اللّيزر ، التى تحيط بالأرض ، دون تمييز دولىّ أو عنصرىّ ، وفى هدوء ، راحت قشرته الخارجية ، الشبيهة بالنّيزك ، تذوب وتتلاشى ، لتبدو من أسفلها هيئته الحقيقية ..

لقد كان سفينة فضاء ..

سفينة هائلة ..

سفينة من معدن مجهول ، وتصميم مخيف ..

كانت سفينة القيادة ..

قيادة الغزو ..

ومن داخلها ، كانت تكتظ بأجهزة المراقبة والمتابعة ، التى ترصد وتنقل كل ما يدور ، مما تلتقطه آلات التصوير ، الملحقة بالمقاتلات الفضائية ، فى كل أنحاء العالم ..

وكانت هناك قاعة واحدة ، تخلو من كل الأجهزة ، فيما عدا جهاز نقل الأوامر ..



وكانت هناك قاعة واحدة ، تخلو من كل الأجهزة ، فيما عدا جهاز نقل الأوامر .. وكانت قاعدة الإمبراطور ..

وكانت قاعة الإمبراطور ..

إمبراطور (جلوريال) .. كوكب الغزاة ..

و (جلوريال) هذا كوكب مشابه للأرض ، فى مناخه ، وغلافه الجوى ، ولكنه يسبقه فى نهج التطوُّر ، ويختلف عنه فى حجم سكانه ..

فسكان (جلوريال) عمالقة لا يقل طول الواحد منهم عن المترين ، وهم قوم شداد غلاظ قُساة ، لم يتوقَّفوا منذ قرنين من الزمان عن القتال والغزو ..

الكوكب الوحيد الذى قهرهم ، كان كوكب (أرغوران) ، الذى ساد الكون بعض الوقت ، ثم فكَّر فى غزو الأرض ، وعندما أرسل قائده لتفقُّد أحوالها ، أسر (نور) ورفاقه ، وعاد بهم إلى كوكبه ، فهزموه هناك ، وانتصروا(*) ..

منذ ذلك الحين ، خلا الفضاء لمحاربى (جلوريال) ، فانقضُّوا على (أرغوران) ، بعد أن غادره (نور) ، واحتلوه ، وحصلوا منه على كل الوثائق الخاصة بالأرض ، وعكفوا على دراستها ، ثم أعدُّوا حملة الغزو وخطَّته ..

(*) راجع قصتى (معركة الكواكب) ، و (جحيم أرغوران) .. المغامرتين رقم (٥٨) ، و (٥٩) .

وانطلقوا نحو الأرض ..

ومن سفينة القيادة الإمبراطورية ، جلس إمبراطور (جلوريال) يراقب مايحدث بعين الرضا ، وهو يغمغم بلغة عجيبة ، لا نظير لها قطُّ على كوكب الأرض :

ـ رائع .. إننا ننتصر على طول الخط .

انحنى مستشاره (جلاكس) ، وقال فى احترام :

ـ لقد أخبرت سموَّكَ من قبل ، أن الأرضيين أضعف من أن يجابهوا قواتنا يا مولاى .

هزَّ الإمبراطور (آغرو) رأسه موافقًا ، وهو يقول :

ـ هذا واضح يا مستشارى الأكبر .. صحيح أنهم يشبهوننا كثيرًا ، فيما عدا وجود دائرة عجيبة وسط عيونهم ، يحيط بها غلاف أبيض من الناحيتين ، بعكس عيوننا الحمراء ، المكوَّنة من قطعة واحدة ، وبشرتهم الوردية والسمراء والسوداء ، التى تختلف حتمًا عن بشرتنا الخضراء الجميلة ، وحجمهم الضئيل ، الذى لايتجاوز فى المتوسط ما يقل عن أقصر رجالنا بعشرين سنتيمترًا على الأقل ، إلا أنهم يصابون بالرُّعب فى سهولة ، فقد ولَّدت مقاتلاتنا الهَلَع فى قلوبهم على الفور .

غمغم (جلاكس) محذِّرًا :

ـ لا تجعل هذا يخدعك يا سمو الإمبراطور ، فرعبهم هذا يعود إلى عامل المفاجأة ، وإلى غرورهم السابق بقوتهم ، وتصوُّرهم أنهم أقوى مخلوقات الكَوْن ، مما أصابهم بشبه انهيار ، حينما تبيَّن لهم فى وضوح ، أنهم ليسو كذلك ، ولكنهم ما إن يتجاوزوا تلك المرحلة ، حتى تجدهم أمامك مقاتلين أشداء ، لايشق لهم غبار .

ابتسم الإمبراطور فى سُخرية ، وهو يقول :

ـ ومن سيمنحهم الفرصة لذلك ؟

ومال إلى الأمام ، فوق عرشه البلُّورىّ ، مستطردًا :

ـ لقد سيطرنا على الكوكب سيطرة تامة ، وأمرت منذ لحظات بإطلاق أقمارنا الصناعية حوله ، بحيث نضمن السيطرة الدائمة على سكانه أيضًا .

وابتسم فى سُخرية ، مردفًا :

ـ أعنى من سيتبقى منهم .

ابتسم (جلاكس) ابتسامةً هادئة ، وقال :

ـ أيظن مولاى ، أن هذا سيعوق أهل الأرض عن المقاومة ؟

هزَّ الإمبراطور (آغرو) رأسه نفيًا ، وقال :

— كلا .. ولكنه سيجعلها أكثر صعوبة .

وتنهّد وهو يعتدل ، ويداعب ذقنه ، مردفًا :

— لقد عكفت لأسبوع كامل على دراسة تلك الوثائق والأفلام التسجيلية عن الأرض ، والتى وجدناها فى (أرغوران) ، ودرست أسباب فشل كوكب (أرغوران) فى هزيمة أهل هذا الكوكب ، وبعدها توصّلت إلى حقيقة هامة ، هى مفتاح النصر .

سأله الحكيم (جلاكس) فى هدوء :

— ما تلك الحقيقة يا صاحب السمو الإمبراطور ؟

لوّح الإمبراطور بكفّه ، التى تحمل ما يشبه الزعانف المطاطية بين الأصابع ، وقال فى ترفّع إمبراطورى :

— الحضارة ..

لم يفهم الحكيم ما يعنيه إمبراطوره ، فغمغم مستفهمًا :

— ماذا يا مولاى ؟!

عاد الإمبراطور يلوّح بكفّه فى عظمة ، وهو يقول :

— الحضارة هى التى تدفع أصحابها إلى القراءة .. وأهل الأرض يملكون الكثير منها ، وخاصّةً فى الدول ذات التاريخ .. لست أقصد بالحضارة تلك التقنية التكنولوجية ، وإنما أقصد

حضارة العقول : الفنون ، والآداب ، والتاريخ .. الحضارة الراقية ، التى تصنع منهم قومًا مقاتلين .

وانقلبت سحنته بغتة ، وومضت عينه الحمراء ببريق دموى ، وهو يستطرد :

— سأسحق هذه الحضارة .

تراجع الحكيم المستشار فى حركة حادّة ، وكأنما أفزعه ذلك الأسلوب ، وغمغم فى مزيج من الدهشة والتوتّر :

— تسحقها ؟!

ضرب الإمبراطور مسند عرشه بقبضته ، وهو يهتف :

— نعم .. أسحقها .. لقد دمّرت كل ما يحويه كوكبهم من مظاهر الحضارة : المتاحف .. والمكتبات العامة ، والآثار ، وكل شىء .

عقد المستشار حاجبيه الكثّين ، وهو يقول :

— عفوًا يا مولاى ، ولكن هذا لا يمحو الحضارة ، فالحضارة ليست فى المبانى والمقتنيات .. إنها فى العقول والنفوس .

هتف الإمبراطور فى غضب :

— سأمحوها منها أيضًا .

سأله المستشار فى لهجة رجل نفد صبره :

ـ كيف ؟

تراجع الإمبراطور فى عرشه ، وأمسك ذقنه بسبّابته وإبهامه ، وابتسم ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا مستشارى العجوز .. إن لدىّ خطّة .. خطّة لا تقبل الفشل .

* * *

انفجر مفاعل الواحات البحرية ..

انفجر المفاعل النووى الضخم ..

وصرخت (نشوى) فى هلع ..

وشهقت (سلوى) ..

وتراجع (محمود) ..

وعقد (نور) حاجبيه فى شدة ..

وهتف الدكتور (عبد الله) :

ـ الرّحمة يا إلهى !

أما القائد الأعلى ، فقد اتسعت عيناه فى قوة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

كان الستة يتوقّعون حدوث انفجار نووى رهيب ..

أجابه (نور) فى حدّة :

ـ إنهم يحتاجون إليه لهدف ما حتمًا .

تردّد الدكتور (عبد الله) ، وقال :

ـ ماذا لو أنهم .....؟

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع صفير قوى ، داخل حجرة القائد الأعلى ، وراحت كل المصابيح تضىء وتنطفئ فى سرعة ، فشحب وجه القائد الأعلى ، وهتف :

ـ يا إلهى !!.. لقد توصّلوا إلينا .

ثم استدار إلى الباقين ، مستطردًا فى يأس :

ـ إنهم يقتحمون المكان .. يقتحمون آخر أمل لكوكب الأرض

* * *



كانوا ينتظرون رؤية تلك السحابة الهائلة ، الشبيهة بفطر عش الغراب ، التى تميّز الانفجارات النوويّة ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد بدأ الانفجار ، ثم تبدّد فى سرعة ، وراحت الأسطوانة الطائرة تتألق فى قوة ، كما لو أنها تمتصّ الإشعاعات الذرية فى شراهة مخيفة ..

وخبا الانفجار فور حدوثه ..

وامتصت الأسطوانة طاقة هائلة ..

طاقة تكفى لزحزحة كوكب الأرض كله من موضعه ..

وابتعدت الأسطوانة ..

وهتف القائد الأعلى :

ـ ماذا يفعلون ؟!

أجابه الدكتور (عبد الله) فى توتّر :

ـ إنهم ينسفون كل المفاعلات النووية ، ويختزنون الطاقة الناتجة عن ذلك فى تلك الأسطوانات ، لهدف مجهول .

تمتم (محمود) فى شحوب :

ـ لا ريب أنه هدف هائل ، فسيحصلون بأسلوبهم هذا على قدر لا يمكن تخيّله من الطاقة .

٩ ـ الأمل ..

عندما أيقنت سفينة القيادة الإمبراطورية من النصر ، دارت حول نفسها فى بطء ومهابة ، ثم راحت تهبط إلى الأرض ..

وبحسبة بسيطة ، أجرتها أجهزة الكمبيوتر المتطوّرة ، التى تمت تغذيتها بكل المعلومات عن الأرض ، اختارت سفينة القيادة صحراء (مصر) الغربية مستقرًا لها ..

ومن العجيب أنها قد اختارت نفس البقعة ، التى كان يحتلّها من قبل ، مركز الاستشعار الفضائىّ المصرىّ ..

ولكن المركز لم يكن هناك ..

كانت الأشعة الأرجوانية قد سحقته تمامًا ، وبات من المستحيل تمييز بقاياه ، وسط رمال الصحراء ، الممتدّة بلانهاية ..

وفى وقار ورهبة ، هبطت المركبة الفضائية ، واستقرّت ..

وداخلها كان الحكيم (جلاكس) يقول :

ـ لماذا هذه البقعة بالذات ياسموّ الإمبراطور ؟

ابتسم الإمبراطور ابتسامة صفراء ، وقال :

ـ سَل الكمبيوتر أيها الحكيم ، فهو الذى انتقاها لا أنا .

قال الحكيم فى هدوء :

ـ مولاى يعلم ما يَخفى على شخصى المتواضع .

ابتسم الإمبراطور فى زهو ، وقال :

ـ إنها بقعة تتوسَّط العالم كله ، ومنها يمكن إصدار الأوامر للجميع ، ثم إنه هنا بالذات ، نشأت أعظم حضارات تاريخهم ، وأقصد بذلك حضارة كوكبهم ، لا تلك الحضارات الواردة ، مثل (أتلانتس) ..

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

ـ ثم إنه هنا يوجد الشخص الذى ستبحث عنه قواتنا ، والذى لا بدَّ أن يتم القضاء عليه أوَّلا ، ليستقرَّ بنا المقام هنا إلى الأبد .

قال الحكيم فى دهشة :

ـ شخص ؟!.. شخص واحد يا مولاى ؟!.. عجبًا !!.. أيخشى مولاى ، بكل قوته وسطوته ، وفى ذروة انتصاره ، من شخص واحد ؟!.. أى شخص هذا يا سمو الإمبراطور ؟!..

تطلَّع إليه الإمبراطور لحظة ، ثم هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ يا لسخافة المستشارين !!

اتسعت عينا الحكيم فى دهشة واستنكار لهذا القول ، وتراجع على نحو اعتراض ، إلا أن الإمبراطور اعتدل فوق عرشه البلُّورىّ ، ومال نحوه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ أتعلم من هذا الشخص أيها الحكيم (جلاكس) ؟.. إنه ذلك الشاب ، الذى هزم عمالقة (أرغوران) فى كوكبهم .. إنه الأجنبى الوحيد ، الذى حمل تاريخهم اسمه بحروف كبيرة .. إنه (نور) .. الرائد (نور الدين) ..

اندفع الحكيم يقول :

ـ مهما يكن يا مولاى .. فإنه مجرَّد أرضىّ .. أليس من المحتمل أن يكون قد لقِىَ حتفه ، مع الهجوم الأوَّل ؟

ضرب الإمبراطور مسند عرشه البلُّورىّ فى حنق ، وهو يهتف :

ـ كلَّا .. ليس محتملًا حتى أنه قد فعل .

هتف الحكيم فى عناد :

ـ من يمكنه أن يجزم ؟

صاح الإمبراطور فى غضب :

ـ أنا .



دقَّ مسند عرشه بقبضته في عنف رهيب ، وهو يستطرد :
ــ سأقتله أنا .. أنا بنفسي .

ران الصمت لحظة ، حدّق خلالها الحكيم في وجه الإمبراطور في حَيْرة ، قبل أن يشير الإمبراطور إلى صدره في حِدّة ، مستطردًا :

ــ عندما يموت ، سأشعر أنا بذلك .

تمتم الحكيم في مزيج من الدهشة والحَيْرة :

ــ تشعر ؟!

ثم بدا له بغتة ، أن الأمر يحمل حتمًا ، ما هو أكثر بكثير من مجرّد القضاء على أرضيّ عاديّ ، وأن الإمبراطور لن يفصح عن دخيلة نفسه أبدًا ، فآثر الصمت ، ووقف في مكانه ساكنًا بضع لحظات ، قبل أن يردف الإمبراطور في صوت مُختنق :

ــ لقد أمرت قواتنا باقتحام مقر إدارة مخابراته منذ قليل ، ولا ريب أنهم قد فعلوا الآن ، ولكنهم لن يقتلوه .. لقد أمرتهم بإحضاره حيًّا .

وفي غضب هائل ، لم يدرِ له الحكيم سببًا ، دقّ مسند عرشه بقبضته في عنف رهيب ، وهو يستطرد :

ــ سأقتله أنا .. أنا بنفسي .

وهنا أدرك الحكيم أن إمبراطوره قد غزا الأرض ، قاصدًا هذا الأرضيّ بالذات ..

هذا الأرضيّ الذى يحمل اسمًا مرادفًا للضياء ..

اسم (نور) ..

* * *

شحبت وجوه الجميع ، عندما سمعوا القائد الأعلى يقول إن المبنى السرّى قد تم اقتحامه بواسطة الغزاة واتجهت أبصارهم إلى شاشة الراصد ، وهو يستطرد فى انفعال :

ــ لقد فعلوا حتمًا ..

نقلت إليهم شاشة الراصد الداخلى ــ ولأول مرة ــ صورة الغزاة ..

وكان ذلك مخيفًا ..

لقد رأوا عشرة من العمالقة ، يبلغ طول أقصرهم المترين على الأقل ، خضر الوجوه ، حمر العيون بلا قرنية ، يرتدون ثيابًا زرقاء لامعة ، وخوذات شفافة ، تقتُم عند موضع الأذنين ، وفيما عدا ذلك ، كانت ملامحهم تشبه البشر ، من حيث التكوين التشريحى ، وأسلوب الحركة ، والملامح ..

وكان كل منهم يحمل بندقية ، تشبه إلى حد كبير بنادق اللّيزر الأرضية ..

وكانوا يهبطون عبْر المهبط السرّى ، واحدًا بعد الآخر ..

وصاحت (نشوى) فى ارتياع :

ــ يا إلهى !!.. كيف فعلوا ذلك ؟!.. كيف نجحوا فى تشغيل المهبط ؟!

هتف بها القائد الأعلى :

ــ لم يعُد ذلك يهم يا بنيّتى .. لقد فعلوها . وهم الآن فى طريقهم إلى هنا .

انتزع (نور) مسدسه اللّيزرى من غمده ، وهو يهتف فى صلابة :

ــ سنثبت لهم أن حياتنا باهظة الثمن .

صاح القائد الأعلى :

ــ كلّا يا (نور) .. كلّا يا ولدى .. لن أسمح لك بالمخاطرة .

هتف (نور) مستنكرًا ..

ــ ولكن يا سيّدى ..

قاطعه القائد الأعلى فى حزم :

ــ ليس هذا من شأنك .. إننى أحتاج إليك لمهمّة أكثر خطورة .. بل العالم كله يحتاج إليك من أجلها .

كانت معانى الكلمات أضخم بكثير ، مما يمكن أن يتصوّره

أن ينتظره (نور) ، فى مثل هذه الظروف ؛ لذا فقد هتف فى انفعال :

— حياتى فى خدمة الوطن يا سيِّدى .

أسرع القائد الأعلى يضغط زرًا فى مكتبه ، فانفتحت فجوة سرِّيَّة ، اختطف من داخلها حقيبة صغيرة مربَّعة ، ناولها إلى (نور) ، وهو يقول :

— خذها يا ولدى .. احرص عليها حرصك على حياتك .. بل أكثر من ذلك .

سأله (نور) فى دهشة :

— ما هذه يا سيِّدى ؟

تنهَّد القائد الأعلى ، وهو يقول :

— منذ سنوات ، يضع لنا كمبيوتر خاص عدة تصوُّرات ، لما يمكن أن يحدث على الأرض ، إذا ما نجح بعض الغزاة فى احتلال الأرض ، وفى إحدى افتراضات الكمبيوتر الوهمية ، أشار إلى احتمال أن يلجأ المحتلون إلى تدمير كل حضارتنا وتاريخنا ؛ لذا فقد عمدنا إلى تدوين كل تاريخ العالم ، وفنونه ، وحضارته ، وعلومه ، على أسطوانات ميكروكمبيوتر فائقة الحساسية ، ستجد فيها ما يمكنه أن يعيد إلى الأرض حضارتها

كاملة .. حتى لوحات عظماء الفن ، والنُّوت الموسيقية لأعظم عباقرة التاريخ ، إلى جوار التصميمات الكاملة لكل المخترعات والمكتشفات .. وهذه الحقيبة هى أمل الأرض الوحيد ، فى أن تستعيد حضارتها يومًا ، وإلا فسترزح حتى الأزل ، تحت نير الاحتلال .

تناول (نور) الحقيبة بأصابع مرتجفة ، وهو يغمغم :

— إنها مسئولية رهيبة يا سيِّدى ، وهؤلاء الغزاة يقتحمون المكان ، و ..... قاطعه القائد الأعلى :

— دعك منهم .. سأبقى هنا للتصدِّى لهم ، أما أنت ورفاقك ، فستغادرون المكان من هنا .

قالها وضغط زرًا آخر ، فانزاحت خريطة العالم الضخمة من أمامه ، لتكشف عن ممر طويل ، يمتد إلى ما لا نهاية ، وهو يقول :

— سيقودكم هذا الممرّ السِّرِّىّ إلى وسط المدينة ، ويمكنكم البقاء فيه لمدة عام كامل لو أردتم .

قال (نور) فى حزم :

— إذن يمكننا أن نذهب كلنا .

هزَّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وقال :

— كلا ياولدى ، لابدّ أن يبقى أحدنا هنا ، ليدمّر الأزرار ، بعد رحيلكم .

هتف (نور) :

— ألا يمكن أن ..... ؟

قاطعه دوى الأشعة الأرجوانية لبنادق الغزاة ، وهى ترتطم بباب مكتب القائد الأعلى ، الذى هتف :

— هيّا .. اذهبوا .. لاوقت للجدل .

ثم تشبّث بذراع (نور) ، مستطردًا :

— لاتتردّد .. إنه مصير الأرض كلها .. هيّا .

ولم يتردّد (نور) ..

اندفع مع رفاقه إلى الممر السّرّى ؛ وراحوا يعدون فيه بسرعة ، وهتف القائد الأعلى فى الدكتور (عبد الله) :

— اذهب يا (عبد الله) .. اذهب بسرعة .

أخرج الدكتور (عبد الله) من جيب معطفه مسدّسًا ليزريًا ، وهو يقول فى حزم :

— سأبقى .

ثم أطلق أشعة مسدّسه على الأزرار ، الذى انفجرت على الفور ، وأسرع باب الممر السّرّى يُغلق ، على حين هتف القائد الأعلى :

— اذهب قبل أن تضيع الفرصة .

صاح الدكتور (عبد الله) فى حزم :

— لن أذهب .

ثم أضاف ، وهو يحاول عبثًا أن يبتسم :

— ثم إن الموت أفضل كثيرًا ، من البقاء فى ظل الاحتلال .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اقتحم العمالقة باب الحجرة ، وانطلقت خيوط الأشعة فى المكان ..

* * *



١٠ ـ الهــروب ..

توقَّف أحد رجال الإمبراطور (آغرو) عند مدخل قاعته الإمبراطورية ، ورفع قبضته المضمومة إلى أعلى ، وهو يقول :

ــ فليحي الإمبراطور العظيم .

أشار إليه الإمبراطور بكفِّه ، ليسمح له بالدخول ، فاعتدل الرجل فى ثبات ، وخلع خوذته الشفَّافة ، وحملها تحت إبطه ، وهو يعبر القاعة فى خطوات قوية ، حتى بلغ موضع إمبراطوره ، فانحنى أمامه فى احترام ، حتى سمعه يقول فى برود :

ــ حسنًا .. ماذا هناك ؟

اعتدل الرجل ، وأجاب فى قوة :

ــ تمت السيطرة على قارات الكوكب كلها يا مولاى .. فلقد أعلنت القارة الشمالية الغربية ، التى يطلقون عليها اسم (أمريكا الشمالية) استسلامها ، بعد تدمير كل وسائلها القتالية ، وامتصاص طاقة صواريخها ذات الرءُوس النوويَّة تمامًا ، وانفجار مدافعها اللّيزرية ، وكذلك فعلت القارة

الجنوبية ، التى تحمل نفس الاسم ، أما عن (آسيا) ، فلقد استسلمت أعظم قواها ، تلك المعروفة باسم (الاتحاد السوفيتى) ، بعد أن اضطررنا لقتل وتدمير وسحق ربع سكانها تقريبًا ، وبعدها استسلمت (أوروبا) دون قيد أو شرط ، وكذلك (أستراليا) ، أما (إفريقيا) ، وذلك الجزء المعروف باسم (الشرق الأوسط) ، فهم يواصلون العناد والتصدِّى .

عقد الإمبراطور حاجبيه فى غضب ، وهتف وهو يلوِّح بذراعه :

ــ واصلوا مهاجمتهم وتحطيمهم .. حطِّموا وانسفوا كل آثارهم .. كل منازلهم .. أريد أن يستسلموا حتمًا .

أجابه الرجل فى حزم :

ــ سيفعلون يا مولاى .

ثم ظهر التردُّد على وجهه لحظة ، فسأله الإمبراطور فى عصبيَّة :

ــ حسنًا .. ماذا هناك ؟

تردَّد الرجل لحظة أخرى ، ثم أجاب :

ــ مولاى .. لقد أمرتنا بتدمير كل حضاراتهم وآثارهم ، ولكن .....

هتف به الإمبراطور ساخطاً :

ـ ولكن ماذا ؟

حسم الرجل تردُّده ، وأجاب :

ـ هناك بناءان ، عجز رجالنا عن تدميرهما تمامًا .

هتف الإمبراطور فى حنق :

ـ ماهما ؟

أجاب الرجل :

ـ تلك الأهرامات الثلاثة فى (مصر) .. إنها تمتص أشعتنا الأرجوانية ، وتشتتها لسبب ما ، بحيث نعجز عن تدميرها تمامًا .

هتف الإمبراطور فى سُخط :

ـ وماذا أيضًا ؟

ارتجف صوت الرجل ، وهو يقول :

ـ بناء صغير فى (السعودية) يامولاى .. بناء يحيط به ملايين البشر .

تراجع الإمبراطور ، وهو يغمغم فى توتُّر :

ـ بناء صغير ؟!

بدا صوت الرجل هلعًا ، وهو يقول :

ـ نعم يامولاى .. بناء فى نقطة مركز كوكبهم تمامًا ، ما إن يقترب رجالنا منه ، حتى يزلزل الرُّعب كيانهم ، ويفقدون السيطرة على مقاتلاتهم ، دون أن تلتقط أجهزة مركباتهم أيّة مؤثرات خارجية غير مألوفة .

خفت صوت الإمبراطور ، حتى بات أشبه بالهمس ، وهو يتمتم :

ـ أى بناء هذا ؟

كان صوت الرجل يُوحى بأنه يُعانى رُعبًا هائلًا ، وهو يجيب :

ـ إنهم يطلقون عليه اسم الـ .. الـ .....

هتف به الإمبراطور :

ـ الـ (ماذا) ؟

صاح الرجل فى هلع :

ـ الكعبة يامولاى .. الكعبة .

سرت قشعريرة مخيفة فى جسد الإمبراطور ، وهو يردِّد فى هلع هائل :

ـ الكعبة ؟!

ثم أمسك مسندَىْ عرشه البلّورىّ فى توتُّر هائل ، قبل أن يهتف :

— حسنًا .. دعوهما .. دعوا الأهرامات الثلاثة ، وهذه ال ... الكعبة .. دعوهما .. لا تمسُّوهما .

بدا الارتياح على وجه الرجل ، كأنما حمل ثقيل قد انزاح عن كاهله ، وغمغم :

— شكرًا يا مولاى .. أعنى .. حسبما تأمر يا سمو الإمبراطور .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول الإمبراطور فى عصبيَّة :

— وماذا عن ذلك الأرضىّ ؟

ارتجف الرجل فى قوّة ، كما لو كان السؤال غير متوقَّع قطُّ ، ثم هتف :

— لا ريب أنهم قد ظفروا به الآن يا سمو الإمبراطور .. أعنى أنه من المحتم أنهم قد فعلوا ، و .....

قاطعه الإمبراطور فى غضب هادر :

— وماذا ؟

ارتجف الرجل ، وتراجع وهو يتمتم :

— لست أدرى يا مولاى .. إننى أنتظر تقريرهم .

هتف الإمبراطور محتدًا :

— أريد هذا التقرير فى خلال ساعة واحدة .

غمغم الرجل :

— كما تأمر يا مولاى .. كما تأمر .

ثم استدار ، وابتعد بأقصى ما تسمح له به ساقاه من السرعة ، خشية أن يورَّط فى غضب إمبراطورىّ جديد ، فى حين انعقدت عينا الإمبراطور غضبًا ، وهو يقول لنفسه فى حنق :

— لابدَّ أن يذهب هذا الأرضىّ .

وضرب مسند مقعده بقبضته ، مستطردًا فى عنف :

— لابدَّ ..

* * *

واصل فريق (نور) الصغير ، المكوَّن من (سلوى) و (نشوى) و (محمود) ، وهو ، عدْوَه عبْر الممر الطويل ، وتصاعد صوت لهاث الأربعة ، فى الممر الممتد ، على نحو يبدو لانهائيًا ، حتى هتفت (نشوى) :

— لن أحتمل .. لم أعُد أحتمل .

هتف (نور) :

— قاومى .. من الضرورىّ أن نبتعد بقدر الإمكان .

صاح (محمود) ، فى صوت يشفُّ عن التهالك :

— رُوَيْدك يا (نور) .. القافلة تسير بقدر احتمال أضعفها ..

قيّدت العبارة ساق (نور) بغتة ، فتوقّف عن العَدْو ، مغمغمًا :

— صدقت .

توقّف الجميع خلفه ، وتعالى صوت لهاثهم ، وهم يلقون أجسادهم أرضًا ، وهتفت (سلوى) :

— لو أنك لم تتوقّف الآن ، لسقطت وحدى يا (نور) .

وغمغمت (نشوى) فى إنهاك :

— هذا الممر أطول مما ينبغى .. إنه يبدو وكأنه لا نهاية له .

تمتم (نور) :

— هناك نهاية حتمًا .

وراح (محمود) يلهث فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، إلى أن أردف (نور) فى توتّر ، وهو يلقى ببصره إلى أوّل الممرّ :

— يبدو أن هؤلاء الغزاة لم يكشفوا أمر الممر السّرّى ، وإلا لحقوا بنا على الفور .

قال (محمود) فى صوت اختلطت ارتجافته بلهاثه :

— هذا من حسن الحظ ، إننى أشعر برُعب هائل ، كلما تذكّرت منظرهم المخيف .

وهتفت (سلوى) :

— إنهم عمالقة .

قال (نور) فى جدّة :

— ضخامة الأجساد ليست مقياسًا للتفوّق ، وإلا كان الفيل ملك الغابة حتمًا .

اعتدلت (سلوى) ، وهى تقول :

— ولكنهم أقوى منا بالفعل يا (نور) .. ألم تر كيف هزموا العالم كله فى أقلّ من يوم واحد ؟

أجابها فى ضيق :

— ربّما لأنهم باغتونا ، فلم نملك الوقت الكافى لتبيُّن نقاط ضعفهم ، أو وسيلة مهاجمتهم .

هتف (محمود) :

— ربّما .

وهنا التفتت (سلوى) إلى ابنتها ، تسألها :

— هذا ليس مؤكدًا .. أليس كذلك يا (نشوى) ؟

ألقت سؤالها ، وهتفت فى لوْعة :

— (نشوى) .. أتبكين ؟

أجابتها (نشوى) فى صوت حزين ، تبدو الدموع واضحة فى حروفه ونبراته :

— نعم يا أمى .. أبكى .

هُرِعَتْ إليها فى لوعة وأسى ، وضمتها إلى صدرها فى حنان ، وهى تهتف :

— جففى دموعك يا بنيتى .. إنها أزمة طارئة بحق ، و .....

قاطعتها (نشوى) فى مرارة :

— لست أبكى ما يحدث يا أماه .. بل أبكى مَنْ ذهبَ .

تنهدت (سلوى) ، وهى تقول فى حزن :

— أتقصدين (رمزى) ؟

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، فقال (نور) :

— كلنا نبكيه يا بنيتى .. هو والدكتور (حجازى) ، والدكتور (عبد الله) ، والقائد الأعلى .

هتفت فى مرارة :

— أتعنى أن الغزاة قد قتلوا الآخرين يا أبى ؟

أجابها فى ألم :

— حتمًا يا بنيتى .. حتمًا ..

وزفر فى حرارة ، مستطردًا :

— إنه الغزو .. غزو اللعنات .

* * *

انفتح باب القاعة الإمبراطورية ، فى سفينة قيادة الغزو ، واندفع داخلها رجلان فى سِنّ الكهولة ، يبدو التهالك فى وجوههما واضحًا ، ويبدو الإرهاق فى قسماتهما جليًّا ، وخلفهما ستة من الغزاة ، رفع أكبرهم رتبة قبضته أمام وجهه ، وهو يقول :

— التحيات للإمبراطور العظيم .

أجاب الإمبراطور تحية قائد الجنود بإيماءة من يده ، وقال :

— من هذان الأرضيّان ؟

أجابه قائد الجنود :

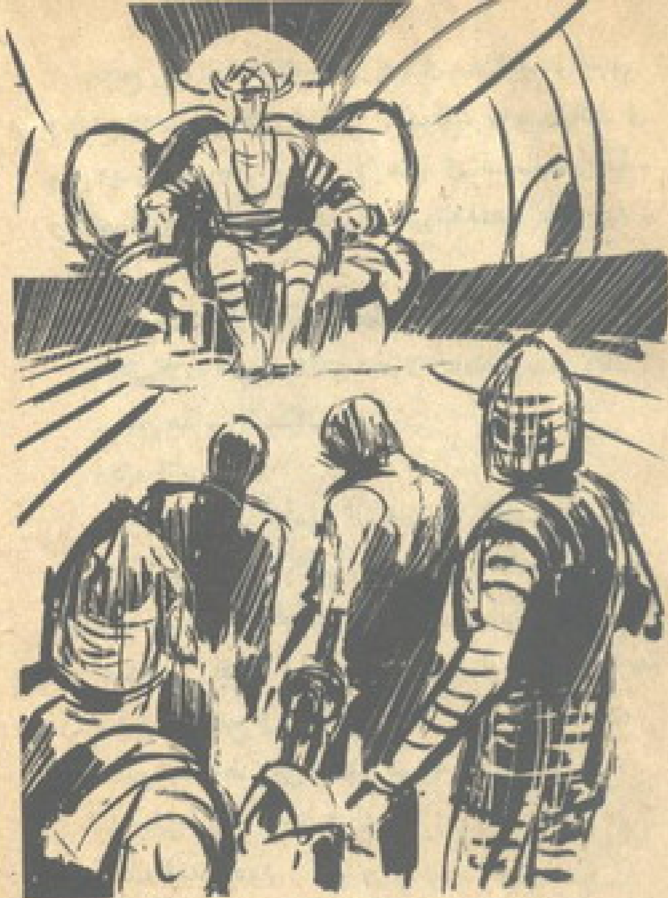
— إنهما القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، ورئيس قسم الأبحاث العلمية التابع لها ، فلقد هاجمنا مقر المخابرات السفلىّ ، كما أمرتنا ، ولكننا لم نجد الرائد المطلوب ، ووجدنا هذين فقط ، ولقد قاومانا فى شراسة ، وقتلا أربعة منا ، قبل أن ننجح فى أسرهما .

تطلّع الإمبراطور إلى وجهى أسيريه ، وهو يقول :

— وهل كان (نور) هناك ؟

أجابه قائد الجنود :

— كلا .. لم يكن هناك ، ولكنهما يعرفان موضعه حتمًا .



انفتح باب القاعة الإمبراطورية ، فى سفينة قيادة الغزو ، واندفع داخلها رجلان فى سِنّ الكهولة ، يبدو التهالك فى وجهيهما ..

كان الحديث يدور طيلة الوقت بلغة (جلوريال) ، لذا فلم يفهم الدكتور (عبد الله) والقائد الأعلى حرفًا واحدًا منه ، حتى التفت إليهما الإمبراطور ، وقال بلغة عربية سليمة ، وباللهجة المصرية :

ــ أين (نور) ؟!

تطلّع الرجلان إليه فى دهشة ، وهتف الدكتور (عبد الله) :

ــ ربّاه !!.. إنه يتحدّث العربية !!

أجابه الإمبراطور فى برود :

ــ أنا أختلف عن الجميع .. إننى أتحدّث بكل لغات الكون ، وهذا ما صنع منّى إمبراطورًا .. أما الآخرون ، فهم يعجزون عن التحدّث بأيّة لغة ، فيما عدا لغة (جلوريال) ؛ لذا فهم يحتاجون إلى تلك الخوذات ، التى يضعونها على رءُوسهم ، لتترجم لهم فوريًا كل كلمة تنطقون بها يا أهل الأرض .

أدار الدكتور (عبد الله) رأسه إلى الغزاة ، يتأمّل الخوذة الشفّافة فوق رءُوسهم ، مغمغمًا فى شغف :

ــ إذن فهذه هى قبّة الترجمة ؟!.. رائع .. إنه جهاز جيّد ،

ولكننا صنعنا مثله فيما مضى ، واستخدمته (سلوى) بنجاح ، فى كوكب الأساطير ،(*) و .....

قاطعه الإمبراطور فى صوت غاضب هادر :

ــ كفى .

ثم استطرد فى غضب صارم :

ــ أين (نور) ؟

سأله القائد الأعلى فى برود :

ــ مَنْ (نور) ؟

ابتسم الإمبراطور فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ ألا تدرى مَنْ هو (نور) ؟!.. حسنًا .. سأخبرك أنا .. إنه شاب من شباب المخابرات العلمية المصرية ، يحمل رتبة رائد ، والرمز الكودى (م.م) ، والرمز يعنى أنه (مقاتل متميِّز) ، ورقمه الشفرى (٣٣٠٠٧٠٦) ، ويمكن استخدام الكود (م/٦) بدلًا منه ، وللمعلومات العاجلة ، وهو مؤهَّل للقيادة ، ويمتلك عقلية استنباطية نادرة .. أتعلم الآن مَنْ هو (نور) ؟

تمتم القائد الأعلى فى صرامة :

(*) راجع قصة (الأسطورة) .. المغامرة رقم (٥٠) .

ــ لا توجد قوة فى العالم ، يمكنها أن تجبرنى على البوح بمعلومة أرفض منحها .

قال الإمبراطور فى غضب :

ــ هكذا ؟!

ثم التقط من ظهر مقعده قضيبًا شفافًا ، صوَّبه نحو القائد الأعلى ، مستطردًا :

ــ سنرى .

وفجأة ، انطلق من القضيب شعاع أرجوانى رفيع ، أصاب رأس القائد الأعلى ، فانفجرت جمجمته على الفور ، وتناثرت أشلاؤها ، وقفزت الدماء إلى وجه الدكتور (عبد الله) ، الذى هتف فى ارتياع ، وهو يرى قائده الأعلى يسقط جثة هامدة ، بلا رأس :

ــ أيها القتلة ، ماذا فعلتم به ؟

صاح به الإمبراطور فى صرامة :

ــ أتحب أن تلحق به ؟

صرخ الدكتور (عبد الله) فى مرارة :

ــ اذهب إلى الجحيم أيها الوغد .. اذهب إلى الجحيم .

برقت عينا الإمبراطور بلهيب أحمر دموى ، وهو يصرخ :

— قل لى أيها الأرضىّ الحقير .. أين الرائد (نور) ؟

هتف الدكتور (عبد الله) :

— أنت هو الحقير أيها الوغد .. أنت هو منْ يقتل العُزّل بلا رحمة ، أو شفقة .

صاح به الإمبراطور فى صرامة :

— نعم .. أنا هو .. هل ستخبرنى أين الرائد (نور) أم لا ؟

صرخ الدكتور (عبد الله) :

— اذهب إلى الجحيم .

ارتسم كل الغضب على وجه الإمبراطور ، وقال :

— بل اذهب أنت إليه .

وارتفع القضيب الشفاف نحو رأس الدكتور (عبد الله) ، فصرخ فى رُعْب :

— كلّا .. كلّا .

ثم انهار ، مستطردًا :

— سأخبرك .. سأخبرك أين تجد الرائد (نور) .

* * *

١١ — الاحتلال ..

تابع (نور) ورفاقه سيرهم ، عَبْر الممر الطويل ، بعد أن حصلوا على قدر مناسب من الراحة ، وعادت (نشوى) تقول فى توتُّر :

— أما من نهاية لذلك الممرّ ؟!

غمغم (نور) فى خُفوت :

— لكل شىء نهاية .

وصمت لحظة ، ثم لم يلبث أن استطرد فى صوت حازم مرتفع :

— كل شىء .

زفرت (سلوى) ، وهى تقول :

— حسنًا .. ما نهاية هذا الممرّ ؟

برقت عيناه فجأة ، وهو يهتف :

— هنا .

التفت الجميع إلى حيث يشير ، وهتفت (نشوى) فى لهفة :

— يا إلهى !!.. هذا صحيح .

انبعث فى قلوب الجميع قوّة مفاجئة ، عندما وقعت أبصارهم على قاعة جانبية ضخمة ، كانت تخفيها عن أعينهم الغشاءة حادة ، وانطلق الجميع إلى القاعة ، حيث اتسعت عيونهم عن آخرها انبهارًا ودهشة ، وهتفت (سلوى) :

— مستحيل !!

أما (محمود) فصاح :

— إنه معمل تكنولوجى متكامل ، ووحدة ميكروكمبيوتر رائعة ، مع جهاز مراقبة متطوّر .. إنه إنجاز حضارى رائع !!

وصاحت (نشوى) :

— بل هو معجزة !!

أمّا (نور) ، فقد دمعت عيناه ، وهو يغمغم فى خفوت :

— خطأ .. إنه عنوان الإرادة البشرية .

ثم اتجه نحو شاشات المراقبة ، وضغط أزرارها ، مستطردًا :

— فلنحاول معرفة ما يحدث فى الخارج أوّلًا .

لم يكد يضغط الأزرار ، حتى أضيئت أربع شاشات رصد متجاورة ، تنقل ما يدور فى أربعة أماكن مختلفة من البلاد ..

وكانت المشاهد كلها مؤلمة ..

جنود الغزاة يملئون الطرقات ..

الشعب كله مستسلم مذعور ضائع ..

كل صور الحضارة تهاوت وتهدّمت ..

كل التاريخ انهار وانسحق ..

كان دمارًا شاملًا ..

دمارًا ماديًا ومعنويًا ..

وبكت (سلوى) ..

وشهقت (نشوى) فى مرارة ..

وعضّ (محمود) شفتيه قهرًا ..

أما (نور) ، فقد عقد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

— يا للأوغاد !! سيدفعون الثمن .. سيدفعونه حتمًا ..

غمغمت (سلوى) فى انهيار :

— أما زلت تملك بعض الأمل ؟

هتف فى حزم :

— نعم .. وحتى آخر لحظة فى حياتى .

غمغم (محمود) ، فى صوت أقرب إلى البكاء :

— لا فائدة يا (نور) .. لقد حطّمونا .

صاح به (نور) غاضبًا :

— لا تقل هذا .

ثم رفع تلك الحقيبة المربعة ، التى أعطاه إياها القائد الأعلى ، مستطردًا فى حزم وصرامة :

ـ مازلنا نملك حضارتنا .

هتفت (نشوى) :

ـ وحدنا يا أبى .. أما العالم كله ، فقد استسلم وانهار .. نعم .. لقد سقطت الأرض .. سقطت إلى الأبد ..

* * *

استمع الإمبراطور (آغرو) إلى الدكتور (عبد الله) فى هدوء شديد ، حتى انتهى هذا الأخير من روايته ، ثم ران الصمت تمامًا ، داخل القاعة الإمبراطورية ، قبل أن يغمغم الإمبراطور :

ـ إذن فقد هرب (نور) .

أومأ الدكتور (عبد الله) برأسه ، قائلًا :

ـ نعم يا صاحب السموّ الإمبراطورى .. لقد هرب .. أصابه الرُّعب ، وهرب ، وأظنه قد اتجه إلى مقر إدارة المخابرات فى (الإسكندرية) أو (الأقصر) ، و .....

قاطعته صيحة الإمبراطور الصارمة :

ـ كاذب ..

حدّق الدكتور (عبد الله) فى وجه الإمبراطور فى هلَع ، فاستطرد هذا الأخير فى لهجة أشد صرامة وغضبًا :

ـ كاذب وحقير .

غمغم (عبد الله) فى اعتراض متخاذل :

ـ ولكن يا مولاى ..

قاطعه الإمبراطور مرّة أخرى ، وهو يقول فى غضب :

ـ أقول لك إنك كاذب وحقير .. اسمع يا رجل .. إن لدى هنا ملفًا كاملًا من ذلك الرائد (نور) ، وهذا الملف يقول إنه ليس من النوع الذى يهرب أو يفر ، أمام أصعب المواقف ، مهما بلغت دقتها وخطورتها ، وهذا يعنى أنك كاذب .

غمغم الدكتور (عبد الله) :

ـ إننى أقول الحقيقة .

عاد الإمبراطور يصرخ ساخطًا :

ـ كاذب .. كاذب .. كاذب ..

ثم رفع القضيب الشفاف نحو رأس الدكتور (عبد الله) ، مستطردًا فى صرامة مخيفة :

ـ سأمنحك فرصة أخيرة يا رجل .. قُل لى أين الرائد (نور) ، أو أنسف رأسك نسفًا .

هتف الدكتور (عبد الله) :

ـ أقسم لك يا مولاى إنه قد هرب ..

صاح الإمبراطور :

ــ حسنًا .. إلى أين هرب ؟ وأين ذهب ؟

هزّ الدكتور (عبد الله) كتفيه ، قائلًا :

ــ لست أدرى .. إننى أجهل الكثير عن الشقّ العملىّ السرّىّ لرجال المخابرات العلمية ، و.....

صرخ الإمبراطور :

ــ صَهْ يا رجل .. كذبك يصيبنى بالغثيان .

قال الدكتور (عبد الله) فى هدوء شديد ، بدا عجيبًا بالنسبة للموقف :

ــ يمكنك أن تحتمل هذا الشعور .

ثم انفجر فجأة ، صائحًا فى غضب :

ــ لأننى أحتمله منذ التقيت بك .. أنت أيضًا تصيبنى بالغثيان والاشمئزاز .. فأنت شىء حقير ، يرغب فى مدّ رقعة سيطرته إلى خارج كوكبه ، واختار كوكبنا ليستكمل فيه شروره . و .....

لم يدعه الإمبراطور يكمل حديثه ..

لقد أخرسه ..

أخرسه بطلقة من أشعة أرجوانية ، نسفت رأسه على الفور ..

وتهاوى الدكتور (عبد الله) جثة هامدة ..

حفر التاريخ الجديد اسمه بحروف من (نور) ، فى سجل الشهداء والأبرار ..

سقط الرجل شهيدًا ..

سقط بطلًا ..

وعلى أرضية القاعة الإمبراطورية ، سالت دماء الرجل ، وامتزجت بدماء القائد الأعلى ..

وصاح الإمبراطور فى غضب :

ــ بشر حمقى .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، مستطردًا :

ــ احمل جثتيهما بعيدًا .

وصمت لحظة ، ثم استطرد :

ــ وأعلن بيان الاحتلال ، ولترفع علم (جلوريال) فى كل مكان ..

ــ سنحتفل بالنصر ..

* * *

كان (نور) و (سلوى) و (نشوى) و (محمود) يراقبون الشاشات ، عندما نقلت إليهم بغتة بيان الاحتلال ..

وفى صوت خشن صارم ، كان الإمبراطور يقول فى حديث مسجّل مسبقًا :

ـ يأهل الأرض .. منذ اليوم ولّت أيامكم السابقة .. ومنذ اليوم صرتم أتباعا لنا .. نحن أهل كوكب (جلوريال) العظيم .. ومنذ هذه اللحظة ، صارت هناك أمور ينبغى اتباعها .. فلا تعليم ، ولا فن ، ولا موسيقى .. ولا صلوات ، ولا علم ولا مرح .. العمل وحده هو حياتكم ، من الآن فصاعدا .. وستوزع عليكم ، وتعلق فى كل مكان ، قائمة بالممنوعات .. ستكون عديدة ، ولكن كلها ستخضع لعقوبة واحدة ، هى الإعدام .

غمغم (نور) فى مرارة :

ـ أيها الوغد الحقير .

ثم سالت من عينيه دمعة قهر ، امتزجت بدموع رفاقه ، عندما شاهد الجميع علمًا أزرق اللون ، تتوسطه دائرة حمراء ، يرتفع فى كل مكان ، بدلًا من أعلام الدُّوَل ..

إنه علم (جلوريال) ..

علم الاحتلال ..

ولم تكن هذه أيضًا هى النهاية ..

بل كانت البداية ..

* * *

[انتهى الجزء الأوّل ، ويليه الجزء الثانى]

(المقاومة)

رقم الإيداع ٣٢٦٥

روايات
مصرية للجيب



ملف المستقبل
سري جداً!!

٧٧

المقاومة



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ـ وبكى التاريخ ..

عام مضى ..

عام كامل من الاحتلال ..

احتلال الأرض ..

عام بدا للجميع أشبه بدهر كامل ..

لم تعد الأرض هى ذلك الكوكب ، الذى عرفه سكّانه ، فى القرن الحادى والعشرين ..

ذهبت الحضارة ..

انهار التقدّم ..

بكى التاريخ ..

فقد البشر كل تطوّرهم وحريتهم وأمنهم ..

ما صنعته الحرّيّة والحضارة فى قرون ، حطّمه القهر والاحتلال فى عام واحد ..

دمّره ..

سحقه ..

وخبا بريق الأمل في العيون ..
انسحقت الكبرياء ، تحت أقدام الظلم ..
صارت كل أوجه الحضارة محظورة ممنوعة ..
الاستماع إلى الموسيقى فقط ، كان يكفي كجريمة عقوبتها الإعدام ..
لم تعُد هناك تكنولوجيا ..
لم تعُد هناك حضارة ..
فقط عمل .. وقهر ..
جنود الإمبراطور (آغرو) يملئون طرقات كل البلدان ، في قارات العالم الست ، بعيونهم الحمراء في لون الدم ، وبشرتهم الخضراء ، وزيّهم الأزرق اللامع ، الذى تتوسّطه دائرة حمراء ، وبنادقهم الخفيفة ، التي تُطلق تلك الأشعة الأرجوانية الساحقة ..
فقدت كل دول العالم استقلاليتها وحريتها ..
لم يعُد هناك سوى علم واحد ..
علم (جلوريال) .. كوكب المحتلين ..
وفي سماء الأرض ، كانت هناك ملايين المقاتلات .. مقاتلاتهم ..

وفي الفضاء كانت هناك آلاف الأقمار الصناعية ، المزوّدة بمدافع اللّيزر القتالية والدفاعيّة ..
أقمارهم فقط ..
وكان هناك ذلك الرُّعب الطائر ..
مراقب فضائيّ عملاق ، تقتصر مهمته على مراقبة الأرض في كل لحظة ، وتسجيل كل ما يحدث على سطحها من ظواهر ، وسحق كل ظاهرة عجيبة ، لا تتفق مع برنامجه ، على الفور .. سحقها بلا رحمة !!
هكذا كانت الصورة ، بعد عام كامل من الاحتلال ..
وفي أذهان كل سكان الأرض — بلا استثناء — لم تكن أحداث البداية قد امّحت بعْد ..
بداية الاحتلال ..

* * *

بدأ الأمر بسيْل من النيازك ، التقطته راصدات مركز الاستشعار الفضائيّ المصريّ ، وهو يندفع نحو الأرض ..
ولقد أثار الأمر ذعرًا شديدًا ..
كانت النيازك بالغة الضخامة ، تتجه نحو الأرض في سرعة مخيفة ، مما يجعل ارتطامها بها حتميًا ..

وفجأة ، انفصلت بعض تلك النيازك عن البعض ، وعبرت الغلاف الجويّ الأرضيّ كعشرات الكُرات النارية الملتهبة ، واستقرّت في كل قارّات العالم ، ثم لم تلبث كل خمسة منها أن تقاربت ، وأحاطت بها قبّة ورديّة ..

وفشلت كل محاولات اختراق تلك القباب ..

كل تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين فشلت في اختراقها ..

وظهر نيزك آخر بالغ الضخامة ..

وفجأة ، حطّم ذلك النيزك كل أقمار الأرض الدفاعيّة ، مستخدمًا أشعة أرجوانية ساحقة ، تحيل كل ما تمسّه إلى رماد ..

وكانت هذه إشارة البدء ..

فجأة ، تحوّلت كل القباب من اللون الورديّ إلى الأزرق ، وانطلقت منها آلاف المقاتلات الصغيرة ، التي راحت تسحق وتدمّر كل ما تصل إليه ، مستخدمة أشعة أرجوانية مماثلة ..

وكان هدف هذه المقاتلات هو الحضارة ..

كل أوجه الحضارة ..

وانهارت المتاحف ودور الكتب العامة ..

انسحقت مراكز الكمبيوتر والمعلومات ..

حتى دور الأوبرا ومعاهدها ..

وانطلق (نور) ينشد النجاة ..

وأنقذ ابنته وزوجته ، وانطلق الثلاثة يسعون لإنقاذ (رمزى) و (محمود) ، والدكتور (حجازى) ..

ولكنهم عثروا على (محمود) فقط ..

كان منزل (رمزى) قد انسحق تمامًا ، ومنزل الدكتور (حجازى) خاليًا ..

وانطلق بهم (نور) ، في محاولة أخيرة ، إلى مبنى المخابرات العلمية ..

ولم يكن المبنى هناك ..

كان قد انسحق ..

وكان على الأربعة أن يهبطوا إلى المقر السفليّ الخفيّ ..

ولقد فعلوا ..

وفي نفس الوقت ، كانت سفينة القيادة الإمبراطورية قد هبطت إلى الأرض ، واختارت صحراء (مصر) الغربية كمركز لقيادة الغزو ..

وداخل سفينة القيادة ، كان إمبراطور الغزاة (آغرو)

يُصدر أوامره بضرورة البحث عن الرائد (نور) وقتله ، بعد أن وجد ملفًا كاملًا عنه ، فى كوكب (أرغوران) بعد احتلاله ..

وفى المركز السِّرِّىّ لقيادة المخابرات العلمية المصرية ، التقى (نور) ورفاقه بالقائد الأعلى ، والدكتور (عبد الله) ، مدير إدارة البحث العلمىّ ، وأعطى الأوّل لـ (نور) حقيبة بالغة الخطورة ، تضمّ عددًا من مكعبات الكمبيوتر ، تحوى كل حضارة وتاريخ كوكب الأرض ، وأخبره أنها الأمل الوحيد فى استعادة حضارة ، ومجد ، وتاريخ هذا الكوكب يومًا ما ، وطلب منه الحفاظ عليها ، والدفاع عنها ، وحمايتها بحياته ، ثم ساعده مع فريقه على الفرار ، عَبْرَ نَفَق سرّىّ للطوارئ ، يستحيل كشفه ، وبقى هو والدكتور (عبد الله) يواجهان قوات المحتلّين ، التى اقتحمت المقر السِّرِّىّ لإدارة المخابرات العلمية المصرية ..

ويواجهان مصيرهما ..

أما (نور) ورفاقه ، فقد وجدا فى ذلك النَّفَق قاعة تكنولوجية كاملة ، هى — على الأرجح — آخر نقطة حضارية فى العالم أجمع ..

وعَبْرَ شاشاتهم الراصدة ، فى المقرّ السِّرِّىّ ، رأى الأربعة راية زرقاء ، تتوسطها دائرة حمراء ، ترتفع فى كل مكان ..

وكانت راية (جلوريال) ، كوكب الغزاة ..

راية الاحتلال(*) ..

* * *

هوَت قبضة إمبراطور (جلوريال) على مسند عرشه البلّورىّ كقنبلة ، وهو يهتف فى غضب عارم :

— لم تجدوه ؟!.. ماذا تعنى بأنكم لم تجدوه يا (كوماد) ؟!.. إنك قائد جيشى ، ولقد خوّلتك سلطة مطلقة ، لا تفوقها سوى سلطتى أنا نفسى ، وهذا يعنى أنك تملك كل مقاليد الأمور ، فكيف تفشل مع كل رجالك فى العثور على رجل واحد ، طوال عام كامل من البحث ؟!

كان (كوماد) هذا يشبه إمبراطوره كثيرًا ، بل يبدو أشد قوّة وحزمًا وصلابة ، وهو يرتدى نفس الزّىّ ، الذى يرتديه الجنود بالإضافة إلى حرملة حمراء ، تميّزه كقائد عام لجيش (جلوريال) ، وكان يبدو هادئًا — على الرغم من غضب إمبراطوره — وهو يقول :

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوّل (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

— لقد بذل الرجال أقصى جهدهم ياسيِّدى ، ولقد استفدنا كل وسائل البحث ، وجمع المعلومات ، ولم يدلّنا أى أرضىّ على أثر — ولوضئيل — يمكّننا من العثور على ذلك الأرضىّ ، أو حتى إثبات وجوده ، حتى لقد بات الرجال يتصوَّرون أنهم إنما يطاردون سرابًا ، أو وهمًا هولوجرافيًا ، ممَّا أشاع بينهم موجة من التذمُّر والسخط .

صاح الإمبراطور (آغرو) فى غضب هادر :

— أى تذمُّر وأىّ سخط ؟!.. لاحقّ للجنود فى تذمُّر أو سخط .. سآمر بإعدام كل من يبدى ذلك .

قال (كوماد) فى هدوء ، يحمل نبرة حازمة :

— خطأ ياسيِّدى .

صاح الإمبراطور فى ثورة :

— خطأ ؟!.. كيف تجرؤ على التفوُّه بتلك الكلمة الحمقاء ، فى وجه إمبراطورك العظيم .

بدا وكأن (كوماد) لا يبالى مطلقًا بثورة إمبراطوره ، وهو يقول :

— من الخطإ أن نهدِّد جنودنا ، فى عالم نحتله ياسيِّدى ؛ لأنهم هم مصدر قوَّتنا هنا ، ويدنا الباطشة بكل من يجرؤ على مقاومتنا ، أو تحدِّينا ، ثم إنهم على حقٍّ بعض الشىء .

هتف الإمبراطور فى سخط واستنكار :

— على حقّ ؟!.. أى حقّ هذا ؟

أجابه (كوماد) فى هدوء :

— أنت وحدك تؤكد أن هذا الرجل مايزال حيًا ياسيِّدى ، فى حين تؤكِّد كل الظواهر العكس ، فمنذ عام أرضىّ كامل ، ومنذ تمَّت لنا السيطرة الكاملة على هذا الكوكب ، لم نسمع يومًا ، ولم نعرف شيئًا أتاه ذلك الأرضىّ ، المعروف باسم الرائد (نور) .. وهذا يتنافى حتمًا مع ماتؤكِّده دوْمًا ياسيِّدى ، من أنه أخطر رجل على وجه الأرض ، إلا إذا ....

صمت لحظة ، ثم استطرد فى حزم :

— إلا إذا كان قد لقىَ حتفه بالفعل .

عقد الإمبراطور حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول فى جدّة :

— إنه لم يمُت .. لم أشعر بذلك .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (كوماد) ، وكأنما يستخف بقول إمبراطوره ، وقال :

— لسنا نعمل بالشعور وحده ياسيِّدى ، ومن العسير أن نقنع جنودنا بتقبُّل ذلك التفسير .

غمغم الحكيم (جلاكس) ، الذى ظلّ صامتًا طيلة الوقت :

ــ هذا صحيح .

رمقه الامبّراطور بنظرة غاضبة ، ثم التفت إلى (كوماد) ، صائحًا :

ــ أنت تجهل قدرات إمبراطـــورك يا (كومــــاد) ، وما دمت أؤكد أن الرائد (نور) حىّ ، فهو كذلك ، ولو أنه لم يفعل شيئًا حتى الآن ، فلأنه يستعد لذلك حتمًا .

قال (كوماد) فى هدوء ، يحمل رنّة ساخرة :

ــ طوال عام كامل ؟!

أجابه الإمبراطور فى حِدّة :

ــ نعم .. طوال عام كامل .. لو أنه عبقرىّ حقًا ــ كما أعلم عنه ــ فسينتظر طويلًا ، قبل أن يضرب ضربته الأولى ؛ لأنه لن يكشف عن نفسه ، قبل أن يُعلن عن وجوده .

عقد (كوماد) حاجبيه بدوره ، قائلًا فى توتّر :

ــ هذا يعنى أننا قد أسهمْنا ، دون وعى ، فى إعداده للزعامة ، عندما يقرّر أن يبدأ .

سأله الإمبراطور فى توتّر :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه ، وهو يلوّح بذراعه :

ــ أعنى يا سيّدى أننا ، ومن خلال مطاردتنا له ، طوال عام كامل ، بلا هدف ، ومع نشرنا صورته فى كل قارّة وكل ركن ، قد جعلنا منه البطل ، والأمل ، والزعيم المنتظر ، ونحن نتصوّر أننا نستحثّ القوم على كراهيته ، وإبلاغنا بأمره فور رؤيته .

تمتم الإمبراطور فى عصبيّة :

ــ وما الحلّ ؟

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

ــ الحل هو أن نستجمع كل قوانا ، ونعدّ لخطّة مبتكرة وبارعة ، نحسم بها هذا الأمر ، ونجبر عدوّنا على الخروج من مخبئه ، لو أنه ما يزال على قيد الحياة ، لنواجهه وجهًا لوجه ، ونثبت لرجالنا أنه ليس وهمًا ، و .....

ابتسم فى جذل وحماس ، وهو يستطرد فى قوّة :

ــ ونقتله .

سأله الإمبراطور فى شغف :

ــ كيف ؟.. كيف يا (كوماد) ؟

اتسعت ابتسامة (كوماد) ، وهو يقول :

ــ اطمئن يا سيّدى .. إن لدىّ لخطّة .. لخطّة ستحسم أمر هذا الرائد الأرضى ، وتخلّصنا منه .. إلى الأبد ..

* * *



اتسعت ابتسامة (كوماد) وهو يقول :
ـــ اطمئن ياسيّدى .. إن لدىّ خطّة ..

٢ ـــ الزعيم ..

هناك ..

على عمق مائتى متر ، من سطح الأرض ..

فى ذلك المخبإ السّرّىّ ..

فى حصن الحضارة الأخير ، على وجه الأرض ..

هناك جلس الزعيم ..

جلس رائد المخابرات العلمية السابق (نور الدين محمود) ..

وفى مجلسه هذا كان صامتًا ، يراقب فى اهتمام وإمعان شاشات الرصد ، التى تنقل إليه كل مايدور فى (مصر) تقريبًا ، عبْرَ أجهزة مراقبة سرّيّة للغاية ، نجحت وسائل المخابرات العلمية المصرية قديمًا ، فى إخفائها عن أعين الغزاة بوسائل شديدة الحذق والبراعة ، حتى أنه لم يتم كشفها حتى اليوم ..

وكان كل ماتنقله الشاشات يسبّب لـ (نور) حزنًا ومرارة ، لم يشعر بمثلهما أبدًا من قبل ..

لقد رأى الحرِّيات تُنتهك ، والكرامة توطأ بأقدام الغُزاة ..

رأى بشرًا يُعدمــون بلا رحمة ، وكل جريمتهم هي أنهم يملكون أجهزة كمبيوتر ..

بل لقد رأى آخرين يُعْدمون ؛ لأنهم يملكون كتابًا واحدًا فقط .

حتى القراءة صارت جريمة بشعة ..

لقد اختار الغزاة هذا الأسلوب الحقير للسيادة ..

أسلوب نشر الجهل ، ومحاربة العلم ..

و (نور) يكره الدمار ..

يكره القسوة ..

يبغض العُنف ..

وكل مايراه كان يحمل هذه الصفات الثلاث ، إلى جوار الوحشية والحقارة والشراسة ..

وفي إشفاق ، تسلَّل إليه صوت (سلوى) ، وهي تقول :

ــ كفاك اليوم يا (نور) .. إنك تطالع تلك المشاهد منذ خمس ساعات كاملة بلا توقُّف .

أطلق من أعمق أعماق صدره زفرة قويَّة ، تحُمَل إليها أن حرارتها تلفح وجهها ، قبل أن يقول في صوت حزين :

ــ لا مجال للراحة يا عزيزتي .. إننا نستعد منذ عام كامل ، لبدء المقاومة ضد الغزاة ، ومشاهداتي تؤكِّد أنه في كل دقيقة نضيعها ، تتسع رُقعة الجهل والتخلُّف ، وتتقلَّص مساحة الحضارة ، في عقول وحياة البشر .. لقد بات بدء الصراع حتميًا يا (سلوى) .

ربَّتت على كتفه في حنان ، وهي تقول :

ــ هل تشعر أنك مستعد ؟

تنهَّد مرَّة أخرى ، وهزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ــ كلَّا .

ثم أسرع يستدرك في حزم :

ــ ولكن انتظار الاستعداد التام لن يُسفر عن المزيد .. إن الأمور تتدهور في سرعة مخيفة .. صحيح أننا قد بذلنا أقصى جهدنا لمراقبة هؤلاء الغُزاة ، ودراسة كل أساليب حياتهم ، ووسائل سيطرتهم على قومنا ، ولكننا مازلنا نفتقر إلى نقطتين ، بالغتي الأهمية : أوَّلهما هي لغتهم ، فمن الواضح أن تلك الخوذة الشفَّافة ، التي تغطي رءُوسهم ، تحوي جهازًا خاصًا ، أو كمبيوتر ترجمة ، يتيح لهم فهم لغتنا ، والتحدُّث بها ، في حين نعجز نحن عن فهم حرف واحد من لغتهم ، وهذه الخوذة تشبه خوذة صنعتها أنت يا (سلوى) .

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ــ نعم .. تشبه تلك الخوذة ، التى أنقذتنا من كوكب الأساطير(*) .

قال فى اهتمام :

ــ هذا صحيح .. وهذا يعنى أننا نمتلك القدرة على صنع مثلها ، ولكن ينقصنا أن نحصل على لغة هؤلاء الغزاة .

تنهَّدت قائلة :

ــ نعم .. تنقصنا لغتهم .

ثم سألته فى اهتمام :

ــ ما الأمر الثانى ؟

رفع سبَّابته أمام وجهه ، وهو يقول فى حزم :

ــ الهدف .. هدفهم .

عقدت حاجبيها ، مغمغمة فى حيْرة :

ــ أى هدف ؟.. لقد احتلوا الأرض ، وهذا يكفى .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الأسطورة) ... المغامرة رقم (٥٠) .

ــ الاحتلال ليس هدفًا فى حدّ ذاته يا عزيزتى .. إنه وسيلة لتحقيق هدف ما .

قالت فى اهتمام :

ــ ربما تحطّم كوكبهم لسبب أو لآخر ، ويحتاجون إلى كوكب بديل .

لوّح نفيًا ، وقال :

ــ فى هذه الحالة كانوا سيبيدوننا عن آخرنا ، وينعمون بالعيش فى كوكب أخير .. ولقد كانوا يملكون القدرة على ذلك ، ولكنهم تركونا .. فلماذا ؟

قالت فى قلق :

ــ فيمَ تفكِّر يا (نور) ؟

نهض من مقعده ، وراح يتحرّك فى هدوء ، وهو يقول :

ــ إننى أتساءل فحسب يا عزيزتى .. لماذا يبحث إمبراطور هؤلاء الغزاة عنّى بالذات ؟.. وكيف تعرَّفنى ؟ .. ولماذا يريد الإبقاء على سكان الأرض ، محمّلًا نفسه مشقة السيطرة عليهم طيلة الوقت ؟.. ولماذا امتصت تلك الأسطوانات اللامعة كل طاقتنا الذريّة ؟.. لماذا ؟.

غمغمت فى توتُّر :

ـــ لست أدرى ، ولكنّ هناك سببًا لكل هذا حتمًا .
أجاب فى حزم :
ـــ بالتأكيد .. ولكن ما هو ؟
قالت فى توتُّر :
ـــ ربَّما ..
قبل أن تتمَّ عبارتها ، ارتفع أزيز متصل قوىّ ، وراح مصباح بنفسجى يتذبذب فى سرعة وقوّة ، فهتفت فى لهفة :
ـــ لقد عاد (محمود) و (نشوى) .
قالتها ، وأسرعت تضغط زرًّا صغيرًا ، فانزاح جزء من الحائط فى بطء ، وظهر خلفه (محمود) و (نشوى) ، اللذان أسرعا يدلفان إلى المخبأ السِّرّىّ ، وعاد الحائط يلتحم من خلفهما ، و (نور) يسألهما فى لهفة واهتمام :
ـــ كيف كان الأمر ؟
أجاب (محمود) فى صوت خافت :
ـــ مؤسفًا .
وجلس أمام (نور) ، مستطردًا فى انفعال :
ـــ لقد سيطر أولئك المحتلون على قومنا سيطرة تامة ، والجميع يرتجفون لمجرد ذكر اسمهم ، ولقد كان هناك رافضون فى البداية ، ولكن المحتلين أعدموهم عن آخرهم ، ففقد أهل الأرض كل أمل ..

وهنا هتفت (نشوى) فى حزم :
ـــ سواك يا أبى .
رفع (نور) عينيه إليها ، مغمغمًا بلا انفعال :
ـــ أنا ؟!
أجابت فى حماس :
ـــ نعم .. أنت .. إن صورتك تملأ الطرقات ، والمحتلون يبحثون عنك منذ عام كامل ، حتى لقد صِرتَ أسطورة ، يتحدَّث البشر بها سرًّا ، ويحلمون بتحوُّلها إلى حقيقة .
تمتم (نور) فى شرود :
ـــ يحلمون ؟!
أدرك (محمود) معنى كلمة (نور) ، فقال فى تعاطف :
ـــ لم يعُد بإمكانهم سوى هذا يا (نور) .. إنهم يتعرَّضون منذ عام كامل لألوان شتى من القهر .. أتعلم أن المحتلين قد استوقفونا ست مرَّات ، أنا و (نشوى) ، قبل أن نصل إلى هنا ؟.. لقد كان من الممكن أن يعدمونا على الفور ، لولا بطاقات المرور المزيَّفة ، التى صنعها لنا الكمبيوتر ، بناءً على ذلك البرنامج الرائع ، الذى وضعته (نشوى) .
قال (نور) فى اهتمام :

— إذن فتلك البطاقات ناجحة .

هتفت (نشوى) :

— جدًا .. خاصة وأنهم لايتخيلون أبدا وجود أجهزة كمبيوتر حديثة كهذه ، بعد كل مافعلوه لمنع تواجدها .

سألهما (نور) بمزيد من الاهتمام :

— وماذا أيضًا ؟

أجابه (محمود) :

— دوريات المحتلين تملأ كل الطرقات ، وهناك حظر تجوال بعد العاشرة مساءً ، وطوال الليل ، تجوب عيون الحراسة المدن .. أنت تعرف عيون الحراسة بالطبع .. إنها تلك الكُرات الشفافة ، التى تشبه عيون البشر ، والمزوَّدة بأجهزة لاقطة ، ومدافع أشعة أرجوانية دقيقة ، وما إن تلتقط أجهزتها بشريًا ، بعد لحظات حظر التجوال ، حتى تُطلق نحوه تلك الأشعة الأرجوانية ، فتسحقه سحقًا .

توترت عضلات وجه (نور) فى حنق واشمئزاز ، وهو يغمغم :

— ياللحقارة !!

تنهَّد (محمود) ، وقال :

— لقد سيطروا أيضًا على كل وسائل الإعلام ، وحظروا حيازة أية أجهزة لاسلكية ، أو هولوجرافية ، فيما عدا شاشات ضخمة ، يضعونها فى كل الميادين ، لتبث تحذيراتهم التى لاتنتهى ، وتهديداتهم وأوامرهم المستمرة .

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .. إننى أستمع إليهم عَبْرَ شاشة راصد خاصة ، و .....

قطع عبارته صوت صارم ، عَبْرَ شاشة الراصد الخاصة ، يقول :

— استمعوا أيها الأرضيون .

التفت الجميع إلى شاشة الراصد الخاصة ، التى نقلت صورة (كوماد) ، وهو يقول فى صوت حازم مخيف ، ترجمته خوذته إلى العربية :

— أنتم تعلمون أننا نبحث منذ عام كامل عن ذلك الأرضىّ ، المعروف باسم الرائد (نور) ، ولقد أصابنا الملل من كثرة البحث .

ابتسمت (نشوى) ، وهى تقول :

— إنه يعترف بهزيمته .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :



عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :
ـ هذا الرجل هو (كوماد) يا (نشوى) ..

ـ هذا الرجل هو (كوماد) يا (نشوى) .. قائد جيوش الاحتلال ، وهو حازم صلب ، صارم قاس ، وأمثاله لا يعترفون بهزيمتهم أبدًا .

كان (كوماد) يستطرد فى تلك اللحظة :

ـ لذا فقد قررنا إجباره على الظهور والاستسلام .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صوت شديد الحزم والصرامة :

ـ سأمنحه مهلة حتى الفجر ؛ ليستسلم ، وبعدها سأعدم شخصين له فى العالم .

وارتسمت على الشاشة صورة رجل وامرأة ، شهق (نور) لمرآهما ، وهو يهتف فى جزع :

ـ ربّاه !! أبى .. وأمّى !!.

كان صوت (كوماد) يردف فى صرامة :

ـ سيُعدمان عند الفجر تمامًا .. ولن يكونا آخر من يُعدم من أجله .

وامتلأ صوته بلكنة ساخرة ، وهو يستطرد :

ـ إنها البداية فحسب .

وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، وصورته تتلاشى تدريجيًا .. لقد أرغم (نور) على بدء الصراع ..

وعلى المقاومة ..

* * *

٣ ــ البداية ..

« والده ؟!.. » ..

غمغم الإمبراطور (آغرو) بتلك الكلمة فى صوت خافت ، يجمع ما بين الدهشة والاستحسان والتساؤل ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، قبل أن يعود فيخفضهما مستطردًا :

ــ يا لها من فكرة !!

ارتسمت على شفتى (كوماد) ابتسامة واثقة ، وهو يقول :

ــ كان ينبغى أن نلجأ إلى هذا الحل منذ البداية يا سيِّدى ، ولكننا لم ننتبه إلى أن الأرضيين يختلفون عنَّا كثيرًا ، فى اهتمامهم بوالديهم ، وبكبار السِّنِّ ، فى حين نتخلَّص نحن منهم ، حتى لا يكونوا عبئًا على تقدُّمنا ، وشوكة فى ظهر حروبنا ، ولو أن هذا الرائد حىٌّ ، يختفى فى مكان ما هنا ، فهو لن يسمح بإعدام والديه حتمًا ، وسيظهر ، ويقاتل .

غمغم الإمبراطور :

ــ بالتأكيد .

ثم اعتدل فوق عرشه ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة إعجاب ، مستطردًا فى صوت قوى :

ــ أنت قائد عظيم يا (كوماد) .

اتسعت ابتسامة الثقة ، على شفتى (كوماد) ، وهو يقول :

ــ فى خدمتك يا مولاى .

أشار إليه الإمبراطور ، قائلًا فى حماس :

ــ لو نجحت خطتك ، فستحصل على مكافأة ضخمة يا (كوماد) .

تألقت عينا (كوماد) الدمويتان ، وهو يقول فى ثقة :

ــ ستنجح يا مولاى .. ستنجح .

* * *

تقافزت أصابع (نشوى) فوق أزرار الكمبيوتر ، فى سرعة كبيرة ، وهى تتابع ما يرتسم على الشاشة الفيروزية فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث اليأس أن ارتسم فى ملامحها ، وهى تتراجع فى مقعدها ، مغمغمة :

ــ خمسة فى الألف .

سألتها أمها :

ـــ ماذا ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، وهى تكرّر :

ـــ خمسة فى الألف .. نسبة نجاحنا لاتتعدّى خمسة فى الألف ، طبقًا لحسابات الكمبيوتر .

التفتت (سلوى) إلى (نور) فى جزع ، فقال فى هدوء :

ـــ هُرَاء .. الكمبيوتر لايمكنه تقدير المستقبل .. الله (سبحانه وتعالى) وحده يملك هذا الأمر .

قال (محمود) فى توتُّر :

ـــ ولكنه يدرس الأمر من الناحية المنطقية البحتة يا (نور) ، ولقد غذّته (نشوى) بكل المعلومات ، عن قوّة هؤلاء الغزاة ، وقوّتنا ، وعددهم وعددنا ، و .....

قاطعه (نور) فى حزم :

ـــ كلها معلومات غير كافية ، فما زال ينقصها الإصرار ، والثقة ، والشعور بالحق ، ثم إنها تفتقر إلى دراسة نفسية جيِّدة .

اغْرَوْرَقَتْ عينا (نشوى) بالدموع ، وهى تغمغم فى صوت مختنق :

ـــ ومن سيُجرى مثل هذه الدراسة ، بعد أن فقدنا (رمزى) ؟

قال (نور) فى حزم ، وكأنه يحاول انتزاعها من تلك الذكرى ، قبل أن تحتوى كيانها كالمعتاد :

ـــ ليس المهم هو من سيُجريها ، وإنما المهم هو أنها غير موجودة .. ولقد بنى الكمبيوتر اللعين نتائجه ، على مفردات مادّيّة بحتة ، ولست أقنع بمثل هذه النتائج .

قالت (سلوى) فى توتُّر .

ـــ ولكنه على حقٍّ بعض الشىء يا (نور) ، فنحن أربعة فحسب ، ولن يمكننا التصدّى لجيش من الغزاة ، خاصّة ونحن نجهل حتى أين سيتم حكم الإعدام ، الذى يهدّدك به (كوماد) .

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـــ الأمر ليس شديد الصعوبة يا عزيزتى .. إن (كوماد) ـــ مثل إمبراطوره ـــ ما زال يشك فى أمر بقائى حيًّا ، ولقد صنع ما صنع ، فى محاولة لدفعى إلى إعلان وجودى ، وهو لهذا سيختار موقعًا واضحًا لتنفيذ حكمه القذر ، حتى يمكنه إغرائى بالتدخّل ، ومحاولة إنقاذ والدىّ ، وفى الوقت نفسه ، يكون الموقع مؤمّنًا ، محاطًا بجنوده ، حتى يمكنه الإطباق علىّ فى لحظة تدخل ، وأعتقد أن هذه الصفات تنطبق بشكل جيِّد على ميدان التحرير .

تردّد (محمود) لحظة ، قبل أن يغمغم :

ــ ربّما .

أجابه (نور) :

ــ سأخاطر بافتراض أنه كذلك يا (محمود) .. سأخاطر بحياتى ، وبحياة والدىّ ، وليكن اسم الميدان تميمة ، ونبوءة لنجاحنا ، وبدء معركتنا الحقّة .. معركة التحرير ..

هتفت (نشوى) :

ــ ولكننا نعلم جميعًا أنه فخّ ، فلماذا تذهب إليه بقدميك ؟

عادت تلك الابتسامة الشاحبة إلى شفتيه ، وهو يقول :

ــ لأننا لم ننتظر ، ونعمل طيلة عام كامل ، إلا لنبدأ مرحلة المقاومة ، وما دامت اللحظة قد حانت ، فالخيرَة فيما اختاره الله (سبحانه وتعالى) .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى صوت حازم قوىّ :

ــ فلتبدأ المعركة ..

* * *

العاشرة ..

موعد حظر التجوال ..

خلت الشوارع من المارّة ، وساد فيها الصمت والسّكون ،

إلا من دوريّة من دوريّات الغزاة ، تتكوّن من أربعة أفراد ، يركبون حوّامة مستديرة ، تعبُر الطرقات فى صمت ، فوق وسادة هوائية ، وعيونهم الدموية تدور فى كل الاتجاهات ، وأصابعهم الخضراء المعروفة تتحفّز فوق أزندة بنادقهم المخيفة ، التى تُطلق تلك الأشعة الأرجوانية الساحقة ..

كان كل شىء يسير على الوتيرة نفسها ، منذ عام كامل ..

وكان الغزاة الأربعة يشعرون بثقة لا حدود لها ..

وفجأة ، هتف أحدهم بلغته ، وهو يشير إلى أحد الأركان :

ــ انظروا .. هناك .

التفتت عيون الجميع إلى حيث يشير ، وانعقدت حواجبهم الزرقاء الكثّة ، وهم يتطلّعون إلى أحد بنى قومهم ، ببشرته الخضراء ، وحُلّته الزرقاء اللامعة ، وقد سقط أرضًا ، وبدا فاقد الوعى ..

وهتف قائد المجموعة :

ــ توقّفوا .

توقف القرص الطائر على الفور ، على مقربة من الغازى الفاقد الوعى ، وقفز من فوقه الغزاة الأربعة ، وتركوه معلّقًا

في الهواء ، وهم يقتربون من زميلهم في حذر ، وبنادقهم متحفزة للإطلاق ، وقال أحدهم :

— ماذا أصابه ؟ وكيف أتى إلى هنا ؟.. المفروض أن القانون يحظر تواجده أيضًا ، في غير منطقة عمله !!

أجابه الثاني في توتر :

— فلنؤجل إجابة هذه الأسئلة لما بعد .. المهم أن نحمله معنا الآن ، قبل أن تنطلق عيون الحراسة ، فبرنامجها يؤكد أننا أربعة فحسب ، وأي شخص زائد ، سيجعلها تطلق أشعتها علينا على الفور .

قال الثالث :

— أنت على حق .. هيا نحمله .

انحنى يمسك بالغازي الفاقد الوعي ، ولكنه لم يكد يلمس جسده ، حتى اعتدل الغازي بغتة ، وبدا وكأن نشاط الدنيا كلها قد دبّ في جسده ، وهو يقول في لهجة أرضية بحتة :

— مفاجأة !!

وانطلقت أشعة مسدسه الليزري بغتة ، لتقتل غازيين ..

وتراجع الغازيان الباقيان ، وهما يهتفان ، وقد شهرا بندقيتيهما :

— خيانة !! إنه أرضيّ .

ولكن أولهما لم يطلق أشعته الأرجوانية ، فقد أصابته طلقة من أشعة الليزر ، في حين أطلق الثاني أشعته ، ولكن خصمه تفاداها في مهارة مذهلة ، وانحنى في رشاقة ، ثم دار على عقبيه ، وقفز في الهواء ، وركل وجه الغازي في قوة ألقته أرضًا ، ثم هبط إلى جواره ، وحطّم أنفه بلكمتين تفجرتا في صوت مكتوم ، كقنبلتي دخان ..

وفقد الغازي وعيه ، وسالت دماؤه الخضراء من أنفه ، وابتسم ذلك الذي بدا فاقد الوعي في البداية ، وهو يقول في توتر :

— ستدخلون التاريخ حتمًا أيها الأوغاد .. فأنتم أول من دفع الثمن .

ثم انتزع قناعه الأخضر ، فبدا من تحته وجهه واضحًا ..

وجه الرائد (نور) ..

وفي صرامة ، هتف :

— هيا يا رفاق .. سنبدأ العمل .

برز (محمود) و (سلوى) و (نشوى) من المبنى المجاور ، في سرعة وخفة ، وتعاونوا مع (نور) على جذب الغزاة إلى الداخل ، بعيدًا عن الأعين ، و (نور) يتمتم في عصبية :

— كم أكره الحروب !.. لقد قتلت ثلاثة أرواح فى أقل من نصف الدقيقة .

ربّت (محمود) على كتفه ، مغمغمًا :

— كان ذلك حتميًّا .

أومأ (نور) برأسه ، متمتمًا :

— نعم .. أعلم ذلك .

ثم أشار إلى (نشوى) ، وحاول أن يبتسم ، مستطردًا :

— كان تنكُّرًا رائعًا يا (نشوى) .. كمبيوتر المحاكاة هذا رائع حقًّا ..

لقد خدعت هيئتى هؤلاء الأوغاد ، ولكننى أجد بعض الصعوبة فى الحركة ، وخاصّةً مع الخطوات القتالية ، مع ذلك الطول الإضافىّ .

قالت فى حماس :

— سأحاول مراعاة ذلك فيما بعد ، فمن المحتّم أن نحاكى طول هؤلاء الغزاة ، وإلا فشل تنكُّرنا ، فأقصرهم يناهز المترين طولًا .

أومأ برأسه مرّة أخرى ، متمتمًا :

— هذا صحيح .

ثم استعاد حزمه القيادىّ ، وهو يتطلع إلى ساعته ، قائلًا :

— والآن فليتحرّك كل منّا فى سرعة .. وكل منكم يعلم دوره جيّدًا .. المهم أن تعكس (سلوى) برنامج تلك الخوذات بأسرع وقت ممكن ، أمّا (محمود) ، فعليه أن ينتزع خزانة إحدى البنادق ، ويحتفظ بها ، لنعمل على دراسة تلك الأشعة الأرجوانية ومكوّناتها ، إذا ماقدّر لنا أن نعود من مهمّتنا أحياء ، ولتعمل (نشوى) على إعداد الأزياء التنكّرية اللازمة .. هيّا .. فالوقت يمضى فى سرعة مخيفة ، ولم يتبقّ لنا سوى بضع ساعات قبل الفجر ..

قالت (سلوى) فى حماس ، وهى تلتقط إحدى الخوذات الشفّافة ، من فوق رأس أحد الغزاة :

— سأبذل أقصى جهدى ..

وراحت (نشوى) تُعِدّ الأزياء فى سرعة ، فى حين نهض (محمود) ، قائلًا :

— سأحضر إحدى بنادق الأشعة الأرجوانية من الخارج .

تمتم (نور) فى توتّر :

— أسرع .

أسرع (محمود) الخطا ، وانحنى يلتقط إحدى البنادق ، وهو يغمغم فى توتّر مماثل :

ـ فلندعُ الله (سبحانه وتعالى) ، أن نجد الفرصة لفحصها ، وأن ......

بتر عبارته بغتة ، عندما تناهى إلى مسامعه أزيز مخيف ، فاعتدل واقفًا فى جدّة ، ورفع عينيه إلى مصدر الأزيز ، ثم تجمُّد فى مكانه فى رُعب هائل ..

كانت إحدى عيون الحراسة ، وقد التقطت صورته ، واندفعت نحوه ، ومن داخلها ينبعث صوت معدنى مخيف ، يقول :

ـ لقد خالفت قوانين حظر التجوال أيها الأرضىّ .. وستموت .

وانطلقت من ثقب دقيق فى مقدمتها ، تلك الأشعة الأرجوانية القاتلة ..

انطلقت نحو (محمود) ..

* * *



فاعتدل واقفًا فى جِدّة ، ورفع عينيه إلى مصدر الأزيز ، ثم تجمُّد فى مكانه فى رُعب هائل ..

٤ — اللُّعبة ..

انهمرت الدموع غزيرة من عينى والدة (نور) ، داخل ذلك السجن الصغير ، الذى وضعها فيه الغزاة ، وهى تقول فى مرارة :

— سيعدموننا يا (محمود) .. سيعدموننا بلا جَرِيرة .

ضمّها زوجها إلى صدره ، وهو يقول فى حنان :

— جريرتنا هى أننا والدا (نور) يا عزيزتى .. والدا الأرضىّ الوحيد ، الذى ترتجف له قلوب هؤلاء الغزاة القساة ، منذ عام كامل .

واصلت بكاءها ، وهى تقول :

— سأدفع حياتى ثمنًا لولدى ، وأنا أجهل ما إذا كان حيًا أو ميتًا .

أجابها زوجها فى حزم :

— إنه حىٌ يا زوجتى العزيزة .. حىّ .

توقفت دموعها ، وجفّت فجأة ، وهى تسأله فى لهفة :

— كيف علمت ؟

أجابها فى حنان :

— قلبى يحدثنى بذلك .

قالت فى خفوت ، وبصوت متهدج :

— وأنا أيضًا .. إننى أشعر بنبض قلبه بين ضلوعى ، وبأنفاسه فى صدرى ، ولست أصدّق أبدًا أنه قد مات .

ثم اعتدلت مستطردة فى لوعة :

— أتظننى أبكى نفسى ؟.. أبكى حياتى ؟.. كلا .. إننى مثلك ، أفضّل الموت ، على الحياة فى عالم محتل ، ولو كانت حياتى هى شهادة بقاء ابنى الوحيد ، فسأدفعها عن طيب خاطر .

وعادت الدموع تترقرق فى عينيها ، وهى تردف فى مرارة :

— إننى أبكى من أجله .

تنهّد زوجها ، وهو يقول :

— وأنا أيضًا .

واصلت وكأنها لم تسمع تعليقه المقتضب :

— إننى أعلم أنه لن يترككما هكذا .. سيخاطر بكل شىء من أجلنا .. سيظهر ، ويُعلن عن وجوده ، ويسعى لإنقاذنا .. وهذا ما أخشاه .

عاد يتمتم ، وقد سرى التوتر فى صوته :

ـ وأنا أيضًا .

تابعت حديثها ، والدموع تسيل مرّة أخرى على وجنتيها :

ـ ليته يتخلّى عنّا .. ليته يتركنا لمصيرنا .. إنه لا يدرى أن الموت أفضل لنا من رؤيته يقضى من أجلنا .. ليته يدرك ذلك .

هزّ رأسه ، وهو يتنهّد ، قائلاً فى حزن :

ـ لو فعل ، فلن يكون هو (نور) الذى نعرفه .. إنه سيسعى لإنقاذنا حتمًا ، مهما كانت الظروف .

ضمّت قبضتيها أمام وجهها ، وهتفت ، وهى تبتهل إلى الله (سبحانه وتعالى) :

ـ ليته لا يفعل .. ليته ..

* * *

تطايرت حرملة (كوماد) الحمراء خلف ظهره ، وهو يقف داخل منصّته المرتفعة ، يراقب تحرُّكات رجاله ، منتصب القامة ، بادى الحزم ، حتى اقترب منه أحد الرجال ، يقول :

ـ لقد اتخذ الجميع مواقعهم أيها القائد .

سأله (كوماد) فى صرامة :

ـ هل تمت محاصرة المكان كله ؟

أجابه الرجل فى حزم :

ـ كله يا سيّدى .

تمتم (كوماد) فى ارتياح :

ـ عظيم .

وصمت لحظة ، دارت عيناه خلالها فى المكان ، قبل أن يستعيد صرامته ، وهو يقول :

ـ فليعلم الجميع أن عليهم ألا يكشفوا مواقعهم ، وأن ينتظروا الهجوم على أى نحو كان ، وعندما يبدأ الهجوم ، لا تنتظروا أوامرى ، قاتلوا على الفور ، فالثانية الواحدة قد تصنع فارقًا .

أجابه الرجل فى حزم :

ـ كما تأمر يا سيّدى .

ثم ضم قبضته ، ورفعها عاليًا ، مستطردًا فى قوّة :

ـ المجد للإمبراطور العظيم .

ارتسمت على شفتى (كوماد) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ المجد لـ (جلوريال) .

ثم لوّح بذراعه ، مستطردًا فى حزم :

— اذهب .. ومُرْ رجال الإعلام بنقل المشهد إلى الجميع ، عبْر شاشاتنا .

غادر الرجل المنصّة فى سرعة ، فى حين عاد (كوماد) يتأمّل ما حوله ، مستطردًا فى ارتياح :

— اليوم ستبدأ المواجهة أيها الرائد (نور) .. واليوم ستفقد الأرض آخر زعمائها .. وآمالها .

وأطلق ضحكة ساخرة قويّة ..

ضحكة مقاتل من (جلوريال) ..

* * *

كانت الأشعة الأرجوانية الساحقة تنطلق نحو صدر (محمود) تمامًا ..

أو هكذا تصوّر هو ..

ثم خيّل إليه أنها قد انحرفت بغتة ..

أو أن جسده هو قد اندفع جانبًا ..

وقبل أن يدرك أى الحدثين أقرب إلى الصواب ، تهاوى جدار مجاور له ، عندما أصابته الأشعة الساحقة ، وانفجرت عين الحراسة ..

كل هذا فى لحظة واحدة ..

وفى اللحظة التالية ، شعر بيد قويّة تدفعه إلى النهوض من سقطته ..

لم يكن قد انتبه حتى إلى أنه قد سقط ..

وهنا أدرك حقيقة الموقف بغتة ..

لقد وجد أمامه (نور) ، يجذبه إلى الداخل ، هاتفًا :

— أسرع .. لقد بدأت دوريّات عيون الحراسة .

تطلّع مشدوهًا إلى (نور) ، ورأى مسدسه الليزرى فى يده ، فأدرك حقيقة الموقف ، وهتف مبهورًا :

— (نور) !!.. أنت أنقذتنى .. أليس كذلك ؟

تمتم (نور) فى صرامة :

— بل أنا كدت أقتلك ، عندما تركتك تذهب لإحضار البندقية ، دون أن أنتبه إلى أن موعد دوريّات عيون الحراسة قد حان .

هتفت (نشوى) :

— ولكن هذا لا يمنع أنه قد أنقذك يا (محمود) ، لقد سمعنا جميعًا صوت تلك العين اللعينة ، وهى تؤكّد كشفها لك ، وحتميّة قتلك ، إلا أن أبى وحده انتزع نفسه من مكانه بغتة ، حتى لقد خيّل إلينا — أمى وأنا — أنه قد اختفى ، حتى رأيناه

يندفع إلى الخارج كالصاروخ ، وينتزع مسدسه الليزرى ، ويدفعك جانبًا ، ثم يتفادى الأشعة الأرجوانية ، فيما يشبه المعجزة ، ويطلق أشعته على تلك العين اللعينة ، و .....

قاطعها (نور) فى حزم :

ــ كفى .

ثم أضاف فى صرامة :

ــ لسنا هنا بصدد التباهى والتفاخر .. الوقت لن يكفى لذلك .

ابتسمت (سلوى) فى حنان ، وهى تقول :

ــ أنت رائع يا زوجى العزيز .

التفت إليها فى صرامة ، فأضافت :

ــ ولكنك عنيد .

ثم عادت تولى اهتمامها شطر الخوذة الشفافة بين يديها ، مستطردة :

ــ إننى أحتاج إلى ثلاث ساعات فحسب ، لأعكس عمل هذه الخوذات ، بحيث تترجم لغة هؤلاء الغزاة إلى لغتنا ، وليس العكس .

وقالت (نشوى) :

ــ وأنا أدرس جسد ذلك الغازى ، الذى بقىَ على قيد الحياة ، وأبرمج كل ما أحصل عليه من معلومات ، داخل الكمبيوتر ، لنضمن تنكرًا بالغ الجودة ، يصلح لمواجهة عيون الحراسة ، وتنفيذ الخطة على أكمل وجه ، وسيحتاج ذلك إلى ساعتين على الأرجح .

التفت (نور) إلى (محمود) ، قائلًا :

ــ وماذا عنك ؟

هزّ (محمود) كتفيه ، وتنهّد فى عمق ، وهو يقول :

ــ الأمر بالنسبة لى يختلف ، فلن يمكننى دراسة تلك الأشعة هنا .

أومأ (نور) برأسه ، مغمغمًا :

ــ لا بأس .. إننا لن نحصل على كل شىء فى لعبة واحدة .. المهم أن تفلح خطتنا هذه ، لبدء نشاطنا ، وإنقاذ والدىّ ..

ورفع رأسه فى حزم ، مستطردًا :

ــ ولنعلن لهؤلاء الغزاة أن الأرض لم تستسلم بعد لاحتلالهم البغيض ، وأنها ستقاوم .. ستقاوم حتى آخر رمق ..

* * *



جذبها الغازى من شعرها بغتة فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :
ـــ كفى يا امرأة ..

عقدت (مشيرة محفوظ) ، صحفيّة أبناء الفيديو السابقة ، حاجبيها فى حنق ، وهى تقول فى حِدّة :

ـــ ماذا تعنى أيها اللّعين ؟!.. لماذا يطلب قائدكم الحقير هذا رؤيتى ؟ زمجر ذلك الغازى ، الذى يقف فى مواجهتها ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ كفى أيتها الأرضية .. أنت تعلمين أنك قد تفوّهت بما يكفى لإعدامك ، ولولا أن القائد (كوماد) يطلب مقابلتك بالذات ، لقتلتك على الفور .

صاحت فى غضب :

ـــ وما الذى تظنني سأخسره ، لو أنك قتلتنى ؟.. لقد خسرت كل شىء بالفعل ، وبسببكم .. لقد كنت صحفية ومذيعة ناجحة ، ولقد حصلت قبل قُدومكم على منصب رئيس تحرير الصحيفة كلها ، وكبيرة المذيعات ، وكنت أُعِدّ نفسى لتولّى منصب وزير الإعلام ، لولا احتلالكم للأرض ، واحتلالكم كل وسائل الإعلام .. أتعلم مِمّ أعيش منذ عام كامل ؟.. مِنْ معاش بالغ الضآلة ، أحصل عليه من مكتب البطالة أيها الأوغاد .

جذبها الغازى من شعرها بغتة فى عنف ، وهو يقول فى صرامة :

— كفى يا امرأة .

صرخت وهو يجذبها فى قسوة ، ويلقى بها داخل حوّامته المستديرة ، هاتفًا :

— إننا لا نستأذنك الموافقة على مقابلة القائد .. إننا نأمرك بذلك .

ثم قفز داخل الحوّامة ، مستطردًا فى صرامة :

— وستطيعين الأمر ، رغمًا عن أنفك ، كما يفعل كل أرضىّ على سطح هذا الكوكب .. كلهم .

* * *

تطلّع (نور) إلى ساعته فى توتّر ، وهو يقول :

— ما الذى توصّلتم إليه ؟.. لم يَعُد أمامنا سوى ثلاث ساعات ، قبل الفجر .

أجابته (نشوى):

— أنا انتهيت من عمل تقريبًا .. لقد استغرق الأمر أكثر مما كنت أتوقّع بكثير ، فهؤلاء الغزاة يختلفون عنّا كثيرًا .. فحرارة أجسادهم أدنى من حرارة أجسادنا بدرجتين كاملتين ، على الرغم من أن معدّلاتهم الحيوية تسير بضعف سرعة معدّلاتنا .

أجابها فى اهتمام :

— هذه نقطة بالغة الأهمية ، فقد تكون وسيلة عيون الحراسة فى تحديد هُويّتهم ، هى قياس درجة حرارة أجسادهم ، وهذا يَعْنِى أنه من الحتْم أن تقل درجة حرارة الأزياء التنكّرية ، التى سنرتديها لنبدو أشبه بهم ، بمقدار هاتين الدرجتين .

قالت فى حماس :

— هذا بسيط .. لقد زوّدت الأردية التنكّرية — لحسن الحظ — بمقياس حرارىّ متغيّر ، عندما وضع الكمبيوتر احتمال اختلاف درجات الحرارة .

سألها (نور) فى اهتمام :

— وماذا عن دمهم الأخضر اللون ؟

أجابته فى سرعة :

— هذا يعود إلى أن دماءهم لا تحوى مادة (الهيموجلوبين)، التى تمنح دمنا ذلك اللون الأحمر .. إنها تحوى مادة بديلة ، ذات تكوين مختلف ، تحتاج إلى طبيب متخصّص لدراستها .

تنهد فى عمق ، وهو يغمغم فى أسف :

— مثل الدكتور (محمد حجازى) ..

وشرَدَ ببصره ، مستطردًا فى مرارة :

— تُرى أين هو الآن ؟

تمتمت (نشوى) فى ألم :

— وأين (رمزى) ؟

أسرعت (سلوى) تقول :

— دعينا من هذا .. لقد شارف عملى على الانتهاء تقريبًا ، ولقد أبدلت بالفعل برنامج ثلاث خوذات ، وبقيت خوذة واحدة ، وبعدها سنكون أوّل بشر على وجه الأرض ، يمكنهم فهم لغة الغزاة .

تمتم (نور) ، وهو يبتسم نفس تلك الابتسامة الشاحبة ، التى لم يمكنه أداء ما هو أفضل منها ، طيلة العام السابق :

— هذا عظيم .

ثم أضاف فى توتّر :

— ولكننا لو لم نسرع بالهجوم ، فسيصبح كل ذلك بلا فائدة .

ابتسمت (سلوى) فى إشفاق ، وهى تقول :

— اطمئن .. سينتهى كل شىء فى موعده .

وفجأة ، هتفت (نشوى) :

— أبى !

التفت إليها الجميع فى جَزَع ، وهتف (نور) فى عصبيّة :

— ماذا هناك ؟!

صاحت فى ذُعْر :

— ذلك الغازى الأخير .. إنه .....

قبل أن تتمّ عبارتها ، هَبَّ الغازى واقفًا بغتة ، وبدا كالعملاق ، بطوله الذى يزيد على المترين ، وهو يُطلق صرخة مخيفة ، وينقضّ على (نور) ..

وصرخت (سلوى) و (نشوى) فى رُعب ، وتجمدت الدماء فى عروق (محمود) ، وقد رأى الجميع الغازى يحيط عنق (نور) بقبضتيه ، ويرفعه عاليًا .

لقد كان يقتله ..



٥ ـ الإعـلام ..

وقف (كوماد) منتصب القامة ، عاقدًا كفّيه خلف ظهره ، يتطلّع في برود إلى (مشيرة محفوظ) ، التي بدت أمامه أشبه بقزم ، مع قامتها الضئيلة ، التي انكمشت مع خوفها وانفعالها ، وهي تقول في عصبيّة ، تحاول بها مداراة رُعبها :

ـ حسنًا يا قائد المحتلين .. هأنذا أمامك .. ماذا تريد منّي ؟

ابتسم (كوماد) في سُخرية ، وهو يقول :

ـ بل قولي : بِمَ تأمرني أيّتها الأرضية ؟

تطلّعت إليه في غضب ، دون أن تنبس ببنت شَفَة ، فراح يدرس ملامحها في إمعان ، قبل أن يبتسم مرّة أخرى في سُخرية ، قائلًا :

ـ أخائفة أنت ؟

قالت في عناد :

ـ كلّا ..

ولكن تلك اللهجة المرتجفة ، التي نطقت بها الكلمة ، جعلتها أشبه باعتراف صريح بالخوف والتوتّر ، ممّا اتسعت له ابتسامة (كوماد) ، وازدادت سُخريةً ، وهو يقول :

ـ هذا واضح .

ثم التقط مكعبًا صغيرًا شفافًا ، وهو يستطرد في صرامة :

ـ هذا المكعب يحوي كل المعلومات عنك .

تمتمت في عصبيّة :

ـ هكذا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ المعلومات التي داخله ، تؤكّد أنك كنت ، منذ عام واحد ، أفضل الإعلاميين ، في الكوكب كله .

قالت في حَنَق :

ـ أمِنَ المفروض أن يسعدني ذلك ؟

أجابها في حزم ، بعث رجفة قوية في أوصالها :

ـ بلا شك .

تطلّعت إليه في خوف ، دون أن تنبس ببنت شفَة ، فأضاف وهو يتفحّص ملامحها :

ـ خاصةً عندما أخبرك أنك ستستعيدين تلك المكانة ، اعتبارًا من هذه اللحظة .

تطلّعت إليه في دهشة وحَيْرة ، قبل أن تغمغم في حَذَر :

ــ ماذا تعْني ؟

أجابها في هدوء :

ــ أعْني أنك ستحصلين ، منذ هذه اللحظة ، على أكبر منصب إعلاميّ ، في كوكبك كله ، ستصبحين المتحدّثة الرسميّة باسمنا .

تمتمت في دهشة :

ــ باسمكم ؟!

صاح في قوّة ، وهو يضرب قبضته في فخذه :

ــ نعم .. باسمنا نحن ، سادة الكون .

ران الصمت لحظات ، وهي تتطلّع إليه في دهشة وحَيْرة ، قبل أن تقول :

ــ لماذا ؟

ابتسم في سُخرية ، وهو يقول :

ــ ربّما لأنني أختلف مع الإمبراطور ، في سياسته الخاصّة بالإعلام .

تمتمت مرّة أخرى في دهشة ، وكأنها تعجز عن استيعاب الأمر كله :

ــ تختلف معه ؟!

قال في حزم :

ــ نعم .. إنه يؤمن بأن نسيطر نحن وحدنا على وسائل الإعلام ، في حين أرى أنا أنه من الأفضل أن يكون الإعلاميون من قومكم .

قالت في جِدّة :

ــ على أن يتحدّثوا بلسانكم أنتم .. أليس كذلك ؟

كانت تتوقّع منه بعض المراوغة ، إلا أنه أجاب في حزم مباشر :

ــ بلى .. إنك تحسنين الفهم .

قالت محنقة :

ــ ولكنه أسلوب حقير .

ابتسم في سُخرية ، وهو يقول :

ــ لا بأس ببعض الحقارة ، ما دام ذلك يحقّق نصرًا .. ألم يكن هذا هو مبدأ العشرات منكم قديمًا ، يا رجال الإعلام ؟!..

تمتمت في عصبية :

ــ ربّما .. ولكن .....

قاطعها في حزم وصرامة :

— ستنقلين بعد ساعات لحظة إعدام رجل وامرأة .

قالت محتدة :

— أتقصد والدي الرائد (نور) ؟

رمقها بنظرة ارتجفت لها أحشاؤها ، قبل أن يقول :

— من الواضح أن الروح الإعلامية لم تفارقك بعد .. نعم .. إنني أقصدهما .

صاحت في مرارة :

— ومن قال لك إنني سأوافق على نقل تلك اللحظات الحقيرة ؟

قال في برود :

— ستفعلين ؛ لأن ذلك سيمنحك وظيفة مرموقة ومضمونة ، وعددًا من أفضل الامتيازات ، التي لم يعد الأرضيون يحصلون عليها ، ومرتبًا ضخمًا ، وسيارة فارهة ، و .....

قاطعته في حدة :

— وماذا لو رفضت ؟

قال في سخرية :

— لست أظن أرضيًا يرفض عرضًا أقدمه .

هتفت في عصبية :

— وماذا لو فعلت أنا ؟

تطلّع إليها في بُرُود ، وهو يقول :

— في هذه الحالة ستحصلين على شيء واحد .

وتحوّل صوته إلى كتلة من الصرامة والقسوة ، وهو يستطرد :

— حكم بالإعدام .. الإعدام الفوري .

* * *

كانت المفاجأة مذهلة حقًا ..

لقد استعاد الغازي وعيه بغتة ، وعلى نحو غير متوقع أبدًا ، وبسرعة مذهلة ، حتى أنه قد تحوّل من حالة السكون إلى النشاط الجم دفعة واحدة ..

ولقد فوجئ به (نور) ينقض عليه ، ويعتصر عنقه بقبضتيه ، ويرفعه عاليًا ..

ولكن (نور) لم يفقد أعصابه ، ولا سيطرته على تفكيره ..

وما كان لأحد أفراد المخابرات العلمية أن يفعل ..

لقد تحرّك على الفور ، ودون أن يضيع لحظة واحدة من المفاجأة ، ودفع قدمه إلى الأمام ، وهو يثني ركبته في مرونة شديدة .



وفجأة ، وجدت يده طريقها إلى سلاح رهيب ..
إلى بندقية ، من بندقيات الأشعة الأرجوانية ..

وارتطمت قدمه بوجه الغازى كالقنبلة ..

وأطلق المخلوق الأخضر زمجرة مخيفة ، وراح يصرخ على نحو هستيرى ، ولكن قبضة (نور) أوقفت ذلك الصراخ بلكمة ساحقة ..

وأفلت عُنق (نور) من الغازى ..

أفلت منه مرغمًا ، وهو يحاول التشبُّث بأى شىء ، بعد أن دارت به الأرض ..

لم تكن الضربات وحدها تؤلمه ..

كان يؤلمه ويذهله أيضًا ، أن أرضيًا قد جرؤ على التصدِّى له ..

وكان هذا وحده يصيبه بالدُّوار ..

ولقد حاول أن ينهض ، وأن يواصل القتال ، إلا أن ضربة أخرى من قدم (نور) فى صدره ، عادت تلقيه أرضًا ..

وهنا انتابه غضب هائل ..

كيف يهزمه أرضىّ ضئيل ، لم يبلغ حتى المترين طولًا ؟ ..

كيف يُوقع به ؟..

وفجأة ، وجدت يده طريقها إلى سلاح رهيب ..

إلى بندقية ، من بندقيات الأشعة الأرجوانية ..

وفى لمح البصر ، كان يلتقطها ، ويصوّبها إلى (نور) ، وصرخ بلغته غير المعروفة :

ـ مُتْ أيها الأرضىّ .. مُتْ .

وضغط زناد البندقية ..

* * *

ظلّ جسد (مشيرة) يرتجف طويلاً ، وهى تحدّق فى عينى (كوماد) فى رُعب ..

إنها لم تعتد أبدًا ، وعلى الرغم من مرور عام كامل ، تلك العيون الدموية المخيفة ، التى تبدو كقطعة واحدة من الدم المتجمّد ، بلا قرنية ..

بلا حدود ..

بلا ملامح ..

كانت تعلم أنه ينتظر جوابها ..

وأنه واثق منه مقدمًا ..

ولقد تمنّت أن ترفض ..

ولكنها لم تجرؤ ..

كانت أجبن من أن تفعل ..

ولها عذرها ..

إنها امرأة ..

إذا كان الرجال يرتجفون رُعبًا وخوفًا ، فما الذى ننتظره منها ..

إنها مقهورة ..

مثلها مثل كل أرضىّ ، على سطح الكوكب المحتل المسكين ..

وفى مذلّة ، خفضت وجهها وعينيها ، وغمغمت فى مرارة :

ـ حسنًا .. إننى أقبل .

ابتسم فى ثقة وسُخرية ، وهو يقول :

ـ كنت أعلم ذلك .

ثم عاد يعقد كفّيه خلف ظهره ، مستطردًا :

ـ سأقيم الليلة على عمل عراف .. سآمر بإلغاء حظر التجوال لليلة واحدة ، ليخرج الجميع إلى الساحات والميادين ، ويشاهدون لحظة الإعدام ، عبْر شاشاتنا الخاصة .

ولوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ أريدها لحظة تاريخية .

قالت فى مرارة :

— فى تاريخنا أم تاريخكم ؟

قال فى صرامة :

— لم يَعُد لكم تاريخ .

زفرت فى حِدّة ، وهى تقول :

— مَن يدرى ؟

صاح فى صرامة :

— أنا .

ثم أضاف فى حزم :

— لقد انتهى تاريخكم ، منذ هبطت قواتنا إلى كوكبكم .. لقد أصبحتم مجرَّد تابع لـ (جلوريال) .

قالت فى حِدّة :

— وماذا عن المستقبل ؟

ابتسم فى سُخرية ، قائلاً :

— لم يَعُد لكم مستقبل أيضًا .

ثم أردف فى صرامة :

— الليلة سنقضى على آخر أمل لكم فى المستقبل .. على الرائد (نور) .

* * *

ضغط الغازى على زناد بندقية الأشعة الأرجوانية ، وهو يصوِّب فُوّهتها إلى صدر (نور) مباشرة ..

ولكن الأشعة الأرجوانية الساحقة لم تنطلق ..

وفى هذه المرّة ، كانت المفاجأة من نصيب الغازى ..

لقد راح يحدّق فى وجه (نور) ، وينقل بصره إلى فُوّهة بندقيته فى ذهول ، قبل أن يفتح (محمود) راحته ، عن كرة شفّافة ، قائلاً :

— لقد انتزعت خزانة الطاقة الخاصة بها .

أطلق الغازى صرخة غضب هائلة ، على الرغم من أنه لم يفهم حرفًا واحدًا من حديث (محمود) ، بعد أن خسر خوذته ، ولكن مَرْأىَ خزانة الطاقة ، فى راحة هذا الأخير ، أصابه بالجنون ، فقفز نحو (نور) ، صارخًا بلغته :

— ستموت أيها الأرضىّ .. سأقتلك بيدىّ العاريتين .

وهنا صرخت (سلوى) :

— مسدسك يا (نور) .

ومع قفزة الغازى ، استلّ (نور) مسدسه الليزرىّ ، و .....

وأطلق أشعته ..

واخترقت أشعة الليزر جمجمة الغازى ..

وانطلقت من حلقه حشرجة مخيفة ..

وسقط فوق (نور) ..

سقط جثة هامدة ..

ودفع (نور) الجثة بعيدًا ، وهو يقول فى سُخط :

ــ القتل !! دائمًا القتل !!

ابتسم (محمود) فى ارتياح ، وهو يمدُّ يده إليه ؛ ليعاونه على النهوض ، قائلًا :

ــ ينبغى أن تعتاده يا (نور) .. ستصادف أطنانًا منه فى رحلة المقاومة .

ابتسم (نور) ابتسامته الشاحبة ، وهو ينهض مغمغمًا :

ــ هذا لو استغرقت الرحلة الوقت الكافى لذلك .

تمتمت (سلوى) فى اضطراب :

ــ لا أحد يدرى .

ثم أضافت فى صوت مرتجف :

ــ هذا يتوقَّف على ما سنحصده الليلة .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى ارتفع صوت (كوماد) الصارم ، عَبْر كل أجهزة البث ، التى نشرها المحتلُّون فى كل مكان ، لإلقاء أوامرهم القاسية ، وهو يقول :

ــ فليستمع الجميع .. لقد أُلْغِىَ حظر التجوال الليلة ، بصفة استثنائية ، على أن يتوجَّه الجميع عند الفجر إلى الميادين العامة ، لمتابعة لحظة إعدام والدىِ الرائد (نور) ، على الهواء مباشرة .

تمتم (نور) فى سُخرية مريرة :

ــ يا له من استثناء !!

ثم التفت إلى رفاقه ، مستطردًا :

ــ يبدو أننا سنلهو كثيرًا هذه المرَّة يا رفاق .. كثيرًا جدًّا ..

وعلى الرغم من لهجته الساخرة ، ترقرقت فى عينه دمعة .. دمعة حزن ..

* * *



٦ ـــ الهجــوم ..

دقائق قبل الفجر ..

احتشد الجميع فى الميادين ، بناءً على أوامر (كوماد) ، وتحت الحراسة المسلحة والمشدَّدة لرجاله الغزاة لمشاهدة مراسم إعدام والدىْ (نور) ...

الوالدان المسكينان داخل قفص من المجالات الكهرومغناطيسية ، فوق منصَّة خاصة ، ينتظران لحظة إعدامها ..

عشرات الحوَّامات ، الخاصَّة بجنود (كوماد) ، أتت من كل صوْب ، لتحيط بالمنصَّة ، وتؤمّن الحماية الكاملة لمراسم الإعدام ..

وفى مرارة ، ظهرت صورة (مشيرة) على كل الشاشات ، وهى تقول فى صوت متوتّر :

ــ سيِّداتى آنساتى سادتى .. هذا هو العرض الأوّل ، لشبكة الإذاعة الأرضية العالمية الجديدة ، يتم بثّه فى كل أنحاء

العالم ، وبكل اللغات الأرضية المعروفة ، وتقدّمه لكم (مشيرة محفوظ) ..

صمتت لحظات ، وكأنما تسعى عبثًا ، لازدراد مرارتها ، قبل أن تستطرد فى صوت أجشّ متوتّر :

ــ سترون فى عرضنا الأوّل ، مراسم إعدام والدىْ الرائد (نور) ، الذى كان يعمل فى المخابرات العلمية المصرية ، ولا أحد يعلم مصيره الآن .

رانَ الصمت لحظة أخرى ، ثم أضافت :

ــ ننتقل الآن لمشاهدة المراسم .

اختفت صورتها من الشاشة ، وظهرت عليها صورة والدىْ (نور) ، وهما يقفان فى ثبات ، والوالد يحيط كتف زوجته بذراعه ، ويربّت عليه فى إشفاق ، وكأنما يسعى لبثّ الشجاعة والطمأنينة فى نفسها ، قبل أن يشاركها مصيرهما الأسود الملعون ، فى حين راح قرص سميك يحلّق فوقهما ، فى مسار دائرىّ محدود ، وصوت (مشيرة) يقول فى حزن :

ــ عندما تحين اللحظة الحاسمة ، سيتوقَّف ذلك القرص المبرمج آليًا عن التحليق .. سيتوقَّف فوق رأسيهما مباشرةً ، وستنطلق منه حزمة عملاقة من الأشعة الأرجوانية ، تسحقهما سحقًا ..

قالت العبارة الأخيرة فى صوت متهدج ، يقطر حزنًا ومرارة ، ثم شهقت ، فيما بدا أنه لحظة بكاء عجزت عن كتمانها ، قبل أن تصمت لحظات أخرى ، أطلقت لدموعها فيها العنان ، لتستطرد فى صوت مختنق :

ــ وسيحدث هذا عند الفجر تمامًا .. أى بعد عشرين دقيقة بالتحديد .. فقط عشرين دقيقة ..

* * *

عقد الإمبراطور (آغرو) حاجبيه ، وهو يشاهد ما يحدث ، على شاشته الخاصة ، وهتف فى حنق ، ضاربًا مسند عرشه البلورىّ بقبضته ، كعادته عند الغضب :

ــ ما الذى يحدث هنا ؟.. أى هُراء هذا ؟.. مَنْ أمر به ؟

أجابه الحكيم (جلاكس) فى هدوء :

ــ إنها لحظة (كوماد) .

صاح فى غضب :

ــ ومَنْ أمره أن يفعل هذا ؟

أجابه (جلاكس) :

ــ أنت يا مولاى .

صرخ مستنكرًا :

ــ أنا ؟!

أجاب الحكيم :

ــ نعم يا سموّ الإمبراطور .. أنت طلبت منه أن يُوقع بالرائد (نور) ، بأى ثمن ، ومنحته سلطات مُطلقة ؛ ليؤدّىَ ذلك ، ولقد فعل ما فعل ، مسترشدًا بما منحته إيّاه .

هتف الإمبراطور فى غضب ، وهو يشير إلى شاشته :

ــ ولكنه يتجاوز حدوده كثيرًا .. لقد خالف سياستى الإعلامية ، وسمح لأرضية ببث البرامج ، و .....

قاطعه الحكيم فى هدوء :

ــ إنما يسعى لنيل الفوز يا مولاى .

صاح الإمبراطور :

ــ هذا لا يمنحه حق مخالفة سياستى .

ابتسم الحكيم فى هدوء ، وقال :

ــ هذا يتوقّف على ما تسعى إليه يا مولاى .

سأله الإمبراطور فى حِدّة :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه فى هدوء :

ــ أعنى أن هذا يتوقّف على أيهما أكثر أهمية لك يا سموّ الإمبراطور ؟.. السياسة الإعلامية ، أم الرائد الأرضىّ (نور الدين) ؟

صمت الإمبراطور لحظة ، ثم أجاب فى عصبية :

ـــ اسمه وحده يكفى لأن أجعل منه هدفاً .

باغته الحكيم بالسؤال :

ـــ لماذا ؟

عقد الإمبراطور حاجبيه فى غضب ، وهو يقول :

ـــ هذا شأنى .

أومأ الحكيم برأسه ، قائلاً :

ـــ بلا شكّ يا مولاى ، ولكن هناك عدة أسئلة تدور فى رأسى ، منذ زمن قريب .. قبل أن تبدأ حملتنا على الأرض .

سأله الإمبراطور فى حدّة :

ـــ مثل ماذا ؟

أجابه الحكيم :

ـــ مثل إصرارك على الحصول على ذلك الرائد الأرضىّ ، ومن قبله حملتك المفاجئة على كوكب الأرض ، ثم كوْنك الوحيد الذى يتحدّث لغة أهل الأرض ، دون الحاجة إلى خوذات الترجمة ، و .....

قاطعه الإمبراطور فى صرامة :

ـــ كفَى أيها الحكيم .

ثم نهض من فوق عرشه البلّورىّ ، مستطرداً فى حِدّة :

ـــ أنت أيضاً تتجاوز حدودك الآن .

لم يَبْدُ على الحكيم أن هذه الغضبة قد أخافته ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ عفواً يا مولاى .. لم أقصد ذلك .

لوّح الإمبراطور بذراعه كلها فى ثورة ، وهو يهتف :

ـــ أنت لا تدرك حدود قُدُرات إمبراطورك .. لا أحد فى الإمبراطورية كلها يدرك ، ولتعلم أننى أكره الأسئلة ، وأكره من يلقيها .

ثم أردف فى صرامة مخيفة :

ـــ وكثيرًا ما أفضّل إبعاده عن طريقى .

ابتسم الحكيم ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـــ ربّما كان هذا هو الأسلوب الأسهل يا مولاى .

ثم رفع سبّابته أمام وجهه ، مستطرداً فى حزم :

ـــ وليس الأمثل .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يغمغم الإمبراطور :

ـــ ربّما أيها الحكيم .. ربّما .

ثم عاد يجلس فوق عرشه البلّورىّ ، ويمّم وجهه شطر شاشة راصده الخاص ، وهو يقول فى بُرُود :



تطلّعت (مشيرة) إلى ساعتها، وهى تقول، عبْر شاشات البثّ، فى أنحاء العالم: بقيت عشر دقائق فقط ..

ـــ دع ذلك لما بعد، أمّا الآن فلنتابع معًـــا مراسم الإعدام .. إن هذا يبدو لى مثيرًا .. مثيرًا للغاية ..

* * *

تطلّعت (مشيرة) إلى ساعتها، وهى تقول، عبْر شاشات البثّ، فى كل أنحاء العالم:

ـــ بقيت عشر دقائق فقط، ويتم تنفيذ حكم الإعدام .. والعالم كله يتساءل الآن: هل سيظهر الرائد (نور) ؟.. أهو حَىٌّ يرزق، أم لقِىَ مصرعه منذ عام كامل، مع بداية الـ ..... ؟

محا المراقب الإليكترونى، الذى زُوِّدت به أجهزة البثّ، العبارة التالية، التى أشارت إلى وقوع الاحتلال، وكأنما تصوَّر المحتلّون أنهم، بمحوِ الكلمة، سيمحون حقيقـة الاحتلال، الكامنـة فى أعمـاق كل أرضى، كما يتصوَّر المستعمرون دوْمًا، ثم عاد صوت (مشيرة) يتردَّد:

ـــ وستبقى هذه الأسئلة حائرة، حتى تحين لحظـة الإعدام .. ولن يطول انتظارنا لها.

مال أحد قادة (كوماد) نحو سيِّده، فى تلك اللحظة، وهو يقول فى اهتمام مشوب بالقلق:

— أتظن أن ذلك الرائد الأرضى سيظهر يا سيّدى ؟

أجابه (كوماد) فى حزم :

— نعم .

ثم استدرك فى سخرية :

— لو أنه على قيد الحياة .

أتاه صوت الرجل ، وهو يقول فى انفعال بالغ :

— أظنه كذلك يا سيّدى .

التفت إليه (كوماد) ، وهو يهتف فى دهشة :

— ما الذى دعاك إلى هذا القول ؟

لم ينبس الرجل ببنت شفة ، وإنما أشار إلى السماء ، إشارة جعلت (كوماد) يستدير ، بكل ما أوتىَ من سرعة وانفعال ، ويهتف :

— اللعنة !!

فهناك .. فى السماء ، كانت مقاتلة أرضية تندفع نحو المنصّة ..

لقد بدأ الهجوم ..

بدأ جوًّا ..

* * *

٧ — الأبطال ..

كل العالم رأى المقاتلة الأرضية تنقض ..

والجميع أصابهم ذُهُول عارم ..

(كوماد) وقف يحدّق فيها مشدوهًا ، غير مصدّق ..

الحكيم (جلاكس) ، هتف فى دهشة :

— يا إله (جلوريال) !.. لم أتصوّر أبدًا أنهم ما زالوا يملكون مثلها .

وهبّ الإمبراطور من عرشه ، هاتفًا فى مزيج من الدهشة والغضب :

— هذا مستحيل !! لقد دمرناها عن آخرها .. ربّما .. ربّما هى صورة هولوجرافية ، أو شىء من هذا القبيل !!

لم يكد يتم عبارته ، حتى أطلقت المقاتلة الأرضية شعاعًا ليزريًّا ، أردَى أحد الغزاة ، فهتف الحكيم :

— بل هى حقيقة .. لقد حصلوا عليها بوسيلة ما .

صاح الإمبراطور :

— فليعدموا الأرضيين على الفور إذن .. لا داعى للانتظار .

أجابه الحكيم ، فى محاولة لتهدئته :

— هذا مستحيل يا مولاى !! اهدأ .. القرص مبرمج إليكترونيًا ، ومن المستحيل تغيير برنامجه الآن ..

انهار الإمبراطور فوق مقعده ، وراح يحدّق فى شاشته ، التى نقلت إليه مشهد المقاتلة الأرضية ، وأشعتها اللّيزريّة ، التى راحت تحصد الغزاة بلا رحمة ، وغمغم :

— اللّعنة !.. اللّعنة !

تمتم الحكيم :

— ثم إننا لم نخسر المعركة بعد .

أجابه الإمبراطور فى حدّة :

— ولم نربحها .

ثم أضاف فى حنق :

— ومن الأفضل لـ (كوماد) أن يربحها ، وإلا فالويل له .. الويل للخاسر .

* * *

حدّق (كوماد) فى المقاتلة الأرضية مشدوهًا ، ولكن تحديقهُ هذا لم يدم سوى لحظة واحدة ، هتف بعدها فى غضب :

— أطلقوا الأشعة .. دمّروا تلك المقاتلة اللّعينة .

ارتفعت فوّهات البنادق نحو المقاتلة ، وانطلقت آلاف الخيوط ، من الأشعة الأرجوانية القاتلة ، وسرت همهمة رهيبة بين تلك الملايين ، التى تتابع المشهد ، فى كل أنحاء العالم .

لقد حقّقت لهم تلك المقاتلة حُلمًا ..

منذ عام كامل ، وهم يتابعون ذلك البحث الوحشىّ ، عن الرائد (نور) ، فى كل مكان ، وكل قارّة ، وكل بلد ..

وبات من الواضح أنه عدوّ الغزاة رقم واحد ..

وأنهم يخشونه ..

ويرهبونه ..

كان الوحيد الذى شغل الغزاة ، طوال عام كامل من الاحتلال ..

وكان هذا مُبهرًا ..

كل شعب يبحث عن بطل ..

كل أمّة تبحث عن قائد ..

كل عالم يبحث عن زعيم ..

ولقد أصبح (نور) هو البطل ..

هو القائد ..

هو الزعيم ..

الغزاة ، الذين أرادوا قتله ، هم الذين صنعوا منه ذلك ..

إصرارهم على البحث عنه ، خلق منه بطلًا ، فى عيون أهل الأرض ، من أقصاها إلى أقصاها ..

شراستهم نحوه ، جعلت منه قائدًا للجموع ، التى تحلُمُ بالحرية ..

غضبهم عليه ، أنجب فيه زعيمًا ، ينتظره العالم أجمع ..

ومع مضى الوقت ، صار (نور) حُلمًا بالحريـــة ، وأسطورة للخلاص ..

وعندما أعلن (كوماد) عن تحدّيه له ، وعن إعدامه لوالديْه ، خفقت قلوب سكان العالم ، وهم يتساءلون ..

هل سيظهر (نور) ؟..

هل سيتحوّل الحُلم إلى حقيقة ؟ ..

هل ستسمو الأسطورة فى عالم الواقع ؟!..

وكلهم خرجوا يشاهدون مراسم الإعدام ، على شاشات الغزاة ، فى كل ميادين العالم ، أملًا فى رؤية الأسطورة ..

وعندما ظهرت تلك المقاتلة ، خفقت قلوبهم فى شدة ..

لقد بدأ الحُلم..

حُلم الحرية ..

ولكن فجأة ، ضاع كل شىء ..

لقد انفجرت المقاتلة ..

أصابتها الأشعة الأرجوانية ، فانفجرت ..

وران الصمت فى العالم أجمع ، فى لحظة واحدة ..

حتى الأطفال ، توقفوا عن البكاء ..

حتى الحشرات والحيوانات صمتت ..

(كوماد) وحده أطلق ضحكة عصبيّة قويّة ، ولوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ــ لقد ضاع أملكم يأهل الأرض .. لقد انتهى بطلكم وضاع .

صرخت أمّ (نور) فى سجنها الكهرومغناطيسى :

ــ ولدى !!

وبكى والده فى مرارة ..

وصاح الإمبراطور (آغرو) فى مركز قيادة الغزو :

ــ لقد انتصرنا أيها الحكيم .. لقد انتصرنا .

ابتسم الحكيم (جلاكس) ، وهو يقول فى ارتياح :

ــ لقد انتصر (كوماد) يا مولاى .

هتف الإمبراطور فى صرامة :

ــ بأوامرى وقيادتى .

ابتسم الحكيم ، متمتمًا :

ــ بالطبع يا مولاى ، فالهزيمة ابنة سفاح ، والنصر له ألف أب .

قال الإمبراطور فى حِدّة :

ــ ماذا تقصد أيها الحكيم ؟

أجابه الحكيم فى هدوء :

ــ لا شىء يا مولاى .. لا شىء .

رمقه الإمبراطور بعينيه الدمويتين فى صرامة ، وهو يقول :

ــ اللعنة على الحكماء .

ثم التفت إلى شاشة راصده الخاص ، مستطردًا :

ــ تبًا لك .. دعنا نشاهد لحظة النصر على الشاشة .

كانت الشاشة تنقــل ــ فى تلك اللحظــة ــ صورة (كوماد) ، وهو يرفع ذراعيه فى الهواء ، هاتفًا :

ــ المجد لـ (جلوريال) .. المجد لـ ......

قاطعه صوت أحد رجاله من حوله ، وهو يقول فى صرامة :

ــ للأرض .

التفت إليه (كوماد) فى حِدّة ، وهتف فى غضب :

ــ ماذا تقول أيها الحقير ؟

أجابه الرجل فى صرامة :

ــ أقول إن المجد للأرض يا (كوماد) .. صحيح أننا لم نلتقِ أبدًا من قبل ، ولكن كل منّا يعرف الآخر جيدًا .. اسمى (نور) .

وبحركة حاذقة ، انتزع عن وجهه ذلك القناع الأخضر ، الذى يحمل ملامح الغزاة ، مستطردًا فى حزم وقوّة :

ــ الرائد (نور الدين محمود) .. من الأرض ..

* * *





وبحركة حادة ، انتزع عن وجهه ذلك القناع الأخضر ، الذى يحمل ملامح الغزاة ..

٨ ـ أسطورة الخلاص ..

من المستحيل وصف ذلك الدوىّ ، الذى أحدثه ظهور (نور) المفاجىء ، فى العالم كله ..

إنه لم يكن دويًا فحسب ..

لقد كان قنبلة ..

قنبلة انفجرت على هيئة صمت رهيب ، وعيون متسعة ، وقلوب مرتجفة ..

ثم صيحة واحدة ..

صيحة ارتجّ لها كوكب الأرض بأكمله ..

صيحة انطلقت من أفواه آلاف الملايين ، فى لحظة واحدة ..

صيحة تحمل شهادة ميلاد المقاومة ..

واسم (نور) ..

وتجمّد (كوماد) فى ذهول حقيقى هذه المرّة ..

ذهول لم يجمّده وحده ، بل جمّد جيشه ، ورجاله ..

وحتى إمبراطوره ..
لقد كان الجميع يتوقعون هجومًا جويًا ، أو بريًّا ..
أو انتحاريًا ..
ولقد حطَّم انفجار المقاتلة أملهم ، وأسال دموعهم ..
مزَّق أفئدتهم ، وأذاب أحلامهم ..
ثم كان ذلك الظهور المفاجئ لـ (نور) ..
ظهر القائد والزعيم والأسطورة ..
ظهر من آخر مكان توقعه أى مخلوق ..
فى جيش (كوماد) نفسه ..
وبين قادته ..
فى تلك اللحظة علم العالم كله أن الأرض لم تستسلم بعد ..
ما زالت هناك مقاومة ..
ما زال هناك أمل ..
أمل يُدعى (نور) ..

* * *

كل شىء تحرَّك فى سرعة مُذهلة ، منذ تلك اللحظة ..
لقد أعلن (نور) عن نفسه ، ثم استغلَّ عامل المفاجأة ، والذُّهول الذى أعقب ظهوره ، بعد أن شعر الغزاة بانتصارهم ،

وأيقنوا منه ، ودفع قبضته فى فك أقربهم إليه ، فألقاه من فوق منصة القيادة ، ثم ركل ثانيًا فى معدته ، لو أن معدة الغزاة تحتل نفس موضع معدتنا نحن ، وأطلق أشعة بندقيته الأرجوانية على مَنْ حوله ، قبل أن يلصق فوّهتها بعنق (كوماد) ، صائحًا فى سُخرية :
ــ ما رأيك يا قائد الأوغاد ؟ .. لمن المجد اليوم ؟
قال (كوماد) فى حَنَق :
ــ للمنتصر .
ثم أضاف فى غضب :
ــ وأنت لم تنتصر بعد .
كان الجميع يطلقون صيحات السعادة والتأييد ، وقد شملهم حماس جُنونى ، أنساهم وجود حرّاس الغزاة من حولهم ، أو جعلهم لا يبالون بهم ..
حتى (مشيرة) ، ألقت خوفها ومرارتها جانبًا ، وراحت تصرخ عَبْر شبكات البث ، فى جميع أنحاء العالم :
ــ لقد ظهر .. لقد ظهر القائد .. الأسطورة أصبحت حقيقة .. حانت لحظة المقاومة والصراع .. حانت لحظة المقاومة ..

وصرخ الإمبراطور (آغرو) ، فى مركز القيادة :

ـــ أوقفوا البثّ .. امنعوا تلك الحقيرة من إشعال جَذْوة الحماسة .. امنعوها .

قال الحكيم فى انفعال ، قلّما يسيطر على مشاعره :

ـــ أنت وحدك تملك إصدار مثل هذا الأمر يا مولاى ، فلقد أصدر (كوماد) أوامره بالبث ، مهما كانت الأسباب ، ولن يجرؤ مخلوق واحد على كسر أوامره ، إلا بأمر مباشر منك .

صاح الإمبراطور :

ـــ صِلْنى بكل مراكز البثّ إذن .. وعلى الفور .

ثم أضاف فى صوت ارتجف من شدة الانفعال :

ـــ ومُرْ بقتل هذه الحقيرة .. وبلا رحمة .

* * *

تجمَّد جنود الغزاة كلهم ..

لم يدرِ أحدهم ماذا يفعل ..

ولم يجرؤ أحدهم على إتيان أى أمر ، دون رغبة (كوماد) ..

ولكن (كوماد) كان فى شغل عنهم ..

كان يهتف فى وجه (نور) :

ـــ لو أنك تتصوَّر أنك قد ربحت ، فأنت واهم .

أجابه (نور) فى سُخرية :

ـــ هكذا ؟!.. أنسيت أننى قد أثرت جيشك كله بمقاتلة أطفال ، صغيرة الحجم ، تعمل بواسطة التوجيه البعيد (ريموت كنترول) ، وتم تزويدها بمسدسى الليزرىّ ؟.. أتتجاهل أننى قد خدعتكم جميعًا ، وخرجت لكم من قلب حصنكم الحصين ؟ .. أتنكر أن أحدًا من رجالك لن يجرؤ على القتال ، وأنا ألصق فُوَّهة تلك البندقية ، التى تُطلق أشعتكم الأرجوانية الساحقة ، بعنقك ؟

هتف (كوماد) فى غضب :

ـــ لست أدرى كيف أمكنك أن تفعل كل هذا ؟ ولكنه لا يعنى أنك قد انتصرت .. أنسيت أنك تكشف عن وجودك هكذا ؟

ابتسم (نور) ساخرًا ، وهو يقول :

ـــ أنت منحتنى الفرصة المناسبة لذلك أيها الوغد ، فلقد كان ظهورى حتميًّا ، ولكنك ساعدت على أن تصحب ذلك ضجَّة إعلامية رائعة ، فشكرًا لك .

بكت أمّ (نور) عند هذه اللحظة ، وهى تلتصق بزوجها ، هاتفة :

ــ إنه ابننا يا (محمود) .. إنه حىٌّ .. حىٌّ ..

ضمّها والد (نور) إلى صدره ، وهو يقول فى اعتزاز :

ــ اصمتى يا عزيزتى .. إننى أعجزُ عن الكلام ، فهناك شعور قوىّ يملأ نفسى ، ويتغلغل فى كيانى .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

ــ الفخر .

ومع تلاشى حروف كلمته ، كان (كوماد) يهتف :

ــ لقد نسيت والديك أيها الرائد الأرضىّ .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ يا له من قول أحمق !

صاح (كوماد) :

ــ بل لقد نسيتهما .. نسيتهما تمامًا .

لكزَهُ (نور) بفوّهة بندقية الأشعة الأرجوانية فى عنقه ، وهو يقول فى استهجان :

ــ قُل لى إذن أيها الوغد ، لأى سبب تتصوُّر أننى قد فعلت كل هذا ؟ .. أمن أجل تحديك فحسب ؟

قال (كوماد) فى صرامة :

ــ أعلم أنك قد فعلت كل هذا من أجلهما ، ولكنك نسيت أنهما مازالا تحت القرص ، وأنه بعد ثلاثة دقائق بالتحديد ، سيتوقّف القرص عن التحليق ، وسيغمرهما بالأشعة الساحقة ، وأنه مامن سبيل لمنعه .. مامن سبيل قطّ ..

* * *



٩ ـ مِنْ كلِّ صَوْب ..

كانت (مشيرة محفوظ) تواصل صياحها فى حماس جُنونى ، عندما توقَّفت كل أجهزة البثّ دفعة واحدة ، بأمر من الإمبراطور (آغرو) ..

ورأت (مشيرة) بعض الغزاة يُهْرَعون نحوها ، وسمعت أحدهم يهتف :

ـ اقتلوها .. إنها أوامر الإمبراطور .

وانطلقت نحوها دفعة من الأشعة الأرجوانية ، تفادتها بمعجزة ، وهى ترتجف رُعْبًا وهَلَعًا ، وتصرخ :

ـ أيها الأوغاد .. أيها القتلة ..

انطلقت تعدو فى رُعْب هائل ، وخيوط الأشعة البنفسجية تلاحقها فى إصرار ، وتسحق كل ما تمسّه ، حتى وجدت أمامها بغتة اثنين من الغزاة ، يصوِّبان بندقيتيهما إليها ، فانهارت صارخة :

ـ عليكم اللَّعنة !! عليكم اللَّعنة جميعًا !!

وضغط الغازيان الجديدان زِنادَىْ بندقيتيهما ، وانطلقت الأشعة الأرجوانية ..

* * *

أدار (نور) عينيه فى لهفة ، إلى حيث يقف والده ، وانتقل بصره إلى ذلك القرص السميك ، الذى يحلّق فوقهما ، وغمغم فى لَوْعة :

ـ أبى .. أمى .

وفى حَنَق ، أطلق الأشعة الأرجوانية نحو القرص ، الذى امتص الأشعة على الفور ، وصاح (كوماد) فى سخريه :

ـ أطلق أيها الرائد .. إنه يختزن كل ما تطلقه نحوه .. محاولاتك لن تسفر إلَّا عن مزيد من الأشعة على رأس والديك .. عندما تحين اللحظة الحاسمة .

صاح (نور) :

ـ أيها الحقير .

وفجأة ، ضرب (كوماد) بندقيه (نور) ، وهو يصرخ :

ـ لقد أخطأت أيها الأرضىّ ..

وهوت قبضته الأخرى على فكّ (نور) ، وهو يستطرد :

ـ أخطأت بإبعاد فُوَّهة سلاحك عن عنقى .

صرخت أمّ (نور) فى جَزَع ، وهتف أبوه :

ـ يا إلهى !!.. (نور) !

أمَّا (نور) نفسه ، فقد تفادى لَكْمَة (كوماد) فى براعة ، وهو يهتف :

— ليس بهذه البساطة أيها الوغد .

وانحنى فى مرونة ، على الرغم من تلك الأطوال الإضافية ، فى حُلّته التنكّرية، ثم كال لـ (كوماد) لكمة كالقنبلة ، مستطردًا :

— إننا نتفوّق فى الصراع البدنىّ .

تراجع (كوماد) فى عنف ، ثم اعتدل ، صارخًا :

— صدقت أيها الأرضىّ .. أنتم تتفوّقون بدنيًا ، أمّا نحن ، فنتفوّق فى كل المجالات الأخرى .

وقفز فجأة من فوق المنصّة ، صائحًا :

— اسحقوه يا رجال .

وإثر كلمته ، وقبل أن تتلاشى حروفها ، كانت فوّهات مئات البنادق ، ذات الأشعة الأرجوانية ، تتجه نحو (نور) ..

وبدا أنها النهاية ..

* * *

أغمضت (مشيرة) عينيها ، وتصوّرت أنها ستلقى حتفها بلا ريب ، وستتحوّل ، عندما تصيبها الأشعة الأرجوانية ، إلى كُومَة من الرماد ..

هذا لو تبقّى منها ما يكفى لصنع تلك الكُومَة ..

ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

لقد انطلقت الأشعة الأرجوانية حقًا ، ولكنها لم تتجه إليها ..

لقد تجاوزتها إلى مطارديها ..

وسحقتهم سحقًا ..

وفى ذُهُول ، استمعت إلى صوت أحد الغازين ، اللّذين يواجهانها ، وهو يقول بلهجة مصريّة :

— لا تخشَىْ شيئًا يا (مشيرة) .. أنا (محمود) ، عضو فريق (نور) .. وهذه (نشوى) .. ابنته .

هتفت فى ذُهُول :

— (محمود) ؟!.. (نشوى) ؟!.. ولكن مظهركما ؟!..

أجابها (محمود) فى سرعة :

— إنه تنكّر مُتقن .. أعدّته (نشوى) .. سنشرح لك هذا فيما بعد .. أمّا الآن ، فلنبتعد عن هنا بأقصى سرعة .. إنها معركة مصير .

هتفت (مشيرة) ، وهى تعدو إلى جوارهما :

— ولكن أين باقى الفريق ؟

أجابتها (نشوى) فى مرارة :

— (رمزى) والدكتور (حجازى) مفقودان ، منذ عام كامل ، وأمّى هناك ، عند منصّة الإعدام .

سألتها فى دهشة :

— وماذا تفعل هناك ؟

أجابها (محمود) :

— تحاول أن تجد وسيلة ؛ لإنقاذ والدىّ (نور) .. لقد أصبحت خبرتها ومهارتها هما أملهما الأخير الآن .. والوحيد ..

* * *

انطلقت (سلوى) ، فى زىّ الغزاة وهيئتهم ، نحو منصّة الإعدام ، وهى تتطلّع إلى ساعتها ، مغمغمة :

— ربّاه !!.. ساعدنى يا إلهى .. لقد بقيت أمامهما دقيقتان فحسب .. ينبغى أن أبذل أقصى جهدى ، أو نفقدهما إلى الأبد .

اعترضها حارسا المنصّة ، وقال أحدهما فى صرامة :

— قف أيها الزميل .. الاقتراب من هذا المكان محظور .. إنها أوامر القائد (كوماد) .

قالت فى توتر :

— ولكننى هنا بناءً على أوامره .. هو الذى طلب منّى المجىء ، و ......

قاطعها فى صرامة :

— قف ، وإلا .....

ورفع فوّهة بندقيته فى وجهها ، فهتفت :

— لابأس .. لابأس .. سأعود .. ولكن عليكما أن تتحمّلا غضبة القائد (كوماد) ، و .....

وفجأة ، شَهَرَت بندقيتها فى وجهيهما ..

وأطلقت أشعتها الأرجوانية ..

وسحقت أوّلهما ..

وصرخ الثانى :

— خيانة !! خيانة !!

ولكنها كتمت صرخته ، وسحقته أيضًا بطلقة ثانية ، ثم ارتجف جسدها ، وهى تتمتم :

— يا إلهى !!.. إنه الموت ، كما يقول (نور) .. الموت فى كل مكان ، ومن كل صوْب .

سرَت فى جسدها قشعريرة ، وهى تتطلّع إلى ساعتها ، متمتمة :

— بقيت دقيقة ونصف فقط .

ارتجفت مرّة أخرى ، وهى تميل نحو جهاز البث الكهرومغناطيسى ، الذى يصنع حاجزًا يستحيل اختراقه ، حول والدى (نور) ، وراحت تدرس مسار أسلاكه ودوائره الدقيقة ، مغمغمة :

— يبدو أنها عملية معقدة بالفعل .. هؤلاء الأوغاد يستخدمون مصدرًا للطاقة من قطب واحد ، لا من قطبين ، كما نفعل نحن ، وهذا يجعل الأمر أكثر صعوبة .

وزفرت فى قوة ، ثم أردفت :

— ولكننى سأحاول على أية حال .

لم تكد تمد أصابعها نحو الجهاز ، حتى تجمّد كيانها كله ، على صوت أحد الغزاة ، وهو يقول فى صرامة :

— لن تفعل ، لأنك ببساطة لن تجدى الوقت الكافى لذلك .. إلا إذا كنتم — يأهل الأرض — تملكون القُدرة على العمل بعد الموت .

ورأت أصابعه تضغط زناد بندقيته ، المصوّبة إليها ..

ورأت الأشعة الأرجوانية تنطلق ..

* * *

كان الأمر يبدو — بالنسبة لـ (نور) — وكأنه النهاية ..

نهاية حياته ..

ونهاية الرمز ، الذى صار يحمله ..

لقد كانت مئات البنادق ، التى تطلق الأشعة الأرجوانية الساحقة ، مصوّبة إليه ..

وكان هناك صوت يصرخ :

— أطلقوا النار .

وخُيّل لـ (نور) أنه قد فقد إدراكه ..

أو فقد تمييزه للأمور ..

لقد سمع ذلك الصوت ، الذى أمر بإطلاق النار ، فى وضوح تام ..

ولكنه لم يكن صوت (كوماد) !!..

لم يكن حتى أحد الأصوات ، التى تترجمها الخوذات الشفافة !!..

كان صوتًا مألوفًا ..

صوتًا لم يسمعه منذ عام كامل ..

وإثر الصوت ، انطلقت الأشعة الأرجوانية من كل صوب ..

انطلقت نحو الغزاة ، وليست منهم ..

وأمام عيون (كوماد) ، المذهولة المستنكرة ، راح رجاله ينسحقون سحقًا ..

وهتف (كوماد) و (نور) فى آن واحد :

ــ مستحيل !!

وفجأة ، برز رجال من كل مكان ..

مئات من أهل الأرض ، برزوا من كل صَوْب ، وأيديهم تحمل تلك البنادق ، التى لم يحملها سوى الغزاة من قبل ..

كانت صحوة كبرى ..

وصاح (كوماد) فى حنق :

ــ اللّعنة !

ثم ضغط زرًا فى حزامه ، مستطردًا :

ــ لقد ربحت هذه الجولة أيها الرائد ..

صاح به (نور) :

ــ وأنت خسرت يا (كوماد) .

أطلق (كوماد) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ــ ليس بعد .

وانطلقت من حزامه فجأة صواريخ نفّاثة . دفعته إلى أعلى ، وصرخ نفس الصوت المألوف :

ــ أطلقوا النار .. امنعوه من الفرار .

وانطلقت مئات الخيوط من الأشعة الأرجوانية ، نحو



وانطلقت من حزامه فجأة صواريخ نفّاثة ، دفعته إلى أعلى ، وصرخ نفس الصوت المألوف ..

(كوماد) ، ولكنها تلاشت كلها ، فوق درع خفىّ ، أحاط بجسده ، وهو يطلق ضحكة ساخرة أخرى ، ويقول فى صوت متخافض ، مع ابتعاده السريع :

ـ إنها جولة فحسب أيها الرائد .. إنك لم تربح المعركة بعد .

صاح (نور) فى غضب :

ـ وأنت كذلك أيها الوغد .

أتاه صوت قريب ، يهتف فى سعادة :

ـ (نور) .. حمدًا لله .. لم أتصوّر أن أراك مرّة ثانية أبدًا .

التفت (نور) إلى مصدر الصوت فى حركة حادّة ، واتّسعت عيناه بدهشة وفرح ، وهتف فى سعادة جمّة :

ـ أنت ؟!

وكان لقاءً مُبهجًا ..

مُبهجًا حقًّا ..

* * *

ضرب الإمبراطور (آغرو) مسند عرشه البلّورى بقبضته فى غضب ، وهو يهتف :

ـ اللّعنة .. اللّعنة على كل ما حدث .

قال الحكيم فى توتّر :

ـ رُوَيْدك يا مولاى .. إنها جولة فحسب .

صرخ به فى غضب هادر :

ـ أتقول ذلك أنت أيضًا ؟

ولوّح بذراعيه ، مستطردًا فى ثورة :

ـ من الخطأ أن ينتصر الأرضيون .. من الخطأ أن يفعلوا .. سيمنحهم هذا شعورًا بأننا لسنا بالقوّة التى يتصوّرونها ، وسيستهينون بنا .. وستكون بداية للمقاومة والعُنف ..

قلّب الحكيم كفّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل يا مولاى ؟

عاد يضرب مسند عرشه بقبضته ، هاتفًا :

ـ نبيدهم عن آخرهم .

اتسعت عينا الحكيم فى رُعْب ، وهو يهتف :

ـ تبيدهم ؟!

أجابه الإمبراطور فى جِدّة :

ـ نعم .. سأبيد الكوكب كله ، لو لزم الأمر .. المهم ألا ينتصروا .

ثم ضغط عدّة أزرار أمامه ، صائحًا فى لهجة صارمة آمرة :

ـ أطلقوا عيون الحراسة .. أطلقوا كل ما لدينا منها .

وأردف ، وجسده كله يرتجف غضبًا وانفعالًا :

ـ ستخضع الأرض كلها ، أو تدفع الثمن .. كلها ..

* * *



١٠ ـ اللقـــاء ..

ارتجفت (سلوى) فى رُعب ، عندما رأت الأشعة الأرجوانية تنطلق ، إلّا أن صرخة الغازى جعلت عينيها تتسعان فى ذُهول ، وهى تتطلّع إليه يسقط ، وينسحق ، واستدارت خلفها فى سرعة وحِدّة ، وحدّقت فى ذلك الوجه الباسم ، للرجل الذى أنقذ حياتها ، وهتفت فى مزيج من الفرح والذُهول :

ـ (رمزى) ؟!.. ربّاه !! كم تسعدنى رؤيتك !.. لقد تصوّرت .. بل تصوّرنا جميعًا أنك قد انسحقت ، أسفل منزلك ، و ......

ربّت (رمزى) على وجهها ، مغمغمًا :

ـ لا عليك .. سأشرح لك ما حدث فيما بعد .. أمّا الآن ، فلنُولِ اهتمامنا كله لإنقاذ والدىْ (نور) .

هتفت فى جَزَع :

ـ يا إلهى !.. هذا صحيح .

ثم تطلّعت إلى ساعتها ، مستطردة فى هلع :

ــ لم يَعُد أمامى سوى دقيقة واحدة .

هتف بها :

ــ هيَّا إذن .. لن نضيع ثانية منها .

صاحت ، وهى تعمل فى جهاز البثّ فى سرعة :

ــ ابتعد أنت يا (رمزى) .

أجابها فى صرامة :

ــ سأبقى .

هتفت فى توتُّر :

ــ إننا أسفل منصّة الإعدام الآن ، وإذا ما فشلت فى إيقاف ذلك الحقل الكهرومغناطيسى ، فستسحقنا الأشعة الأرجوانية ، مع والدَىْ (نور) .

قال فى حزم :

ــ سأخاطر .

لم يكن هناك مجال للمناقشة ، فواصلت عملها ، وقلبها يدقّ فى عُنف ..

كانت مسألة ثوانٍ ..

ثوانٍ تفصل بين الحياة .. والموت ..

* * *

كانت فرحة (نور) غامرة ، وهو يحتضن قائد هؤلاء الرجال ، الذين أنقذوه من موت محتوم ، ويهتف :

ــ دكتور (حجازى) !!.. يا لسعادتى برؤيتك !.. لقد مضى عام كامل ، تصوَّرت فيه أننا لن نراك أبدًا .

هتف الدكتور (حجازى) فى سعادة :

ــ أنا أيضًا تصوَّرت أننى لن أراك مرّة أخرى يا (نور) .

صاح (نور) ، وهو يدير عينيه إلى والديه :

ــ هذا شعورى فى تلك اللحظة ، نحو والدىَّ .

التفت إليهما الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف فى جَزَع :

ــ يا إلهى !!.. والداك ؟

وصاح والد (نور) ، من خلف الحاجز الكهرومغناطيسى :

ــ لا تقلق بشأننا أنا وأمك يا ولدى .. إننا لم نَعُد نخشَى الموت أو نهايةً .. سنستقبله بنفوس راضية ، ما دمنا نطمئن إلى أنك بخير ..

تطلَّع (نور) إلى ساعته ، وقلبه يخفق فى عُنف ، وهتف فى لوعة :

ــ لقد فات الوقت .. بقيت عشر ثوانٍ فحسب .. لن يمكننا أن ......

فجأة .. وقبل أن يتم عبارته ، اندفعت (سلوى) من أسفل منصة الإعدام ، هاتفة :

ـ ابتعدوا .. ابتعدوا جميعًا .

وفي نفس اللحظة ، تلاشى الحاجز الكهرومغناطيسي ، وبرز (رمزي) من أسفل المنصّة ، واحتضن والدي (نور) بذراعيه ، وهو يهتف :

ـ هذا الأمر يشملكما أيضًا ..

صاح (نور) وهو يندفع نحو والديه :

ـ (رمزي) أيضًا ؟!.. ماذا يحدث ......؟

لم يَدَعْه (رمزي) يكمل عبارته ، وإنما صاح ، وهو يدفعه مع والديه جانبًا :

ـ ألم تسمع ؟.. قالت زوجتك ابتعدوا ..

وهنا انطلقت الأشعة الأرجوانية كحزمة عملاقة ، من القرص ، وأصابت منصّة الإعدام ..

وانسحقت المنصّة تمامًا ، في دويٍّ شديد ..

انسحقت كنملة ضعيفة ، وطئتها أقدام فيل ضخم ..

وتردّد الدويّ طويلاً ، ثم تلاشى تدريجيًا ..

وحدّق والد (نور) فيما خلفته حزمة الأشعة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهي !!.. ثوانٍ معدودة ، وكان هذا كل ما سيتبقّى منا أيضًا .

هتف (نور) في سعادة جمة :

ـ ولكنكما نجوتما .. والحمد لله ..

تعانق مع والديه في حرارة ، وتفجّرت الدموع في عيون الجميع ، وأقبل (محمود) و (نشوى) و (مشيرة) ، وكان لقاءً رائعًا ..

* * *

قال (رمزي) ، يصف لرفاقه ما حدث ، منذ افترق عنهم ، مع بداية الغزو :

ـ لقد تحدّثت مع (محمود) ، عَبْرَ جهاز التليفيديو ، في ذلك اليوم ، ثم رأيت منزلاً ينسحق أمامي ، ورأيت نساءً وأطفالاً يصرخون ألمًا ، والدماء تنزف منهم في غزارة ، فغادرت منزلي ، وأسرعت إليهم ، أحاول إنقاذهم ، ولم أكد أفعل حتى انسحق منزلي أيضًا ، ولكنني لم ألتفت إليه .. كان الموقف بأكمله رهيبًا مخيفًا ، حتى أن الدمار قد صار فيه أمرًا عاديًا مألوفًا ، وبينما أنا أُسْعِف من حولي ، سقط شيء ثقيل على رأسي ، و .....

صمت لحظة ، ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، مستطردًا :

— وفقدت وعيى .

غمغمت (نشوى) فى إشفاق :

— يا للمسكين !

رمقتها (مشيرة) بنظرة غيْرة ، ثم تمتمت :

— وماذا حدث بعد ذلك ؟

لوّح بكفه ، قائلاً :

— سَلوا الدكتور (حجازى) .

التفت الجميع إلى الدكتور (حجازى) ، الذى ابتسم ، قائلاً :

— عندما بدأت المعمعة ، هرعت من منزلى إلى أقرب منازلكم إلىّ .. إلى منزل (رمزى) .. كنت أريد أن أطمئن عليكم جميعًا ، وعندما بلغت منزل (رمزى) ، هالنى أن وجدته مسحوقًا ، وتصوّرت ، مثلما حدث معكم ، أن (رمزى) قد لقىَ مصرعه أسفله ، إلا أننى لمحته ملقى فى طريق قريب ، فأسرعت إليه ، وكشفت أنه حىّ ، ولكنه فاقد الوعى ، ولمّا كان القصف عنيفًا فى المنطقة ، فقد حملته إلى سيّارتى ، وانطلقت به مبتعدًا ..

صمت لحظة ، ازدرد خلالها لعابه ، وتابع :

— وقضى (رمزى) يومًا كاملاً فاقد الوعى ، مصابًا بحمّى مجهولة ، ينتفض ويرتجف ألمًا ، حتى استعاد وعيه ، ورُحنا نبحث عنكم معًا ..

تنهّد فى عمق ، وأكمل :

— وأصبح من المستحيل أن يجد كل منّا الآخر ، ولكننا رأينا — (رمزى) وأنا — أن بحث الغزاة عن (نور) ، يعْنِى أنه ما زال حيًّا ؛ لذا فقد انتظرنا اللحظة المناسبة ، التى يقرّر فيها أن يُعلن عن وجوده ، ورُحنا نستعد لها .. وفى صمت وسريّة ، رُحنا ننظّم فرقة للمقاومة .. وكان (نور) يتحوّل ، مع مرور الوقت ، إلى أسطورة ، تذكى نارها ، وتؤيدها .

وابتسم ابتسامة واسعة ، مستطردًا :

— حتى حانت اللحظة .

التقط (رمزى) منه طرف الحديث ، وأكمل :

— كنّا نعلم أن (نور) سيقبل التحدّى .. خبرتى معه ، ودراستى للطب النفسىّ كانت تؤكّد لى أنه سيفعل .. ولقد كنت على حقّ كما ترون .. المهم أننى والدكتور (حجازى) قد تعاونّا ، وجمعنا كل فريق المقاومة ، واستعد الجميع للحظة الصفر ، ولم يكد (نور) يظهر ، حتى انقضّ فريق المقاومة

التابع لنا ، على كل من صادفه من الغزاة ، وانتزع أسلحتهم ، وقاتلهم فى شراسة .

وتسللت نبرة حزينة إلى صوته ، وهو يستطرد :

ـ لقد فقدنا العشرات فى تلك الموقعة ، ولكننا حصلنا على الأسلحة .

ربّت (نور) على كتفه قائلاً :

ـ نحن نعلم الباقى .

وهتفت (نشوى) :

ـ لقد كنت رائعًا .

ابتسم (رمزى) ، وهو يتطلّع إليها فى حنان ، فأشاحت (مشيرة) بوجهها فى مرارة وغيْرَة ، محاولةً أن تخفى دمعة فرّت من عينيها ، وهى تقول فى حدّة وصرامة :

ـ لابأس .. ماذا سنفعل الآن ؟

صاح (محمود) فى ذعر :

ـ لو سألتمونى رأيى ، لقلت إن أفضل ما نفعله الآن هو الفرار .

استدار الجميع إلى حيث ينظر ، وعلموا أنه على حق ..

لقد كانت هناك آلاف من عيون الحراسة تندفع نحوهم ..

ولم يكن هناك مهرب ..

لقد أطبق الفخ فكّيه ..

أطبقهما فى إحكام ..

* * *



١١ ـ المذبحة ..

كانت حقًا مذبحة ..

آلاف من خيوط الأشعة الأرجوانية ، انطلقت من الجانبين ..

مئات من عيون الحراسة انفجرت وتحطمت ..

عشرات من رجال المقاومة انسحقوا وفتتوا ..

وكان الجميع يهرعون إلى هدف واحد ..

الفرار ..

لم تكن معركة متكافئة على الإطلاق ..

كانت العيون تصيب هدفها فى دقة بالغة ..

وكانت تأتى بالآلاف ..

كل عين تنفجر ، تأتى عشرات بدلًا منها ..

وانطلق (نور) ورفاقه يعدون ، و (سلوى) تهتف :

ـ لقد أخطأنا .. كان ينبغى أن نعود على الفور ، بدلًا من أن نبقى فى أماكننا ، حتى يهاجمنا الغزاة مرة أخرى .

صاح بها (نور) :

ـ لا وقت للندم .

ثم استدار فى سرعة ، وأطلق أشعة بندقيته على ثلاث عيون ، انفجرت على الفور ، وهو يستطرد :

ـ المهم أن نبلغ نقطة الأمان .

هتفت (نشوى) :

ـ لقد وضعت جهاز نقل محدود هناك ، سيؤمن لنا السلامة ، عندما نبلغ موضعه .

صاح (نور) :

ـ وماذا عن الباقين ؟

هتفت به :

ـ لست أدرى .. إنه لن يحتمل طويلًا .. سينقل عشرين شخصًا على الأكثر .

هتف فى مرارة :

ـ يا إلهى !!

صاحت ، وهى تنحرف فى شارع جانبى :

ـ ها هو ذا .

ضغطت زرًا فى الجدار ، فانزاح جزء منه جانبًا ، وكشف عن فجوة بحجم رجل ضخم ، دفعت أمها إليها ، قائلة :

ـ هيًا .. ستكونين البادئة .

لم يكد جسد (سلوى) يستقر داخل الفجوة ، حتى تألق ، تلاشى على الفور ، فصاحت (نشوى) :

ـ هيًا يا أبى .

هتف فى حزم :

ـ النساء أوّلاً .

ثم دفع (مشيرة) داخل الفجوة ..

وصاحت (نشوى) ، وهو يدفعها إليه :

ـ كُنْ على حذر يا أبى .. سينفجر الناقل بعد عشرين مرّة فقط .

قال فى صرامة :

ـ أعلم .

ودفع جسدها داخل الناقل ، ورآه يتلاشى بدوره ، ثم راح يعاون كبار رجال المقاومة على الدخول إليه ، حتى سجل الناقل تسعة عشر انتقالاً ، وهنا هتف (نور) :

ـ بقِىَ واحد .. هيًا يا دكتور (حجازى) ..

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ بل اذهب أنت يا (نور) .. أنت أكثرنا أهمية .

صاح (نور) فى جدّة :

ـ هيًا .. لا وقت للجدال .. ستبلغنا عيون الحراسة بعد قليل .

أجابه (محمود) :

ـ الدكتور (حجازى) على حقّ يا (نور) .. أنت ينبغى أن تذهب .

هتف (نور) :

ـ مطلقًا .. سأبقى إلى النهاية .

تنهّد (رمزى) ، وربّت على كتفه ، قائلاً :

ـ معذرة يا (نور) ، ولكن .....

بتر عبارته بغتة ، وهوَى على فكّ (نور) بلكمة كالقنبلة ، فحدّق (نور) فى وجهه مذهولاً ، ثم سقط بين ذراعيه فاقد الوعى ، فأكمل (رمزى) فى إشفاق :

ـ لو فقدنا كلنا ، فلن يخسر العالم كثيرًا يا (نور) ، أمّا أنت ، فلقد أصبحت رمزًا .. رمزًا للحرية ..

ودفع (نور) داخل الناقل ، ووقف رجال المقاومة يشاهدون جسده يتألّق ، ثم يتلاشى ..

وانفجر الناقل ..

تلاشى بدوره ، بعد أن أتم مهمته ..

وتبادل رجال المقاومة نظرة ارتياح ، ثم استداروا يواجهون عيون الحراسة ، التى أقبلت بكل شراستها من بعيد ..

كانوا يعلمون أنها معركة خاسرة ، ولكنها ستخلد فى التاريخ حتمًا ، ما دامت قد حدثت فى ذلك اليوم ..

يوم مولد المقاومة ..

* * *

[انتهى الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث]

(الصـــراع)

رقم الإيداع ٣٢١٥

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

المقاومة

- ترى .. هل تستسلم الأرض كلها لاحتلال إمبراطور (جلوريال) ؟
- هل يمكن أن تنهار حضارة كوكب بأكملها ، وتاريخه ، تحت وطأة الاحتلال ؟
- ما مصير (نور) ورفاقه ؟ أيستسلمون بدورهم ، أم يكونون أول خلية لـ (المقاومة) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الأرض ..

٧٧

الثمن في مصر
ومايعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الصراع

روايات
مصرية للجيب



٧٨

ملف المستقبل
سري جداً!!

الصراع



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ الهارب ..

كل شىء فى القاعة الإمبراطورية ينذر بعاصفة ..
بانفجار بركان ..
نيران الغضب تتأجج فى عينى الإمبراطور (آغرو) ..
حتى الكون يطلّ من ملامح قائد الجيوش (كوماد) ..
الأسف يسيل من خلايا الحكيم (جلاكس) ..
والصمت يسود ..

وفجأة ، حطّم الإمبراطور جدار الصمت ، بضربة عنيفة ، هوت بها قبضته على مسند عرشه البلّورى ، وتردّد صداها فى القاعة الإمبراطورية ، داخل مركز قيادة الاحتلال ، فى صحراء (مصر) الغربية ، وهو يهتف :

ــ أغبياء .

انعقد حاجبا (كوماد) فى شدّة ، وهو يقول :

ــ لقد حدث كل شىء فى سرعة يا مولاى ، و .....

قاطعه الإمبراطور فى غضب هادر :

ــ كل شىء ؟!.. المفروض أنك كنت تستعد لكل

المفاجآت يا قائد جيوش الاحتلال .. المفترض أنك متأهب لصد أية محاولة .

هتف (كوماد) معترضًا :

ـــ ولكننى لم أتوقع أبدًا أنهم سيمتلكون كل تلك الوسائل التكنولوجية ، التى حظرنا استخدامها على كوكب الأرض ، وأنهم .....

قاطعه الإمبراطور مرّة أخرى فى ثورة :

ـــ كان ينبغى أن تتوقّع كل شىء .. إنهم معارضون لحكمنا ، ومن الطبيعى أن يملكوا كل ما منعناه ، ما دام سيمنحهم مزيدًا من القوّة فى مواجهتنا .

تمتم (كوماد) فى مرارة :

ـــ نعم .. كان ينبغى أن أتوقّع هذا .

ثم اعتدل مستطردًا فى حِدّة :

ـــ ولكننا حصلنا على بعض المكاسب يا مولاى .

عاد الإمبراطور يدق مسند عرشه بقبضته ، وهو يهتف محنقًا :

ـــ أيّة مكاسب يا (كوماد) ؟.. لقد نجح الرائد الأرضىّ فى استعادة والديه ، وبرز أمام العالم كله كبطل أسطورى ،

وحطّم ستار الخوف ، الذى منع الأرضيِّين من التصدِّى لنا ، منذ نجاحنا فى احتلال كوكبهم ، وحصل مع رجاله على واحدة من خوذاتنا ، تؤهّله لفهم لغتنا ، كما نفهم لغته ، وأثبت للجميع أنه من الممكن خداعنا ، ثم فرّ بعد كل هذا من جيوشنا .. فأىّ ربح جنيناه من كل هذا ؟

تضاعفت المرارة فى حلق (كوماد) ، وهو يغمغم فى اعتراض باهت :

ـــ لقد أسرنا عددًا من رفاقه يا مولاى ، و .....

صرخ الإمبراطور :

ـــ وماذا ؟

ثم هبّ من عرشه مستطردًا فى ثورة :

ـــ اسمع يا (كوماد) .. إننى أريد هذا الأرضىّ .. أريده بأى ثمن .. ابحث عنه .. اقلب الأرض كلها لو استطعت ، ولكن عد به إلىّ ..

وبرقت عيناه ببريق دموىّ مخيف ، وهو يضيف فى حزم :

ـــ أو بجثته .

اعتدل (كوماد) ، وانتصبت قامته ، وهو يقول فى حِدّة :

ـــ كما تأمر يا مولاى .

ودارَ على عقبيه في صرامة ، ثم غادر القاعة في خطوات واسعة قوية ، وهنا التفت الحكيم (جلاكس) إلى الإمبراطور ، مغمغمًا :

ـ مولاي .. إنك تبدو غاضبًا في شدة .

صاح به الإمبراطور في حنق :

ـ ألا تدرك الأمر أيها العجوز ؟.. لقد فقدنا الرائد الأرضي .

تأمله العجوز في حيرة ، وهو يقول :

ـ كم يدهشني موقفك من هذا الرائد الأرضي يا مولاي !! إنك تقاتله في شراسة ، كما لو أنك تسعى إلى ثأر شخصي .

لوّح الإمبراطور بذراعه ، قائلًا في حدة :

ـ أي ثأر شخصي أيها العجوز ؟.. ألم ترَ ما فعله بنا ؟

أجابه العجوز في خبث :

ـ لقد فعل هذا اليوم فحسب يا مولاي ، ولكنك تبغضه منذ حطت سفننا الفضائية على كوكبه .

انعقد حاجبا الإمبراطور في حدة ، وهو يقول محتدًا :

ـ لدي أسبابي .

ثم أضاف في شراسة ، لم يرَ الحكيم لها مثيلًا في إمبراطوره من قبل :

ـ ولابد أن يموت هذا الأرضي .. لابد .

* * *

لم يبدأ الأمر على هذا النحو ..

ولا على هذه الصورة ..

لقد بدأ منذ عام كامل ..

وكانت البداية مثيرة للغاية ..

كانت عبارة عن سرب من النيازك ، شق الفضاء بسرعة هائلة ، في طريقه إلى كوكب الأرض ، مثيرًا موجة هائلة من الذعر في كوكبنا ..

ثم تحوّل الذعر إلى رُعب وهلع ، عندما هبطت النيازك في هدوء على سطح الكوكب ، وأحاطت بكل منها قبة وردية ، لم تلبث أن تحوّلت إلى اللون الأزرق ، عندما بدأ الهجوم ..

وكانت الكارثة ..

مئات الألوف من مقاتلات فضائية مجهولة ومخيفة ، راحت تهاجم الأرض في شراسة ما لها من مثيل ..

كل أوجه الحضارة دُمرت ..

كل الفنون والثقافة ..

كل الحرّيات والعلوم ..

وانهارت الأرض ..

واستسلمت ..

ووسط هذه المعمعة راح (نور) يبحث عن رفاقه ، ليجمع شمل فريقه ..

وضاع (رمزى) والدكتور (حجازى) ..

وتحطّم مقر قيادة المخابرات العلمية ..

كل شيء تحطّم وانهار وضاع ..

وبقي (نور) وزوجته وابنته ، وزميله (محمود) ، داخل مقر سِرّى ، أعدّته المخابرات العلمية يومًا ، ومعهم آخر علامات التكنولوجيا والحضارة على الأرض ، وحقيبة تحوى عدة مكعبات كمبيوترية ، تضمّ كافة علوم وحضارات وتاريخ وفنون الأرض ..

وكانت هذه الحقيبة هي الأمل الأخير ..

الأمل في استعادة التاريخ والحضارة يومًا ..

والأمل في تجاوز ذلك الاحتلال ..

واختفي (نور) وفريقه لعام كامل ، اتخذوا فيه كل أهبتهم لبدء مرحلة المقاومة والصراع ..

ومع مرور ذلك العام ، انهارت الأرض تمامًا ..

أصبح العلم — مجرّد العلم — محظورًا ممنوعًا ..

تراجعت الحضارة عشرات القرون ..

ساد الخوف والجهل ..

أصبح الناس في رُعب دائم ..

ولم يكفّ إمبراطور كوكب الغزاة عن البحث عن (نور) أبدًا ..

انتشرت صُوَره في كل مكان ..

أصبح عدوّ غزاة (جلوريال) رقم واحد ..

ومع عدم ظهوره ، تحوّل (نور) إلى أسطورة خلاص ..

وفي محاولة لإجباره على الظهور ، أعلن (كوماد) ، قائد جيوش الاحتلال ، عزمه على التخلّص من والدى (نور) ، وإعدامهما علنًا ..

وهنا قرّر (نور) أن يبدأ عصر المقاومة ..

وظهر ..

ظهر في مشهد أسطورى ، خلَبَ ألباب الجميع من أهل الأرض ، وأثار غيظ وسُخط وحَنق الآلاف من جيوش (جلوريال) ، ونجح في الوقت نفسه في إنقاذ والديه بخطّة بارعة ..

وهنا ثارت ثائرة أهل الأرض المحتلّة أرضهم ..
وفي ذلك اليوم بدأت المقاومة ..
وفي ذلك اليوم بدأ الصراع(*) ..

* * *

« خطأ » ..
قالها (نور) في مرارة ..
في ألم ..
قالها وعيناه تبكيان بلا دموع ..
وعندما استطرد ، تقاطرت الدموع مع كلماته :
— لماذا أعادوني أنا ؟.. كان ينبغي أن أبقى .. إنها معركتي .
ربّتت (نشوى) على كتفه ، قائلة :
— على العكس يا أبي .. كان ينبغي أن تعود أنت .. ليس لأنك أبي .. وليس لأنني أحبك .. بل لأنك (نور) .. الرمز ، والقائد ، والأسطورة .
لوّح بذراعه في ألم ومرارة ، وهو يهتف :
— أي رمز وأي أسطورة ؟.. الزعيم ينبغي أن يتصدّر

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأول والثاني (الاحتلال) ، و (المقاومة) .. المغامرتين رقم ٧٦ و ٧٧

رجاله ، وأن يتقدّمهم في المعركة ، لا أن ينسحب وحده ، ويتركهم لمصير مجهول .
وترقرقت دموع الألم في عينيه ، وهو يتابع :
— لقد فقدنا الجميع : (رمزي) ، و (محمود) ، والدكتور (حجازي) .. فقدنا الفريق كله .
هتفت (سلوى) :
— وربحنا الأرض كلها يا (نور) .
هتف في مرارة :
— ربحناها ؟.. كيف يا (سلوى) ؟.. لقد انهزمنا في معركتنا .
أجابه صوت قوي :
— بل كان لنا النصر الساحق أيها القائد .
التفت (نور) يتطلّع إلى الشاب القوي ، الذي تلوح في وجهه سمات الفارس ، والذي استطرد في حزم :
— لقد عرف العالم الآن أننا هنا ، وأننا سنقاوم ، ولن نستسلم ، حتى ولو كانت حياتنا هي الثمن .
أعادت كلماته الحماس إلى قلب (نور) بغتة ، فاعتدلت قامته ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، وهو يقول في قوّة :

ـــ صدقت يا ......

بتر عبارته ، منتظرًا أن يقدّم الشاب نفسه ، وأدرك الشاب ذلك ، فأجاب وهو يتخذ وقفة عسكرية صارمة :

ـــ النقيب طيار (فارس) أيها القائد .. من الطيران الملكى السعودى .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـــ كيف وصلت إلى (مصر) يا (فارس) ؟

أجابه (فارس) :

ـــ كنت ضمن برنامج تبادل الخبرات الحربية ، فى الشرق الأوسط أيها القائد .

تأمّل (نور) فى وجهه النحيل ، وشاربه الرفيع ، وشعره الفاحم ، وقال :

ـــ رائع يا (فارس) .. سيفيدنا هذا كثيرًا .

ابتسم (فارس) ، وهو يقول :

ـــ معذرة أيها القائد .. لقد سمحت لنفسى بحصر الرجال ، الذين تم إنقاذهم ، وإحضارهم إلى هنا ، ولم أجد بينهم من يملك خبرة حربية سابقة .

ـــ أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، وقال :

ـــ هذا طبيعىّ ، فليس كل من يحيا هنا مقاتلًا .

ثم امتزج الحزم بالصرامة فى كلماته ، وهو يستطرد :

ـــ ولكن هذا لا يعنى الاستسلام .. صحيح أننا فقدنا عددًا من الشهداء .. ولكن هكذا تمضى الحروب .. وسنواصل المعركة ، ما دام فى أجسادنا عِرق ينبض بالحياة .

تهلّلت أسارير (سلوى) ، وهى تهتف :

ـــ هكذا تكون المعركة يا (نور) .

سالت دمعة حزن من عينى (نشوى) ، وهى تغمغم :

ـــ نعم يا أبى .. هذه شريعة الحروب .. أن نفقد من نحب ..

ضمّتها أمّها إلى صدرها فى حنان وإشفاق ، وربّتت على رأسها فى تعاطف ، وهى تغمغم :

ـــ لا أحد يدرى يا بنيّتى .. ربما ما زال (رمزى) سالمًا ، و .....

قاطعها بغتة صوت (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـــ سنضرب ضربة ثانية .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وارتجف صوت (مشيرة محفوظ) ، وهو تغمغم :

ـــ ضربة ثانية ؟

لم تكن قد امتصت صدمة وهلع الضربة الأولى ، التي انتهت منذ ساعات ، وكان من العسير عليها أن تتصوَّر صدمة ثانية ،

أمّا والد (نور) ، فقد هتف في حماس :

ـ نعم يا (نور) .. سنضرب ضربة ثانية .

وسأله (فارس) في لهفة :

ـ متى ؟!

أسرع أحد الرجال يقول :

ـ أرى أن نستعد لشنّ الهجوم التالي خلال هذا الأسبوع ، و .....

قاطعه (نور) :

ـ بل خلال الساعات القادمة .

هتفت (سلوى) في ذُهُول :

ـ ماذا ؟.. ولكن هذا مستحيل يا (نور) !!

ابتسم وهو يجيب في حزم :

ـ هم أيضًا سيتصوَّرون ذلك ؛ لذا فستكون ضربتنا مفاجئة .

صاحت (مشيرة) في توتُّر :

ـ هذا مستحيل أيها الرائد .. استمع إلى زوجتك .. لن يمكننا أن نهاجم هؤلاء الغزاة في الصباح ، و .....

قاطعها في حزم :

ـ لن ننتظر إلى الصباح .

وضمَّ قبضته ، وهو يرفعها إلى وجهه ، مستطردًا :

ـ سنضرب ضربتنا الثانية الآن ..

وارتفعت قبضته عاليًا ، وهو يهتف :

ـ فليبدأ الصراع ..

* * *



٢ — الصراع ..

مِنْ أطراف الكَوْنِ جاء ..

من الجانب الآخر للفضاء أتى ..

هو أيضًا كان يقصد أرضنا ..

هو أيضًا جاء من أجلنا ..

جاء وحده ..

هو مقاتل لا يُشَقُّ له غبار ..

لم يكن عدوًا ..

ولم يكن أرضيًا ..

ولكنه جاء ..

وعندما عَبَرت سفينته الفضائية الصغيرة حدود مجرّتنا ، أحاطها بغلاف من قوى غير معروفة لنا ، حجبتها عن الأقمار الراصدة ، التي وضعها المحتلّون في مدار الأرض ، وعن تلك السفينة العملاقة ، المعروفة باسم (الرُّعب الفضائي) ، والتي ترصد كل شاردة وواردة ، وكل ظاهرة غير طبيعية على سطح الأرض ..

وداخل هذا الغلاف هبط على كوكبنا ، وما إن استقرّت سفينته الصغيرة في تلك البقعة ، التي انتقاها مسبقًا ، حتى أحاطها بغلاف آخر ، وغادرها مغمغمًا بلغة كوكبه :

— اختلفت الأرض كثيرًا عما تركتها عليه ، في زيارتي السابقة .

صمت لحظة .. ثم أردف في ضيق :

— صارت أكثر تخلّفًا .

وضغط زرًّا في حزامه ، وهو يستطرد :

— ولكنني اليوم لن أقاتل الأرضيِّين ، بل سأسعى للبحث عن ذلك الرجل ، الذي أظنّه سيحسم الصراع .

وبدأ سيره ، متابعًا في هدوء :

— لو أنه ما يزال على قيد الحياة ..

* * *

شقَّت تلك الصرخة ، التي تجمع بين آلام الدنيا ومقتها ، فضاء تلك القاعة الصغيرة ، التي تحمل على أكبر جدرانها علَم المحتلِّين الضخم ، وتبعتها عدة تأوُّهات خافتة ، قبل أن يقول (كوماد) في لهجة أرادها هادئة واثقة ، إلا أنها أتت على الرغم منه عصبيَّة متوتِّرة :



ثم ضغط زرًا صغيرًا ، فسرى فى الجسد الأرضىّ تيار كهربىّ ، انتفض له فى قوة .

ــ للمرّة الثالثة أسألك أيها الأرضىّ .. كيف اختفى (نور) ؟

ابتسم الكائن الأرضىّ ، الذى يرقد أمامه ، فوق منضدة التعذيب الكهربية ، مُوثق المعصمين والكاحلين ، وهو يقول فى تهالك وإعياء :

ــ هل اختفى ؟!.. رائع .. أراهن أن هذا يقتلك غيظًا .

صرخ (كوماد) فى ثورة :

ــ أيها الأرضىّ الحقير ..

ثم ضغط زرًا صغيرًا ، فسرى فى الجسد الأرضىّ تيار كهربىّ ، انتفض له فى قوة ، وأطلق صرخة عذاب مُدوّية ، قبل أن تتلاشى الشحنة ، ويهتف (كوماد) مرّة أخرى :

ــ أين اختفى ؟

أجابه الأرضى فى إعياء :

ــ ابحث أنت .

أطلّ غضب هائل من عينى (كوماد) ، واندفعت سبّابته مرّة أخرى نحو الزرّ ، ثم لم تلبث أن توقّفت ، وقد بدا له هذا الأسلوب عقيمًا ، فأعاد كفّه إلى جواره ، وتطلّع إلى الجسد الأرضىّ المنهك لحظات ، ثم عقد كفّيه خلف ظهره ، وراح يقول فى هدوء ، بذل جهدًا رهيبًا ليحصل عليه :

— ما اسمك أيها الأرضيّ ؟

أجابه البشرى ، فى لهجة لم تخل من السُّخرية :

— أظننى قد أخبرتك من قبل .. أم أنك ترغب فى التأكُّد من أننى لم أفقد ذاكرتى بعد !!

حافظ (كوماد) على هدوئه ، وهو يقول :

— ربَّما .. أجب فحسب .

رَانَ الصمت لحظة ، ثم أجابه الأرضيّ :

— اسمى (رمزى) .

مال (كوماد) نحوه ، يسأله فى اهتمام بالغ :

— تقول ملفاتنا إنك عضو سابق فى فريق الرائد (نور) .. أهذا صحيح ؟

أجابه (رمزى) فى بُرُود :

— بل خطأ .

عقد (كوماد) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— لن أسمح لك بالكذب أيها الأرضيّ .

قال (رمزى) فى صرامة :

— أنا لم أكذب .

هتف (كوماد) فى حِدَّة :

— بل تفعل .. لقد أجرينا فحصًا لبصماتك ، ولتلك

الخاصَّة ، التى تطلقون عليها اسم المسام العَرَقية ، ولبصمة قزحية عينيك ، وأثبتت كل تلك الفحوص أنك (رمزى) ، عضو فريق (نور) ، ثم ها أنتذا تنكر ذلك ، فما الذى نطلقه على هذا الإنكار .. أليْس كذبًا ؟

ابتسم (رمزى) فى إعياء ، وهو يقول :

— إننى لم أنكر .

هتف (كوماد) مُحْنَقًا :

— ألَمْ تقُل إن ...... ؟

قاطعه (رمزى) فى حزم :

— قلت إن عبارتك كاذبة ، لأننى لست عضوًا سابقًا فى فريق (نور) .

وامتزجت صرامته بحزمه ، وهو يضيف :

— إننى عضو حاليّ أيضًا .

ازداد انعقاد حاجبى (كوماد) فى شدَّة ، وهو يتطلَّع إليه ، ثم لم يلبث أن تراجع فى هدوء ، وجلس على مقعد قريب ، قائلًا :

— تبًّا لك .. إذن فهو تناقض لفظيّ فحسب !

ابتسم (رمزى) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

— المفروض أن تحمل كل كلمة معناها الدقيق فحسب .

عاد حاجبا (كوماد) ينعقدان ، وهو يقول فى حِدَّة واستنكار :

— المفروض ؟!

ثم لم يلبث أن تذكَّر سياسته الجديدة ، فعاد يجتلب الهدوء ، ويقول :

— لا بأس .. هذا يخصك .

وعاد يميل نحوه ، مستطردًا فى اهتمام :

— اسمع يا (رمزى) .. لقد انتهى عهد فريقك .. لم تعد عضوًا فيه .. أتعلم لماذا ؟.. لأن الفريق نفسه فقد شرعيته .

تمتم (رمزى) فى حزم :

— هُرَاء .

تظاهر (كوماد) بأنه لم يسمع الكلمة ، وهو يتابع :

— لقد أصبحنا نحن سادة الكوكب .. لم تعُد هناك قوانين سوى قانوننا ، ولا علم سوى علمنا .. هذه هى الحقيقة .. وهذا هو الواقع .. لقد استمدَّ فريقكم شرعيته من انتمائه إلى المخابرات العلمية المصرية ، أما الآن ، فلم يعُد لهذه المخابرات وجود ، وبالتالى فقد الفريق شرعيته .. وهذا يعنى أنك قد أصبحت حُرًّا .

غمغم (رمزى) فى سُخرية مريرة :

— حُرًّا ؟!

هتف (كوماد) :

— بالطبع .. لم يَعُد هناك من يملك إملاء أوامره عليك .. لم يعُد هناك من تضطر لطاعته .

أطلق (رمزى) ضحكة ساخرة قصيرة ، وهو يقول :

— مطلقًا ؟!

عقد (كوماد) حاجبيه فى شِدَّة ، وهو يقول فى حزم :

— فيما عدانا بالطبع .

ران الصمت لحظات ، ثم قال (رمزى) فى صرامة :

— اسمع يا (كوماد) .. ما دمتم تمتلكون ملفًا عنّى ، فلا ريب أنك قد علمت منه أننى خبير بالطب النفسى ، وهذا يعنى أنك لن تخدعنى ، وأننى أدرك هذا الأسلوب ، وأفهمه جيدًا .. لقد فهمت أن القوة لن تُجدى فى تعاملك معى ، وأن أفضل أسلوب هو التفاهم والعقل والمنطق ؛ لذا فأنت تحاول ضمِّى إليك ، وإغرائى بالتخلِّى عن (نور) .. أليس كذلك ؟

خيَّم الصمت لحظة أخرى ، ثم أجاب (كوماد) فى صرامة مماثلة ، وكأنما قرَّر كشف أوراقه بدوره :

— ليس هذا فقط .. إننى أسعى — وبكل صراحة — إلى الحصول على ذلك الرائد الأرضىّ ، مهما كان الثمن .

ثم عاد يعقد كفّيه خلف ظهره ، وينهض قائلًا :

— ولقد حصلت على بعض المعلومات بالفعل .. فلم يكن الجميع فى مثل صلابتك ، وهم يرقدون فوق تلك المنضدة .. لقد علمت أن الرائد الأرضىّ (نور) قد عَبَرَ مع بعض الرجال ، جهازًا ناقلًا متطورًا ، نقله إلى مكان ما .. المعلومة التى تنقصنى هى إلى أين ؟.. وأين اختفى طِلَة العام السابق ؟

أجاب (رمزى) فى بُرود :

— لن تجد الجواب عندى .

أجابه (كوماد) فى حِدّة ، شفّت عن عجزه عن السيطرة على هدوئه أخيرًا :

— سأجده برغم أنفك .. سأجده مع زميلك (محمود) ، أو مع أستاذكما (حجازى) .. إننى أملك كل المعلومات عنكم ، ولقد أسرنا الجميع .

ولوّح بذراعه ، مستطردًا فى حنق :

— كان من الممكن أن تسحقكم العيون الحارسة سحقًا ، لولا أننى قدّرت أهمية بقائكم على قيد الحياة ، وأصدرت

أوامرى فى اللحظة الأخيرة بأسركم .. كان من الممكن أن أنسفكم نسفًا .

تمتم (رمزى) فى بُرود :

— فلتفعل الآن .

هتف (كوماد) فى غضب :

— ليس الآن .

ثم أضاف فى حِدّة :

— بعد أن أقتنص هذا الرائد الأرضىّ ، سأسحقكم جميعًا بضربة واحدة ..

وانطلق صوته فى صيحة هادرة :

— ولن يطول الانتظار ..

* * *

اقترب الفجر ..

ومضى يوم كامل على الهجوم الأوّل ..

وفى شراسة وتحفّز ، راحت عيون الحراسة الوحشية تجوب الطرقات الخالية ، فى المدينة الكبيرة ، التى أوى سكّانها إلى منازلهم ، انتظارًا لانتهاء فترة حظر التجوال اليومية ، فى العاشرة صباحًا ..

وفجأة ، التقطت إحدى العيون الحارسة جسدًا ، فاندفعت نحوه فى حِدّة ، وهى تجمع كل المعلومات عنه ..

كان جسدًا لأحد جنود (جلوريال) ..

نفس اللون ..

نفس الملامح ..

نفس الزّى ودرجة الحرارة ..

والأوامر تحظر التجوال حظرًا تامًا ، إلا لمن يحملون بطاقات أمن خاصة ، يُمكن للعين التقاطها ..

وتحظر فى الوقت ذاته القضاء على أى جندى من جنود (جلوريال) ..

ولم يكن هذا الجندى يحمل بطاقة الأمن ..

واندفعت عين الحراسة نحو الجندى ، وارتفع من داخلها ذلك الصوت المعدنى الآلى ، يقول بلغة (جلوريال) :

ـــ التجوال فى هذه اللحظة محظور أيها الجندى .. عُد إلى موقعك .

أجاب الجندى ، بنفس اللغة :

ـــ إننى هنا فى مهمّة خاصّة . .

قالت العين فى حزم آلىّ :

ـــ أنت لاتحمل بطاقة الأمن الخاصة .. أكرّر .. أنت لاتحمل البطاقة الخاصة .. عُد إلى موقعك ، وإلّا فسنضطر لتخديرك ، وستعاقب بتهمة مخالفة الأوامر .. إننى أمهلك ثلاثين ثانية .

أجابها الجندى فى برُود :

ـــ موقعى بعيد ، ولن تكفينى تلك المهلة .

قال الصوت الآلىّ فى حزم :

ـــ عُد .. بقيت عشرون ثانية .. تسع عشرة .. ثمان عشرة .. سبع عشرة ..

وفجأة ، التقطت أجهزة العين حركة مريبة خلفها ..

وبسرعة استدارت ..

وفى نفس اللحظة انتزع الجندى (الجلوريالى) بندقيته ، ورصدت العين وجود أرضيين خلفها ..

وفجأة أيضًا ، وقبل أن تنطلق منها أشعتها الأرجوانية الساحقة ، أحاطت بها شبكة كهرومغناطيسية خاصّة ثقيلة ..

وقفز الأرضيان نحوها ..

كانت عملية أشبه بعمليات صيد الفهود ..

الشبكة الكهرومغناطيسية ، بكل ما تحمله من تردُّد قوى ، أتلفت قدرات العين على المراقبة والهجوم ، وأسقطتها أرضًا ..

وهتف أحد الأرضيين :

ـ لقد انتصرنا .. لقد أسرنا أول عين حارسة .

وصاح الآخر في سعادة :

ـ الآن فقط يمكننا دراستها ، وتحييدها لحسابنا .

نزع الجندي الجلوريالي قناعه الأخضر ، ليبدو من أسفله وجه الرائد (نور) ، الذي ابتسم في ارتياح ، وهو يقول :

ـ كان هذا حتميًا .. فأفضل وسيلة لهزيمة الخصم ، هي دراسة كل إمكاناته وأسلحته ، و .....

قاطعه فجأة صوت معدني ، انبعث من العين ، وهو يقول

ـ خلل في الآلات .. نستعد للتفجير الذاتي خلال خمس ثوان .. أكرّر ..

هتف (نور) في جزع :

ـ ستنفجر تلك اللعينة ، تباعدا بسرعة ، قبل أن .....

ولكن الثواني الخمس مضت في سرعة مذهلة ، قبل أن يتم عبارته ، و .....

حدث الانفجار ..

* * *

٣ ـ الاستجواب ..

« لن تجد لدىّ شيئًا » ..

قالها الدكتور (محمد حجازى) في تهالك تام ، وقد اكتسى وجهه بعرق بارد ، بعد أن تعرّض لعذاب طويل متصل ، فوق المنضدة الكهربية ، فانعقد حاجبا (كوماد) ، وهو يقول في حدّة وغضب :

ـ أى هُرَاء هذا ؟.. إنكم فريق (نور) ، فكيف تجهلون كل أموره ؟

تمتم الدكتور (حجازى) متهالكًا :

ـ لأننا لم نَرَ (نور) طوال العام السابق كله .

لوّح (كوماد) بذراعه ، هاتفًا :

ـ مستحيل !!

أجاب الدكتور (حجازى) ، وهو يكاد يفقد وعيه :

ـ ولكنها الحقيقة .. (محمود) وحده .....

بتر عبارته بغتة ، وقد بدا له ضررها العنيف بالنسبة لـ (محمود) ، إلّا أن هذا البتر لم يؤدِّ إلّا لزيادة لهفة (كوماد) وتوتره ، وهو يقفز من مكانه ، هاتفًا :

— (محمود) وَخذه ماذا ؟

أشاح الدكتور (حجازى) بوجهه ، قائلا فى صرامة :

— لا شىء .

أمسك (كوماد) ذراعه فى قوة رهيبة ، مُخيّلا للدكتور (حجازى) أنها ستؤدّى إلى بتره ، وهو يقول فى جِدّة :

— خطأ أيها الأرضىّ .. لقد أوقعك لسانك ، وأفشى السِّر .. لقد أدركت الآن مع من سأجد ما أسعى إليه .

وتراجع وعيناه تلمعان ببريقهما الدموى المخيف ، مستطردًا :

— أما أنت و (رمزى) ، فسترسلان مع باقى من وقع عليهم الاختيار ، وباقى المخالفين والأسْرَى إلى حيث نُرسل المعارضين .

انقبض قلب الدكتور (حجازى) ، واحتبست غُصّة فى حلقه ، وهو يمنح صوته كل ما تبقّى له من القوة والشجاعة ، ويقول :

— أتقصد إلى الجحيم ؟

صمت (كوماد) لحظات ، تجمّدت خلالها ملامحه تمامًا ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة عجيبة .. أقلّ ما يقال عنها

هو أنها مخيفة شرسة رهيبة ، ويقول فى صوت يجمع ما بين الهدوء والسُّخرية والرَّهبة :

— نعم .. إلى الجحيم .. ولكنه ليس الجحيم الذى تعرفه وتقصده ، بل هو جحيم يصنعه الإمبراطور فى أرضكم .. بواسطتكم .. جحيم سيلتهم يومًا كوكبكم كله .. جحيمنا ..

* * *

كان الانفجار عنيفًا بحق ..

ولم يكن أمام (نور) الوقت الكافى للابتعاد ..

ولقد شعر بالانفجار فى جسده كله ، وهو ينتزعه من الأرض ، ويدفعه إلى الخلف ، ويضربه بحائط المبنى المجاور ، ثم يلقيه أرضًا ..

وكان الألم رهيبًا .. لا يطاق ..

وحاول (نور) أن يقاوم تلك الغيبوبة ، التى راحت تسيطر على عقله ، وتحيط به تدريجيًا ، وهتف فى ألم :

— ليس الآن .. ليس الآن .. ليس هنا ..

ولكن هتافه هذا لم يتجاوز عقله ، الذى هَوَى فى أعماق الغيبوبة .. وهَوَى .. وهَوَى .. وفى المقر السِّرّى للمقاومة ، هتفت (نشوى) فى جزع ، وهى تراقب ما يحدث على شاشة الراصد الخاص :

— يا إلهى !!.. أبى ...

عقد (فارس) حاجبيه ، وهتف وهو يلتقط بندقية من بنادق الأشعة الأرجوانية ، ويندفع نحو مخرج المقر السرّى :

— هذا يحتاج إلى تدخل سريع .

هتفت به (سلوى) :

— انتظر .. إنك تجازف بحياتك هكذا .. لابدّ أن ترتدى زيًا جلورياليًا على الأقل ، أو .....

هتف وهو يندفع خارجًا :

— لا وقت .

انطلق يعدو عبْر ممرّ الخروج الطويل ، حتى بلغ نهايته ، فضغط أزرار المخرج فى سرعة ، وبدت له تلك الثوانى ، التى أعقبت ذلك ، طويلة كالدهر ، قبل أن ينزاح الباب الفولاذى أمامه فى سرعة ، كاشفًا المخرج ، فأسرع يندفع عبْره ، وتركه يُغلق خلفه ، ثم ركض عبْر الطريق ، متجهًا إلى حيث سقط (نور) والرجلان ...

كان من الواضح أن الرجلين قد لقيا مصرعهما على الفور .. ربما لأنهما كانا الأقرب ..

أما (نور) ، فكان على قيد الحياة ..

أو هكذا تصوّر (فارس) ..

وحول المكان ، تناثرت شظايا عين الحراسة المنفجرة ..

وبكل اللهفة والجزع فى أعماقه ، أسرع (فارس) نحو (نور) ، وفحصه مغمغمًا فى توتّر وانفعال :

— حمدًا لله .. إنه حىّ .. تلك الكُرات اللّعينة مزوّدة بجهاز تفجير ذاتى ، فى حالة الخطر .. لقد كان انفجارها عنيفًا للغاية ، ولكن يبدو أن أجهزة خفض الحرارة ، فى زىّ التنكّر اللّعين هذا ، قد حجبت خطورة الانفجار عن جسده .

رفع جسد (نور) ، وحمله متجهًا إلى الممرّ السرّى مرّة أخرى ..

وفجأة ، أدرك (فارس) أن معلوماته كانت قاصرة ..

لم تكن عين الحراسة مزوّدة بجهاز تفجير ذاتى فحسب ..

كانت مزوّدة أيضًا بجهاز إنذار مبتكر ..

ومع انفجارها ، انطلق الإنذار ..

وعلى إثر ذلك ، أعلنت عيون الحراسة حالة الطوارئ ..

وفى تلك اللحظة التى حمل فيها (فارس) (نور) ، كانت عيون الحراسة قد بلغت المكان ..

وكانت فى هذه المرّة أكثر شراسة ..

وأكثر وحشية ..

* * *





وبكل اللهفة والجزع فى أعماقه ، أسرع (فارس) نحو (نور) ، وفحصه مغمغمًا فى توتر وانفعال .

انتفض جسد (محمود) فى رُعب ، عندما قيّده (كوماد) إلى المنضدة الكهربية ، واسترجع صرخات الألم الهائلة ، التى انتقلت إليه ، حاملة صوتى (رمزى) والدكتور (حجازى) ، عندما ساقهما (كوماد) إلى الحجرة ذاتها ، فقال فى توتر عصبىّ :

— أين (رمزى) والدكتور (حجازى) ؟

أجابه (كوماد) فى برود :

— لقد ذهبا .

سأله فى حِدَّة :

— إلى أين ؟

أجابه القائد الجلوريانى ، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة :

— إلى حيث ستذهب ، لو لم تخبرنى بما أريد سماعه .. إلى الجحيم .

اتسعت عينا (محمود) هلعًا ، وهو يهتف :

— هل قتلتهما ؟

هزّ (كوماد) كتفيه ، وهو يقول :

— ربّما .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

— قد يبدو لك هذا أكثر رحمة ، عندما تلحق بهما .

سأله (محمود) فى توتر بالغ :

— إلى أين أرسلتهما ؟

أجابه فى صرامة :

— إلى جحيمنا الخاص ..

ثم اعتدل ، واستطرد فى حزم :

— والآن أخبرنى .. أين الرائد (نور) ؟

ازدَرَدَ (محمود) لعابه فى توتر ، وهو يقول :

— لستُ أدرى .

انعقد حاجبا (كوماد) ، وهو يقول فى صرامة :

— مخطئ لو تصوّرت أن الكذب سيُجدى هذه المرّة أيها الأرضىّ .. لقد علمت من أستاذك (حجازى) أنك الوحيد ، الذى بقى مع (نور) ، طيلة العام الماضى .

تمتم (محمود) :

— هذا صحيح ، ولكن .....

قاطعه (كوماد) فى ثورة :

— ولكن ماذا ؟

أجابه فى خفوت :

— ولكننى أجهل أين هو الآن .

حدجه (كوماد) بنظرة ساخطة للغاية ، ثم قال محاولًا استعادة هدوئه :

— حسنًا .. سأقنع نفسى بأن هذا أمر منطقى ؛ لأنك لم تذهب معه ، عندما غيّر ذلك الناقل ، وسأسألك إذن ، أين كنت تختفى معه ، طوال العام السابق ؟

ازدرد (محمود) لعابه مرّة أخرى ، وهو يجيب :

— أيضًا لست أدرى .

صاح (كوماد) فى غضب :

— فى هذه المرّة أنت كاذب ، ولن يستمر كذبك طويلًا ، فسأدفع فى جسدك تيارًا كهربيًّا رهيبًا ، و .....

قاطعه (محمود) هاتفًا :

— مهلًا .. جوابى هذه المرّة أيضًا منطقىّ .

عقد (كوماد) حاجبيه فى شِدّة ، وهو يقول :

— اسمع أيها الأرضىّ .. لو أنك تعبث بى ، فسوف .....

هتف به (محمود) مقاطعًا :

— أقسم إننى لست مراوغًا .. لقد كنت أعلم الجواب تمامًا ، ولكن .....

قاطعه (كوماد) محتدًا :

— ولكن ماذا ؟
أجابه في توتر :
— ولكن (رمزى) أنسانى إياه .
تراجع (كوماد) في دهشة ، وتصاعدت دماء الغضب في رأسه ، وهو يقول :
— ماذا تعني ؟
أجابه في انفعال :
— إن (رمزى) يمتلك قوّة نادرة ، في مجال التنويم المغناطيسي ، ولقد أدرك عندما تم أسرنا أنني الوحيد ، الذي يعرف موقع (نور) ، لذا فقد أخضعني للتنويم المغناطيسي ، وأمرني بنسيان كل ما أعرفه ، وعدم تذكُّره ، مهما كان السبب ، ومهما كانت الظروف أو الضغوط .
هتف (كوماد) في حِدّة :
— مستحيل !!.. أنت تكذب .
قال (محمود) متوتّرًا :
— أقسم إنها الحقيقة .
صاح (كوماد) :
— إنه لم يمح ذاكرتك تمامًا بالتأكيد .. لقد ترك فيها أو إليها منفذًا .. كلمة سرّ ، أو .....

قاطعه (محمود) متوترًا :
— لم يفعل .. لقد أراد محو السّرّ ، وضمان ضياعه تمامًا .
اتسعت عينا (كوماد) في هلع .
لم يصدّق أبدًا أن أمله الوحيد قد انهار على هذا النحو ..
لم يستطع استيعاب ذلك ..
وفي صرامة شديدة قال :
— أنت كاذب ..
وصرخ في ثورة :
— ولكنني سأجبرك على الاعتراف بالحقيقة .
وضغط الزّرّ في غضب هادر ..
وانطلقت صرخة العذاب ..
عذاب (محمود) ..

* * *

رأت (نشوى) ما حدث ، على شاشة الراصد ، وهتفت :
— أمّاه .. عشرات من عيون الحراسة القاتلة تندفع نحو (فارس) ، وهو يحمل أبي الفاقد الوعي .
شحُب وجه (سلوى) في قوة ، وهي تهتف :
— يا إلهي !!.. (نور) .

والتقطت بدورها بندقية من بنادق الأشعة الأرجوانية ، وهى تستطرد :

ــ اثنان أفضل من واحد .

صاحت بها (نشوى) :

ــ أمى .. هذا انتحار .

ولكن (سلوى) لم تستجب ..

لم تكن تحتمل فكرة فقد (نور) ..

كان الأفضل لها أن يقضيا معًا ..

وفى نفس اللحظة كان (فارس) يطلق أشعة البندقية الأرجوانية نحو عيون الحراسة ، ويسحق بعضها فى إصرار ، وهو يتفادى أشعة البعض الآخر فى رشاقة يُحسد عليها ..

لم تكن بالمهمّة السهلة ..

كانت أشبه بالانطلاق وسط حقل من الألغام ، بسرعة البرق ، والمرء يخفى عينيه بمنظار أسود ..

وكان من الواضح أن النجاة من هذه الحلقة الجهنّميّة مستحيلة ، خاصةً وأن أجهزة الكمبيوتر ، التى تسيِّر تلك العيون القاتلة ، كانت من النوع المتطوِّر للغاية ، والمزوَّد بدوائر ذكاء خاصة ، تؤهِّلها للإفادة من تجاربها ؛ لذا فلم تكد تدرك

قوة خصمها ، وقدراته الفائقة ، حتى طوّرت أسلوبها ، وخطّتها الهجومية ، وأطلقت أشعتها نحو بندقية الخصم أوّلاً ..

وانفجرت بندقية (فارس) ..

وألقاه الانفجار أرضًا مع (نور) ..

واستعاد (نور) وعيه فى اللحظة ذاتها ..

ورأى مع (فارس) ، ومع (سلوى) ، التى غادرت المخبأ السّرّى فى اللحظة ذاتها ، تلك الحفنة من عيون الحراسة ، التى انطلقت نحوهم ، واستعدّت لإطلاق أشعتها الساحقة عليهم ..

وأدرك الثلاثة فى لحظة واحدة أن النهاية محتومة ..

وفى اللحظة التالية اندفعت (سلوى) نحو زوجها ، صارخة :

ــ لا .. ليس (نور) .

وانطلقت الأشعة الأرجوانية القاتلة من عيون الموت ..

انطلقت كلها نحو هدف واحد ..

نحو ثلاثة من أهل الأرض ..

* * *



وأدرك الثلاثة فى لحظة واحدة أن النهاية محتومة .

٤ ـــ الزائر ..

من العسير أن يتفادى المرء كل هذا القدر من الأشعة الأرجوانية الساحقة ..

من المستحيل فعلًا أن ينجح ..

وعندما وحدت عيون الحراسة صفوفها ، وأطلقت أشعتها كلها دفعة واحدة ، كانت تعلم ، طبقًا للمسجَّل فى دوائر ذاكرتها الإليكترونية ، هذه الحقيقة ..

وكان (نور) وزوجته ورفيقه يعلمونها أيضًا ..

لذا كانت النتيجة مفاجئة للجميع ..

لقد ارتطمت خيوط الأشعة الساحقة كلها بحاجز خفىّ ، قبل أن تبلغ أبطالنا الثلاثة ، وتألّقت كشمس أرجوانية هائلة ، قبل أن تتكسّر وتتلاشى ..

وحارت ذاكرة العيون القاتلة عن فهم ماحدث ..

وكذلك عقول (نور) و (سلوى) و (فارس) ..

وهتف (فارس) فى ذُهُول :

ـــ ما الذى يحدث هنا ؟

أجابه (نور) ، وهو ينهض فى عزم :

ـــ لقد نجونا .. وهذا يكفى .

هتفت (سلوى) ، وهى تشير إلى عيون الحراسة ، التى دارت حول نفسها فى عنف ، ثم عادت تصوِّب أسلحتها إليهم :

ـــ ليس بعد .

لم تكد تتمُّ عبارتها ، حتى أطلقت العيون القاتلة أشعتها الأرجوانية مرَّة أخرى ..

وعادت إليها الحَيْرة ..

لقد حدث نفس ما حدث ..

ارتطمت الأشعة بحاجز خَفِىّ ، وتألَّقت فى عُنف ، وببريق يخطف الأبصار ، أجبر الثلاثة على إبعاد عيونهم ، وإخفائها بكفوفهم ، وهتف (نور) :

ـــ هناك مَنْ يعمل لحسابنا هنا .

صاحت (سلوى) :

ـــ مَنْ ؟.. إننا آخر من يملك مفاتيح التكنولوجيا ، فى هذا العالَم .

غمغم (فارس) فى صوت يشفُّ عن التوتُّر البالغ :

ـــ دَعُونا من هذا السؤال الآن .. ولنلقِ سؤالاً آخر : هل سننجو فى هذه المرَّة أيضًا ؟

قال هذا وهو يتطلَّع إلى العيون ، التى صوَّبت أسلحتها فى حزم ، والتمعت ببريق أزرق مخيف ، كما لو أنها تضاعف من قوَّة هجومها ، وأضاف :

ـــ أم أن الأمر سيختلف ؟

وبالفعل ، اختلف الأمر ..

لم ترتطم الأشعة الأرجوانية بحاجز خَفِىّ ..

لأنها لم تنطلق أبدًا ..

لقد اكتسحتها موجة رهيبة من أشعة برتقالية ..

موجة حوَّلتها فى لمح البصر إلى رماد وركام ..

وهتفت (سلوى) فى ذُهُول :

ـــ ربَّاه !!.. أى ملاك حارس هذا ؟

تحرَّكت يد (فارس) فى حركة غريزية نحو حزامه ، الذى لم يعُد يحمل المسدَّس الليزرى التقليدى منذ عام كامل ، وهو يتراجع فى حركة حادَّة ، قائلاً فى توتُّر بالغ :

ـــ ملاك أو شيطان .. الله (سبحانه وتعالى) أعلم ..

التفت (نور) و (سلوى) إلى حيث يتطلَّع فى توتُّر ، ووقعت عيونهما على ذلك المخلوق ، الذى يقف قبالتهم هادئًا ..

وأمام شاشة الراصد ، فى المعمل السرّى ، تراجعت (نشوى) فى ذعر ، هاتفة :

ـــ ربّاه !!.. أى مخلوق هذا ؟

كان ذلك المخلوق الرهيب ، الذى يقف أمام أبويها و (فارس) مخيفًا ..

وهو لم يكن أرضيًا ..

لم يكن كذلك قطُّ ..

* * *

شعر (كوماد) بالإرهاق أخيرًا ..

كان من الواضح أن (محمود) يجهل حقًا أين كان ..

لقد محا (رمزى) الأمر من ذاكرته تمامًا ..

مستحيل أن تكون الحقيقة غير ذلك ..

لقد كاد يلقىَ حتفه ، وهو يؤكّد أنه لايذكر شيئًا ، وها هو ذا الآن فاقد الوعى ، منهارًا من شدة مالاقاه من عذاب ..

و (كوماد) يكاد ينفجر غيظًا ..

لقد انهزم مرّتين ، فى يومين متتاليين ..

مرّة عندما تحدّاه (نور) ، على شاشات الرصد ، فى كل

أنحاء العالم ، وأذلّ ناصيته ، بنجاحه فى إنقاذ والديه برغم أنف الغزاة ..

ومرّة عندما لم يفلح هو فى انتزاع أى سرّ من رفاقه ..

لقد تصوّر ، عندما نجح فى أسرهم ، أنه سينتزع منهم كل أسرار (نور) حتمًا ..

ولكنه فشل ..

وكانت هزيمته هذه المرّة مريرة ..

وفى حنق ، ضغط أحد أزرار حزامه ، فانفتح باب القاعة ، ودخل إليها أحد جنود الإمبراطورية ، وهو يقول :

ـــ فى خدمتك أيها القائد .

أشار (كوماد) إلى (محمود) ، قائلًا فى توتّر :

ـــ خذوه .

سأله الجندى فى اهتمام :

ـــ هل ننقله إلى حيث أرسلنا رفاقه ؟

هزّ رأسه ، قائلًا فى حزم :

ـــ ليس بعد .

وصمت وهلة ، ثم أضاف فى حِدّة :

ـــ إننى لم أنتهِ منه بعد .

أشار الجندى إلى زميلين ، أسرعا يحملان (محمود) إلى الخارج ، فى حين وقف هو مترددًا ، حتى صاح به (كوماد) فى حِدّة :

— ماذا هناك أيها الجندى ؟

انتزع الجندى نفسه من توتره ، وقال فى سرعة :

— هناك اضطرابات غير مفهومة فى منتصف المدينة ياسيدى .

عقد (كوماد) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

— اضطرابات ؟!.. ماذا تعنى بتلك الكلمة ؟

أجابه الجندى فى سرعة ، قبل أن يعاوده توتره :

— لقد توقفت عدة عيون حراسة عن العمل ، ويُخشى أن يكون هناك تخريب خلف هذا .

هتف (كوماد) فى حِدّة :

— تخريب ؟!.. أية حماقة هذه ؟.. كيف لم يخبرنى أحد بالأمر ؟.. متى حدث هذا ؟

أجابه الجندى فى ارتباك :

— منذ ربع الساعة فقط أيها القائد .

صاح (كوماد) فى حَنَق :

— ربع الساعة أيها الأغبياء .

غمغم الجندى متوترًا :

— لقد أمرت بعدم مقاطعتك أيها القائد ، و .....

قاطعه (كوماد) ثائرًا :

— إلا فى حالات الطوارئ أيها الحمقى .. ماذا تسمى توقف عيون الحراسة فى منطقة كاملة عن العمل ؟.. أليس أمرًا طارئًا للغاية .

والتقط حرملته ، وهو يندفع خارجًا ، مستطردًا فى حزم غاضب :

— أعِدّ حملة قوية لاستطلاع المكان ، فهذا العمل لن يخرج عن كَوْنِهِ أحد حماقات المقاومة .. ولكنها حماقة ستوردهم حتفهم هذه المرّة .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد :

— أو تكشف مخبأهم على الأقل .

* * *

تفجّرت موجة من الحَنَق البالغ ، فى أعماق (فارس) ، حينما لم يجد مسدسه الليزرى فى موضعه ، وتذكّر فى سُخط أنه لم يَعُدْ هناك منذ عام كامل ، وودّ لو ينقضّ على ذلك الكائن



تابع ببصره (نور) ، وهو يندفع نحو المخلوق غير الآدمىّ ، ويصافحه فى حرارة

الفضائى المخيف ، حتى أنه قد أصيب بذهول شديد ، عندما تهللت أسارير (نور) ، وهو يهتف :

ـ أنت ؟!.. يالها من مفاجأة !

لم يتسم المخلوق الفضائى ..

لم يبدُ عليه حتى أنه قد سمع عبارة (نور) ، لولا أن قال فى صوت جاف ، وبلغة لم يفهم منها (فارس) حرفًا واحدًا :

ـ إنها مفاجأة لى أن أجدك حيًّا .

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى حماس :

ـ وأنا أيضًا .

التفت (فارس) إلى (سلوى) ، يسألها فى حِدَّة :

ـ مَنْ هذا ؟

أجابته فى صوت يشفُّ عن الارتياح :

ـ صديق ..

غمغم فى عصبيَّة :

ـ هذا فى حدِّ ذاته يجعلنى متوتِّرًا .

تابع ببصره (نور) ، وهو يندفع نحو المخلوق غير الآدمىّ ، ويصافحه فى حرارةٍ ، قائلًا بلغة عجيبة :

ـ مرحبًا بك فى كوكبنا هذه المرَّة .

أشار المخلوق إلى (فارس) و (سلوى) ، وهو يقول :

ـــ من هذا ، الذى يصاحب زوجتك ؟

أجابه (نور) بلغته :

ـــ اطمئنّ .. إنه صديق .

ثم أضاف :

ـــ والآن هيّا بنا نبتعد ، فلست أظن ما فعلته بعيونهم سيَروق لهم .

أجابه المخلوق ، وهو يتبعه إلى الممرّ السرى فى خطوات واثقة :

ـــ لقد سرقوها من تكنولوچيتنا ، وأدخلوا عليها تلك التعديلات السخيفة .

هتف (نور) وهو يُسرع :

ـــ سنناقش هذا فيما بعد .. هيّا .

سأل (فارس) فى عصبيّة :

ـــ مَنْ هذا أيها القائد ؟

أجابه (نور) ، وهو يندفع نحو الممر :

ـــ إنه قائد فضائىّ مغوار يا (فارس) .. قائد يُدعى (بودون)(*) .

(*) راجع قصة (معركة الكواكب) .. المغامرة رقم (٥٨) .

عندما وصل (كوماد) ورجاله إلى أرض المعركة ، كانت الساحة خالية ، إلا من أشلاء ورماد العيون المسحوقة ، وشظايا جدران محطّمة ، فهتف (كوماد) فى حَنَق :

ـــ ما الذى يحدث هنا ؟.. مَنْ فعل هذا ؟

وقبل أن ينطق أحد من رجاله بحرف واحد ، لوّح بذراعه فى سُخط وغضب ، مجيبًا :

ـــ إنهم رجال المقاومة الملاعين .

وانعقد حاجباه فى حزم ، وهو يهتف :

ـــ ولكنهم لن ينتصروا هذه المرّة .

قال أحد رجاله فى حَذَر :

ـــ لقد فحصنا المنطقة بالرادار الكاشف أيها القائد ، ولا يوجد أدنى أثر لهم .

أجابه (كوماد) فى حَنَق :

ـــ الرادار الكاشف يبحث عن الأجسام المادّيّة فحسب .

والتقط منظارًا صغيرًا من حزامه ، وهو يستطرد :

ـــ ولكن لاقطات الانبعاث الحرارى تخترق حاجز الزمن ، وتخبرنا من كان هنا منذ قليل .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية ، وهو يضيف :

ـ وهذا ما سيُوقع بأصدقائنا ..

ولم يكد يضع المنظار على عينيه ، حتى لاحت له ظلال حمراء ..

ظلال من كانوا هناك منذ قليل ..

وكانت هذه الظلال تقوده إلى هدفه ..

إلى مخبإ المقاومة ..

* * *



٥ ـ ظل جاسوس ..

عقد (فارس) حاجبيه في ضيق ، وهو يتطلّع إلى (نور) و (بودون) ، اللذين انهمكا في حوار جاد ، داخل حجرة منعزلة بجدران زجاجية سميكة ، في طرف مركز المقاومة السرّيّ ، وغمغم في حنق :

ـ لم أفهم بعد من هو هذا الفضائيّ ؟

أجابته (سلوى) في خفوت ، وهي تتابع الأمر بدَوْرِها في اهتمام :

ـ إنه (بودون) .

سألها في توتر :

ـ من (بودون) ؟

أجابته في شرود :

ـ إنه مقاتل أرغورانيّ ، كان ينتمي قديمًا إلى مخابرات كوكبه (أرغوران) ، ولقد جاء يومًا إلى هنا ، في مهمّة استطلاعية ، تمهيدًا لإرسال بعثة احتلال من كوكبه ، الذي يفوقنا حضاريًا بآلاف السنين .

هتف (فارس) فى سُخط :

ـــ احتلال ؟!

ابتسمت وهى تقول :

ـــ لقد كاد ينجح حينذاك ، حتى أنه قد أسَرَنا ، وصغَّر أحجامنا ، وحملنا إلى كوكبه .

تطلَّع إليها (فارس) فى دهشة ، وهو يقول فى انفعال :

ـــ يا إلهى !!.. وماذا فعلتم هناك ؟

ضحكت فى اختصار ، وهى تجيب :

ـــ نجحنا فى احتلال كوكبه .

اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يحدِّق فى وجهها ، متمتمًا :

ـــ احتلال كوكبه ؟!

ثم أدار عينيه إلى الحجرة الزجاجية ، يحدِّق فى وجه (بودون) فى دهشة بالغة ، قبل أن يغمغم :

ـــ هذا مستحيل !!

ثم يعقد حاجبيه ، مستطردًا :

ـــ بالنسبة لى على الأقل .

فى نفس اللحظة كان (نور) يقول لـ(بودون) :

ـــ أليس أمرًا عجيبًا يا (بودون) ، أن تأتى إلى الأرض مرَّتين : مرَّة لتوقع بها ، والأخرى لتنقذها ؟

أجابه (بودون) فى هدوء :

ـــ ربَّما كان كذلك .

ثم أضاف فى ضيق :

ـــ ولكن الأمر كله يثير حَيْرتى .. لقد كان (جلوريال) هذا متخلِّفًا عنَّا ، ثم إذا به يقفز فى سُلَّم التطوُّر بغتة ، ويحتلنا على حين غِرَّة ، ثم يستولى إمبراطوره على كل الوثائق الخاصَّة بك ، ويقود حملته لاحتلال كوكبك .

صمت لحظة ، ثم استطرد :

ـــ لقد بدا لى وكأنه قد فعل كل هذا من أجلك .

غمغم (نور) فى دهشة :

ـــ من أجلى أنا ؟!

ثم هزَّ رأسه ، مردفًا فى حزم :

ـــ مستحيل يا (بودون) .. لابدَّ أنك واهِمٌ .

ظلَّ (بودون) جامدًا لحظات ، ثم قال :

ـــ ربَّما .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـــ ولكن قُلْ لى : كيف نجوت من هؤلاء الغزاة فى كوكبك ؟

أجابه (بودون) في انفعال شديد :

ـــ بمعجزة .

بدا لحظة أنه سيشرح كيف ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع ، وهو يقول :

ـــ لم يعد هذا مهمًا الآن .. المهم هو كيف ستنجو أنت ؟

ابتسم (نور) مغمغمًا :

ـــ تقصد كيف سينجو كوكبي ؟ ... حسنًا .. هل يمكنك معاونتنا ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ـــ إنني لم أحمل من كوكبي سوى أقل القليل ، وهو لن يكفي لإنقاذ كوكب كامل .

سأله (نور) :

ـــ لماذا أتيت إلى هنا إذن ؟

صمت (بودون) طويلًا ، ثم أجاب :

ـــ لقد كنت تستطيع قتلي يومًا في كوكبي ، ولكنك عفوت عني ، وعلّمتني كلمة لم تندرج في قاموسنا يومًا من قبلك .. كلمة السلام .

صمت برهة أخرى ، ثم أضاف :

ـــ ولقد أتيت من أجله .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتمتم مستفهمًا :

ـــ من أجله ؟!

التفت إليه (بودون) ، وهو يقول :

ـــ نعم .. الإمبراطور (آغرو) ورجاله هم أعدى أعداء السلام ، ولقد أتيت من كوكبي لأعمل تحت قيادتك ، حتى تستعيد الأرض حريتها ، ثم ننطلق معًا إلى كوكبي ، فنحرّره .

رانَ الصمت لحظات ، ثم مدّ (نور) يده إليه ، قائلًا في قوّة :

ـــ فلنعتبره عقدًا .

صافحه (بودون) ، وهو يبتسم ، قائلًا :

ـــ إنه كذلك .

لم تكد كفّاهما تتشابكان ، حتى اقتحمت (نشوى) الحجرة ، وهي تقول :

ـــ خطر يا أبي .. إن (كوماد) ورجاله هنا .

ابتسم (نور) قائلًا :

ـــ هذا يدعو إلى السُّخرية .

أجابته في توتُّر :

— بل إلى الخوف يا أبى ، فهو يملك جهاز تتبُّع حرارى ، وهو جهاز يلتقط موجات الأشعة دون الحمراء ، التى تتخلَّف عن الأجسام الحيَّة .

عقد (نور) حاجبيه فى شدَّة ، وهو يقول :

— ماذا ؟

ثم التفت إلى (بودون) ، مستطردًا بلغته :

— هذا يعنى أنه يستطيع تعقُّب حرارة أجسادنا ، حتى يصل إلى مقرِّنا السرِّى .

غمغم (بودون) :

— لقد سمعت .. أنسيت أننى أفهم لغة شعبك ، وأستطيع التحدُّث بها ؟

واستدار إلى (نشوى) ، قائلًا بالعربية :

— اطمئنى أيَّتها الأرضية .. لن يصل هذا الجلوريالى إلى هنا .

أشارت (نشوى) إلى شاشة الجهاز ، وهى تقول فى عصبيَّة :

— فى وجود هذا الجهاز ، يبدو قولك هذا مشكوكًا فيه .

أجابها فى صرامة :

— لن نمنحه الفرصة لذلك .

ثم التقط من حزامه كُرَة صغيرة حمراء ، وهو يقول مستطردًا :

— وسنبدأ بهذه .

بدت لها عيناه مخيفتين ، وهو يحدِّق فى الكُرَة بعض الوقت ، ثم يقول فى حزم :

— اذهبى .

وعلى الفور ، تركت الكرة أصابعه ، وهامت فى الهواء ، وكأنما لا أثر للجاذبية الأرضية عليها ، وتحرَّكت فى بطء خارج الحجرة ، ثم اندفعت نحو المخرج السرِّى ، وهتفت (سلوى) :

— سترتطم بالباب الفولاذى .

أجابها (بودون) ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره فى حزم :

— لا .. لن تفعل ..

وكان على حق ..

لم تكد الكُرَة الحمراء تبلغ الباب ، حتى تحوَّلت بغتة إلى اللون البرتقالى ، ثم الأصفر ، وعَبَرت الباب فى هدوء كالشبح ..

واتسعت عيون الجميع فى ذهول ، وهتف (فارس) :



ثم التقط من حزامه كُرة صغيرة حمراء ، وهو يقول مستطردًا :
— وسنبدأ بهذه —

— ما هذا بحق السماء ؟

أجابه (بودون) فى هدوء :

— اهتزاز ذَرّىّ فائق التردُّد ، يبيح لها العبور خلال ذرّات الباب ، مهما بلغ تماسكها .

ثم أضاف فى حزم :

— إنه واحد من أسلحة (أرغوران) السّرّيّة ، التى لم تقع بعد فى أيدى الأعداء .

سألته (نشوى) فى توتُّر :

— هل سيفلح ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

— سترون جميعًا .. سترون بعد لحظات .

* * *

بدت عينا (كوماد) ، من خلف منظار الفحص الإشعاعى ، كعينى صقر وحشىّ شرس ، وهما تدوران فى المكان ، فى حين أخذ صاحبهما يغمغم فى شراهة نمر مفترس ، رأى فريسته على قيد خطوات منه :

— الظلال تختلط كثيرًا هنا .. ولكننى خبير فى مثل هذه الأمور .. لقد بدأ الأمر برجلين ، وثالث يحمل درجة حرارة

مشابهة لدرجة حرارة أجسادنا ، وربما كان شخصًا متنكرًا ، ثم اندفع الثلاثة فى عُنف ، وأظن ذلك قد حدث مع انفجار إحدى عيوننا الحارسة ، ولقد لَقِىَ اثنان منهم مصرعهما على الفور ، وانخفضت حرارة جسديهما فى سرعة ، حتى تلاشت ، وبقى الثالث فاقد الوعى ، ثم خرج رجل من هذا المبنى ، وحمله على كتفه ، وبعدها راح يتقافز فى مرونة رائعة ، وخيوط الأشعة الأرجوانية تحيط به ، و .....

بتر عبارته بغتة ، ثم غمغم فى توتُّر :

ـــ عجبًا !!

لم يجرؤ أى من رجاله على سؤاله عن سرّ صمته المباغت ، فلزموا جميعهم الصمت ، حتى عاد هو يقول :

ـــ لقد ظهر شخص ثالث .. بل رابع .. فهناك أنثى اندفعت من المكان نفسه ، وانضمت إلى الرجلين ، وظهر ذلك الرابع بعدها ، وهو يملك قوّة عجيبة ، لا يملكها سوى .....

بتر عبارته مرّة أخرى ، ثم استطرد فى حَيْرة :

ـــ سوى سُكّان (أرغوران) .

تبادل رجاله نظرات الحَيْرة ، ثم تمتم أحدهم فى حَذر :

ـــ وكيف يأتى رجل من (أرغوران) إلى هنا أيها القائد ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى عصبيّة :

ـــ لست أدرى كيف ، ولكنه هنا حتمًا .

ثم عاد يتطلّع إلى ساحة المعركة ، مستطردًا فى جِدّة :

ـــ لقد ظهر هنا ، وحطّم عيون الحراسة ، و .....

قبل أن يتمّ عبارته ، برزت الكُرَة الحمراء بغتة ، واندفعت إلى الساحة ، وهتف (كوماد) :

ـــ ما هذا بحقّ السماء ؟!

وفجأة ، توقّفت الكُرَة ، ودارت حول نفسها فى سرعة فائقة ، ثم سطعت ببريق أحمر رهيب ..

ومحا بريقها كل الظلال الحرارية ، ثم تلاشى دفعة واحدة ..

وفقدت الكُرَة لونها الأحمر ، وسقطت فى لون أزرق داكن ، واستقرّت على الأرض كقطعة من الحجر ، فى نفس اللحظة التى هتف فيها (كوماد) فى حنق :

ـــ اللعنة !! لقد محت تلك القنبلة الحرارية كل الآثار .

ثم أضاف فى غضب ، وهو يشير إلى رجاله بذراعه :

ـــ ولكن هذا لن يوقفنا .. لقد خرجت الظلال كلها من هنا ، وهذا يعنى أن المخبأ السرّىّ فى مكان ما هنا ..

وتعالى صوته ، حتى صار كالعاصفة ، وهو يستطرد :

— وسأهدم المكان كله لو لزم الأمر ، المهم أن أحطِّم المقاومة هذه المرّة .. وسأفعل .

* * *

انعقد حاجبا (نور) فى شدَّةٍ ، وهو يتابع ما يحدث على شاشة الراصد الخاص ، قبل أن يهبّ من مقعده ، قائلاً فى حَنَق :

— هذا الوغد .. سيهدم المنازل على رءوس أصحابها ، حتى يصل إلينا .. لا يقلقه كل ما سيريقه من دماء .

قال (بودون) فى جمود كعادته :

— (كوماد) لا يبالى بإسالة نهر من الدماء ، ليصل إلى أهدافه .

أومأ (نور) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

— صدقت .. العنف أمر بشع ، لكنه يصبح ضروريًا فى بعض الأحيان ، عندما يتصدّى للوحشية .

وتألقت عيناه ببريق العزم ، مستطردًا :

— ومن حسن الحظ أن رجالنا قد جعلوا لهذا المخبأ عشرات المخارج والمداخل السرِّية ، حتى صار أشبه بجحر الثعالب .

هتفت ابنته (نشوى) فى دهشة :

— هل تسعى للفرار يا أبى ؟

هزّ رأسه فى بطء ، وهو يقول :

— لا يا بنتى العزيزة .. إننى أسعى لتحطيم غرور (كوماد) .

ثم التفت إلى (بودون) مستطردًا :

— هل يبلغ حماسك الحدّ الكافى ، لبدء الصراع على الفور ؟

أومأ (بودون) برأسه إيجابًا ، فى حين قال (فارس) فى حدّة :

— كلنا هذا الرجل أيها القائد .

ابتسم (نور) ، وقال :

— فليكن .. سنمنح صديقنا (كوماد) أكبر مفاجأة فى حياته .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— سنمنحه معركة .. وهزيمة ..

* * *

٦ — القتال ..

انطلقت حوّامة فضائية ضخمة ، تحمل شعار قوات الاحتلال ، فى سماء (القاهرة) ، حاملة على متنها عددًا هائلًا من الأسرى والمعارضين ، فى طريقها إلى صحراء (مصر) الغربية ..

وبين هؤلاء المساكين ، جلس (رمزى) والدكتور (حجازى) ، وقد تملّكهما إرهاق شديد ، وإنهاك عنيف ، وغمغم الثانى فى إعياء :

— أتظن أن (محمود) قد أدلى بشىء ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وهو يُسبل عينيه ، متمتمًا :

— مستحيل !!

غمغم الدكتور (حجازى) :

— إنه أضعفكم بنيّة ، وقد ينهار ، و .....

قاطعه (رمزى) فى حسم :

— أقول مستحيل !.. إنه لن يخبر ذلك الوغد بشىء ، حتى لو أراد .

التفت إليه الدكتور (حجازى) ، وتطلّع إليه فى اهتمام ، وكأنما يسعى للتيقّن من جدّيّة الحديث ، ثم عاد يتهالك ، مغمغمًا :

— أتثق فى نتيجة التنويم المغناطيسى إلى هذا الحد ؟

أجابه (رمزى) ، وهو يحاول أن يبتسم :

— لا تنسَ أننى خبير فى هذا المجال .

ابتسم الدكتور (حجازى) فى وهن ، وهو يقول :

— بل أنت موهوب .

ترك (رمزى) جسده يسترخى ، واستسلم لذلك الصمت ، الذى ساد المكان بضع لحظات ، ثم غمغم :

— هل تعلم إلى أين يأخذوننا ؟

ارتجف جسد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

— إننى أرتعد كلما تذكّرت جواب (كوماد) ، عندما ألقيت عليه هذا السؤال .

فتح (رمزى) عينيه ، وقال فى قلق :

— ماذا قال ؟

تنهد الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى توتر :

ـــ قال إننا سنذهب إلى الجحيم .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يتطلع إليه فى حيرة ، ثم غمغم فى قلق :

ـــ أأنت واثق من أنه لم يقصد ذلك المعنى المجازى الشهير .

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلًا :

ـــ كلَّا .. لم يكن هذا ما يقصده .. ولم يكن يقصد موتنا أيضًا .. لقد سألته عن ذلك صراحةً ، فقال إننا سنذهب إلى جحيم حقيقى .. جحيم أرضىّ ، من صنع إمبراطوره اللّعين .

هتف (رمزى) فى توتر :

ـــ ما الذى يقصده بذلك ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه للمرَّة الثانية ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول (رمزى) ، فى لهجة أشد توترًا :

ـــ يبدو أننا قد وصلنا إلى هدفنا ، فالحوَّامة تهبط .

تطلَّع الدكتور (حجازى) من نافذة الحوَّامة الصغيرة ، وقال :

ـــ هذا صحيح ، إننا نقترب من رمال الصحراء .

تمتم (رمزى) فى توتر :

ـــ هل سيُقْدِمون على دفننا أحياء ..

أجابه الدكتور (حجازى) فى لخفوت :

ـــ ولمَ يتجشَّمون كل هذا العناء ، من أجل قتلنا بتلك الوسيلة الرومانسية الرقيقة ؟.. كان يمكنهم أن يقتلونا بأشعتهم الساحقة فى لحظة واحدة .

توقَّف الاثنان عن تبادل الحديث ، وتوقَّفت الحوَّامة فى الهواء لحظات ، ثم عاودت الهبوط ..

وفى هذه المرَّة لم تكتف ببلوغ حافَّة الرمال ..

لقد واصلت هبوطها إلى ما أسفله ..

إلى فجوة هائلة تحت رمال الصحراء ..

وهبَّ (رمزى) واقفًا ، وهو يهتف فى توتر :

ـــ يا إلهى !!... إلى أين نمضى ؟

هتف الدكتور (حجازى) ، وهو يلتصق بالنافذة فى رُعْب :

ـــ إلى أعماق الأرض .. إننا نغوص داخل فجوة صناعية رهيبة .

ثم صاح فى هلع :
ـ انظر .. الفجوة تغلق من فوقنا .
هتف (رمزى) ، وقد بلغ توتره مبلغه :
ـ اللعنة !! إنهم سيدفنوننا فى أعماق الأرض حقًا .
ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، مستطردًا :
ـ ولكن لماذا ؟.. لماذا يفعلون ذلك ؟
ألقى سؤاله ، ثم حدّق فى وجه الدكتور (حجازى) ، الذى انعكست عليه أضواء عجيبة ، والذى شفّ عن رُعب هائل ؛ وعيناه تتطلّعان إلى شىء ما فى أسفل ، فغمغم فى توتّر :
ـ ماذا هناك ؟
ثم أمال عينيه إلى أسفل .. إلى حيث يتطلّع الدكتور (حجازى) فى رُعب ..
وانتقل الرُّعب كله إليه ..
لقد أدرك فى تلك اللحظة أن (كوماد) لم يكن مبالغًا ..
لقد بعث بهم إلى جحيم ..
جحيم حقيقىّ ..

* * *

لم يُعْنَ (كوماد) كثيرًا بتحذير سكّان المنطقة ..

لقد بدأ عملية الهدم على الفور ، ودون سابق إنذار ..
فجأة ، انهالت أشعة رجاله الأرجوانية على المبانى ، وسحقتها سحقًا ، ونسفتها نسفًا ..
وتعالت صرخات الرُّعب والألم والفزع ..
وحار السكان ، وتخبّطوا بين أمرين خيرهما مُرّ ..
لو قبعوا فى منازلهم فستسحقهم أشعة رجال (كوماد) ..
ولو غادروها فستسحقهم أشعة عيون الحراسة ..
موت هنا ، وموت هناك ..
وتعالى صوت (كوماد) ، وهو يصرخ فى ثورة وجُنُون :
ـ اسحقوا المكان كله .. أبيدوه على بَكْرَة أبيه .. المهم أن تجدوا الطريق إلى مقرّ المقاومة السرّىّ .
وفجأة ، ووسط الدمار والهلاك ، ارتفع صوت ساخر يقول :
ـ لا ترهق رجالك طويلًا أيها الوغد .. إننا هنا .
استدار (كوماد) ورجاله إلى مصدر الصوت فى سرعة بالغة ..
وفى سرعة أكبر ، بدأ القتال .
انهالت الأشعة الأرجوانية كالمطر ..



والتخذ من أحد المبانى ــ التى أراد هدمها ــ مكمنًا ، وهو يهتف :
ــ لم يمكنكم إطلاق النار على مواطنيكم .. لم يمكنكم هذا ..

وكان الهدف فى هذه المرّة هو (كوماد) ورجاله ..

لم تمنحهم المفاجأة فرصة صد الهجوم ، فى الوقت المناسب ، وعندما حاولوا ، لم تكن النتائج مناسبة بالقدر الكافى ..

وصرخ (كوماد) :

ــ إنه هو .. إنه (نور) الأرضىّ .. اقتلوه .. اقتلوه ..

ولكن (نور) ورجاله كانوا يقاتلون كالأسود ..

وسقط الكثيرون من رجال (كوماد) ..

وبعض رفاق (نور) ..

وتراجع (كوماد) فى شراسة ، وهو يطلق أشعة بندقيته الأرجوانية فى عنف ..

والتخذ من أحد المبانى ــ التى أراد هدمها ــ مكمنًا ، وهو يهتف :

ــ لم يمكنكم إطلاق النار على مواطنيكم .. لم يمكنكم هذا ..

كانت البقية الباقية من رجاله تقاتل فى عنف ، ولكن المعركة لم ترُق له ، فقد بدا من الواضح أنها تميل إلى كفّة (نور) ورفاقه ..

أو أنها بدت هكذا إليه ، فى غمرة رغبته فى إحراز نصر

ساحق مباشر ، يُنهى به المعركة ، ويستعيد به مكانته المتميِّزة ، فى عينى إمبراطوره ، فضغط زرَّ الإرسال فى حزامه ، وهتف فى توتُّر :

— استنفار عام .. إلى كل القوات العاملة فى المنطقة رقم ثلاثة .. الرائد الأرضيّ هنا .. اتبعوا إشارتى ، واهجموا بكل قواكم .. انقضُّوا الآن .

مال أحد الرجال على أذن (نور) ، هاتفًا :

— إنه يستدعى كل قواته .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

— رائع .. إنه يتبع خطتنا بالضبط .

غمغم الرجل فى توتُّر :

— لقد فقدنا ستة رجال ، ولكن أيمكن لبقيتنا التصدِّى لكل هذه القوات ؟.

ربَّت (نور) على كتفه ، قائلًا :

— اطمئنَّ يا رجل .. إننا لم نستغل كل قواتنا بعد .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة غامضة ، وهو يستطرد :

— ما زلنا نملك سلاحًا سِرِّيًّا ..

وبدت ابتسامته واثقة ..

واثقة للغاية ..

* * *

ارتسمت ابتسامة إعجاب على شفتى (فارس) ، وهو يراقب من مخبئه قوات الاحتلال ، التى راحت تغادر المنطقة رقم ثلاثة فى سرعة ، مع كل عيون الحراسة فى نفس المنطقة ، استجابة لنداء (كوماد) ، وهزَّ رأسه فى طرب ، وهو يتمتم :

— عبقريّ هو هذا القائد .

ابتسمت (نشوى) فى زهو ، وهى تقول :

— كان ينبغى أن تدرك ذلك .

أومأ برأسه مغمغمًا :

— إننى أدركه بالفعل .

ثم أضاف فى إعجاب :

— لقد نجحت خطته بدقة بالغة ، فلقد فقد (كوماد) اللعين سيطرته على نفسه ، عندما رأى (نور) أمامه ، وأرسل يستدعى كل قواته الخاصة ، فى محاولة لقلب ميزان القوى لصالحه ، والتخلُّص من زعيم المقاومة ، بعد يوم واحد من ظهوره العلنىّ ، ونسِىَ فى غمرة غضبه وحماسه أن هذا يجعل مقرَّه الخاص عاريًا .

تمتمت (نشوى) :

ـ لقد بَقِىَ جنديان لحراسته .

غمغم (فارس) فى سُخرِيَة

ـ هذا يبدو سخيفًا .

قالت محذِّرة :

ـ لا تستهن كثيرًا بقلة عدد الحرّاس ، فربما كان المبنى مزوّدًا بوسائل دفاعية رهيبة .

هزّ كتفيه مغمغمًا :

ـ ربّما .

ثم أضاف فى لهجة عابثة :

ـ ولكن مهمّتنا أيضًا محدودة ، فسنقتحم المقرّ فحسب .

أضافت فى حزم :

وسنرفع فوقه علَم (مصر) ، بعد أن ننتزع علَم الغُزاة .

عقد حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ هذا لا يُروق لى .

سألته فى دهشة :

ـ لماذا ؟

أجابها محتدًا :

ـ لأنه يحمل فكرة عنصرية أكثر من اللازم .. فلماذا علَم (مصر) بالذات ؟

أجابته فى صرامة :

ـ لأننا فى (مصر) .

هزّ رأسه قائلًا :

ـ وأنا لست مصريًا ، ولكننى أقاتل معكم .

قالت فى حزم :

ـ إننا نعتز بمصريتنا .

أجابها فى هدوء :

ـ وأنا أيضًا أعتز بانتمائى إلى المملكة العربية السعودية ، وزميلنا (عدنان) يعتز بانتمائه إلى الجمهورية السُّوريّة ، ولكننا نعمل جميعًا الآن من أجل هدف أشمل .. إننا ندافع عن حرّية كوكبنا كله ، ومن الضرورى أن نتجاهل الإقليميات ، و .....

قاطعته فى ضجَر :

ـ حسنًا يا (فارس) .. سأعرض هذه الفكرة على والدى .

ثم أضافت فى حزم :

ـ عندما نلتقى به مرّة ثانية .

ابتسم ابتسامة جذابة ، وهو يقول :

ــ سنفعل بإذن الله .

ثم حمل بندقيته ، وقال :

ــ فليبدأ الهجوم ، على بركة الله .

وبإشارة من يده انطلق الجميع نحو الهدف .

نحو مقر قيادة (كوماد) ..

وَشهَرَ حارسا المقر سلاحيهما ، ولكن الأشعة المنطلقة من بندقية (فارس) سحقتهما ، وهتف (فارس) :

ــ لقد أزحناهما عن الطريق يا رجال .

هتفت (نشوى) :

ــ لو أن أبي في موقعك ، ما تباهى أبدًا بحادثة قتل .

صاح في حِدَّة :

ــ إنني أختلف معه في هذه النقطة .

فوجئ بها تتوقف بغتة ، فقال في توتر وصرامة :

ــ إنني لم أقلْ ما يستوجب هذا الأسلوب الأ ......

صاحت وهي تشير إلى مقر قيادة (كوماد) :

ــ انظر !!

التفت إلى حيث أشارت ، ورأى ...

رأى الرعب يندفع نحوه ..

على قدمين ..

* * *



٧ ـ السّلاح ..

انزوى (كوماد) فى ركنه الخاص ، وهو يحمل بندقية الأشعة الأرجوانية ، وراح يراقب تحرّكات (نور) النشطة السريعة ، وهو يتمتم فى حنق غاضب ، وصرامة بالغة :

ـ لن تفلت هذه المرّة أيها الأرضىّ .. لن أسمح لك بذلك .. ما هى إلا بضع لحظات ، وتحاصرك قواتى تمامًا .. وعندئذ تسقط مع هذا العدد الهزيل من رجالك .

كان (نور) قد فقد فى هذه اللحظة ثمانية من رجاله ، وقضى على كل رجال (كوماد) ، فاعتدل وهو يتأمّل فى ساحة المعركة فى مرارة ، مغمغمًا :

ـ العُنف .. لا مفرّ من العُنف .

ثم التفت إلى حيث اختبأ (كوماد) ، وصاح :

ـ هيّا يا قائد الأوغاد .. استسلم .. لم يعُد هناك مفرٌّ من ذلك .. إننا نحاصرك تمامًا .

صاح (كوماد) فى سُخط :

ـ هُراء .. أنت ستخسر أيها الأرضىّ ، على الرغم مما يبدو لك .. المعركة لم تنته بعد .

ابتسم (نور) فى سُخرية ، وهو يقول :

ـ صدقت .

وفجأة ، تعالى أزيز متصاعد ، برقت له عينا (كوماد) وهو يهتف :

ـ لقد وصلت القوات .. لقد بدأت المعركة الحقيقية .

استدار (نور) فى هدوء ، وتطلّع إلى القوات القادمة ، ثم ابتسم فى هدوء ، قائلًا :

ـ صدقت .. لقد بدأت المعركة الحقيقية .

ثم رفع بندقيته ، وصوّبها نحو أقرب الحوّامات الأرضية إليه ، وضغط زنادها الصغير ..

وبدأت المعركة ..

بدأت بحقّ ..

* * *

تراجع (فارس) فى حركة حادّة ، وهو يحدّق فى ذلك الشىء الرهيب ، الذى غادر مقر قيادة (كوماد) متجهًا إليهم ، وهتفت (نشوى) فى رُعب هائل :

— ربّاه !.. ما هذا ؟!

كان شيئًا أشبه بكُرة سوداء هائلة ، تطلُّ منها عينان ناريّتان ، ويتوسّطهما فم ضخم ، تبرز فيه أنياب رهيبة حادّة ، ومن كل ركن منها يبرز ذراع أخطبوطيّ طويل ، يتراقص في الهواء ..

وكان ذلك الشيء يمشي على قدمين ..

وهتف أحد رجال (فارس) ، وهو يَشْهَرُ بندقيته :

— أيًا ما كان هذا الشيء ، فسأسحقه بأشعتي .

قالها وأطلق أشعة البندقية الأرجوانية على الشيء الأسود .. ولم يهتز ذلك الشيء قدر أُنملة ..

كل ما حدث هو أنه قد تألّق باللون الأرجواني ، ثم تضخّم حجمه ، وعاد يحمل اللون الأسود القاتم ، قبل أن تندفع إحدى أذرعته في سرعة ، فيلتف حول الرجل ، ويحمله إليه ، و ..... ويلتهمه ..

فعل هذا في سرعة تفوق الوصف ، حتى أن الرجل المسكين لم يجد الفرصة حتى ليصرخ مستنجدًا ..

وقفز الجميع إلى الوراء ، و (نشوى) تصرخ في رُعب :

— يا للبشاعة !!

ورفع رجل آخر بندقيته ، وصوّبها نحو الشيء الأسود ، ولكن (فارس) صرخ :

— كلّا .. إنه يربح بها .

هتفت (نشوى) ، وهي تتراجع في رُعب :

— هذا صحيح .. من الواضح أنه يمتصها ، ويستفيد منها على نحو ما ، حتى أن جسده ينمو بواسطتها .

عقد (فارس) حاجبيه ، وهو يقول في توتّر :

— ولكن لابُدّ من وسيلة للقضاء عليه .

تمتمت (نشوى) :

— هذا يحتاج إلى بحث طويل .

هتف في حزم :

— لن نتراجع ، بعد أن بلغنا هذه النقطة .

ثم تحوّلت لهجته إلى السُّخرية بعض الشيء ، وهو يستطرد :

— والواقع أنني أفكّر في اللُّجوء إلى وسيلة بدائية قديمة .

غمغمت في دهشة ، دون أن ترفع عينيها عن ذلك الشيء الأسود ، الذي تصلّب في مكانه ، وكأنه تمثال من الآبنوس :

— بدائية ؟!.. أيّة وسيلة تعني ؟

استلّ من حزامه خِنجرًا حادًا ملتويًا ، وهو يقول في لهجة حماسية :

— هذا .

هتفت فى استنكار :

ــ خنجر ؟!.. هل ستقاتل هذا الشىء الرهيب بخنجر .

تألقت عيناه فى جذل ، وهو يقول :

ــ نعم .. ولِمَ لا ؟

ثم اندفع نحو الشىء الأسود ، صارخًا :

ــ فلتباركنى روح الأجداد .

وانقضَّ على أكثر المخلوقات إثارة للرُّعب فى هذا الكَوْن ..

وبخنجر قديم ..

فقط ..

* * *

تهلّلت أسارير (كوماد) ، ورقص قلبه طربًا ، عندما رأى عشر حوّامات أرضية ، تحمل مائة جندى ، وهى تنقضُّ على (نور) ، وما تبقى من رجاله ، الذين يمكن عدّهم على أصابع اليد الواحدة فحسب ، ومع جنوده انقضَّت عشرون عينًا حارسة قاتلة ..

ثم شعر (كوماد) بالقلق ، عندما بدا (نور) هادئًا ، على نحو يخالف منطقية الأمور ..

ولكن (نور) أطلق أشعته على أقرب الحوّامات إليه ..



وانقضَّ على أكثر المخلوقات إثارة للرُّعب فى هذا الكَوْن .. وبخنجر قديم .. فقط ..

وسحقها ..

وهنا عادت روح (كوماد) المعنوية ترتفع ، فقد أثار هذا التصرُّف عيون الحراسة ، فاندفعت كلها نحو (نور) ورجاله ..

وفجأة ، ظهر السلاح السِّرِّى ..

انطلق فجأة طائرًا ، على نحو أشبه بالـ(سوبرمان) الأسطورى ، وانطلقت من قبضته موجة إشعاعية قوية ، سحقت عيون الحراسة ، وأحالتها إلى رماد ..

وتراجع (كوماد) فى ذُعر ..

لم يكن يتوقَّع هذا التدخل ..

ولا هذا المقاتل الأرغورانى ، الذى انضمَّ إلى (نور) ورفاقه ، فقلب كل الموازين بغتة ..

لقد كان هذا السلاح السِّرِّى هو (بودون) ..

(بودون) الأرغورانى ..

ورأى (كوماد) عيون حراسته تسحق ..

ورأى جنوده يتراجعون فى ذُعر ..

واستغلالاً لعامل المفاجأة ، اندفع (بودون) يطلق أشعته الساحقة على الحوَّامات والجنود ..

وصرخ (كوماد) فى غضب هائل :

ـ اللعنة !!

ثم قفز من مكانه صارخًا :

ـ ستموت أيها الرائد الأرضىّ .. ستموت ولو كان هذا آخر ما أفعله فى حياتى كلها .

وبكل مايملك من غضب وحقد ، رفع (كوماد) فوَّهة بندقيته ، وأطلق أشعتها الساحقة نحو زعيم المقاومة ..

نحو (نور) ..

* * *

لم يصدِّق الرجال أعينهم ، عندما رأوا (فارس) ينقضّ على ذلك الشىء الأسود ، حاملاً خنجره فحسب ..

حتى الشىء نفسه أصابته الدهشة ..

هذا هو التفسير الوحيد ، لأنه لم يلتقط (فارس) بإحدى أذرعته ، قبل أن يحتل هذا الأخير ظهره ..

وصرخت (نشوى) فى هلع :

ـ لا .. لا يا (فارس) ..

ولكن هيهات ..

سبق السيف العزل ..

لقد أصبح (فارس) فوق الشيء ، وراح يطعنه بخنجره في قوّة ، هاتفًا :

— مُتْ أيها الوحش القذر .. مُتْ .

راح الشيء الأسود يدير ذراعيه فيما حوله في جُنُون ، وطعنات خنجر (فارس) تمزّق لحمه ، وتسيل لها دماؤه الخضراء ..

ونجح الخنجر فيما فشلت فيه الأشعة الساحقة ..

ليس الخنجر وحده ..

لقد أضيفت إليه شجاعة (فارس) ..

وأمام العيون المنفعلة الزائغة ، هَوَى الشيء الأسود ..

هَوَى وسط بركة من دماء خضراء لزجة ..

ولوهلة ، ساد صمت رهيب ..

ولبضع لحظات ، حدّق الجميع في وجه (فارس) ، ثم غمغمت (نشوى) في انبهار :

— لقد فعلتها !! .. يا إلهي ! .. لم أتصوّر أبدًا أنك ستنجح !

ابتسم وهو يمسح الدماء الخضراء عن نصل خنجره ، مغمغمًا :

— ولكنني فعلت .. أليس كذلك ؟

هتفت في حماس :

— ولقد كنت رائعًا .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— سأذكر هذه العبارة إلى الأبد .

تخضّب وجهها بحمرة الخجل ، وهي تغمغم :

— افعل ما بدا لك .

ثم أضافت في حِدّة مفاجئة ، بدا وكأنها تخفي خجلها :

— ولكن لا تنسَ مهمّتنا الأساسية .

تطلّع إلى ملامحها الجميلة في إعجاب ، وهو يغمغم :

— ومَنْ ينساها ؟

ثم اعتدل ، وأضاف في حزم :

— هيّا يا جميلتي .. سنرفع علَم دولتك فوق هذا المقر .. ولكنني أحذّرك .. إنها آخر مرّة أرفع فيها علمًا مخالفًا .. في المرّة القادمة إما أن أرفع العلم السعودي ، أو علمًا دوليًّا .

ابتسمت في حياء ، مغمغمة :

— لك هذا .

اندفع الاثنان إلى داخل مقر القيادة ، وهتف (فارس) ، وهو يلوّح بالعَلَم :

— سيستيقظ العالم في الصباح ، ليعلم أن المقاومة قد حازت نصرًا جديدًا .

أضافت هي في فخر :

— وأن الأرض لم تستسلم بعد ، ولم .....

بترت عبارتها بغتة ، واتسعت عيناها في ذهول ، وهي تهتف :

— يا إلهي !!.. انظر يا (فارس) .

التفت إلى حيث أشارت ، وعقد حاجبيه في توتر ، وهو يتطلع إلى وجه نشوى ، بادلهما نظرة الدهشة ، وسمع (نشوى) تستطرد في فرحة غامرة ، اختلطت بلهفتها ودهشتها :

— إنه (محمود) .. يا إلهي !!.. إنه هو .

هتف (محمود) من خلف قضبان سجنه :

— مستحيل !.. أأنت (نشوى) حقًا ، أم إنه حُلْمٌ جميل ؟

صاحت (نشوى) في سعادة ، وهي تندفع نحوه :

— بل أنا هي يا (محمود) .. أأنت حيّ ؟.. هل نجوْت ؟

هتف (محمود) في حرارة :

— كلنا نجونا .. أنا و (رمزى) والدكتور (حجازى) .. لقد عذّبونا طويلًا ، ولكنهم لم يقتلوا أحدًا منّا .

صاحت (نشوى) في لهفة :

— (رمزى) حيّ ؟!.. (رمزى) ؟!.. أأنت واثق ؟

تردَّد لحظة ، ثم أجاب :

— لست أدرى .. ربَّما كان كذلك .. لست أدرى .

صاحت (نشوى) في عصبيَّة :

— ماذا تعنى ؟.. ألم تقل إنهم لم يقتلوا أحدًا منّا ؟

قال (محمود) في توتُّر :

— كان هذا حتى وصلنا إلى هذا المكان ، ولكننى أجهل ما فعله بهم ذلك الوغد (كوماد) بعدها .. لقد .....

بتر عبارته ، ليهتف في حِدَّة :

— ألا تخرجوننى من سجنى أوَّلًا ؟

عقد (فارس) حاجبيه ، وهو يقول :

— أنت على حقّ .

ثم جذب القضبان في قوة ، فصاح به (محمود) في رُعب :

— لا .. ليس هكذا .

تراجع (فارس) مغمغمًا :

— لماذا ؟

أشار (محمود) إلى السقف ، وهو يهتف في هلع :

— لقد أشعلت جهازًا أمنيًا خاصًا ، يعمل في حالة محاولة استخدام القوة لانتزاع القضبان .

رفع (فارس) عينيه إلى سقف الزنزانة ، وهو يقول في توتر :

— وما الذى سيفعله هذا الجهاز الأمنيّ الخاصّ ؟

شحُبَ وجه (محمود) في شدّة ، وهو يجيب :

— سيطلق حزمة ضخمة من الأشعة الأرجوانية من السقف .. سيسحقنى سحقًا ، بعد ثلاثين ثانية فقط من الآن .. الوداع يا رفاق .. الوداع .

* * *



٨ ـــ التضحية ..

لم يكن من الممكن أن يخطئ (كوماد) هدفه ..

إنه لم يحصل على منصب قائد جيوش (جلوريال) عبثًا ..

إنه مقاتل عنيف ..

ورامٍ بارع للغاية ..

لقد انطلقت أشعة بندقيته الأرجوانية نحو صدر (نور) تمامًا ..

ولكنها لم تصل إليه ..

صدّها حاجز (بودون) الخفيّ ..

لقد رأى (بودون) ماحدث ، فأطلق حاجزه الخفيّ الأخير نحو (نور) ، وصدّ عنه الأشعة الساحقة ..

ولكن هذه المبادرة النبيلة كلّفته درعه الواقى ..

لم يكد رجال (كوماد) يدركون أن (بودون) قد أدار وجهه بعيدًا عنهم ، حتى أطلقوا على أشعة بنادقهم كلها في آن واحد ..

ولم يحتمل درع (بودون) الواقى كل هذا القدر من الطاقة ..

وانفجر ..

لم يقتل (بودون) ، ولكنه جعله عاريًا فى مواجهة أعدائه ..

وصرخ (نور) :

ــ ابتعد يا (بودون) .

وأطلق أشعة بندقيته نحو حوّامة ثانية ، وسحقها سحقًا برجالها ، وهتف (بودون) نفسه فى غضب :

ــ اللّعنة !

ألقاها بلغة كوكبه بالطبع ، ثم أطلق أشعته على بندقية (كوماد) ، فدمّرها ، والتفت إلى الحوّامات ، التى تحمل رجال هذا الأخير ، وسحق ثلاثًا منها بأشعته فى لحظات ..

ولكن انتصاره لم يكتمل ..

لقد أصابه جانبٌ ضئيلٌ للغاية من أحد خيوط الأشعة الأرجوانية ..

مسّه مسًّا ، فألقاه جانبًا فى عنف ..

وأطلق (نور) ، ومن بقى من رجاله أشعة بنادقهم ..

وراح (كوماد) يصرخ :

ــ اقتلوا القائد الأرضىّ يا رجال .. اقتلوه .

لم يكن رجاله بحاجة إلى هذا الأمر ..

كانوا يحاولون قتل (نور) بالفعل ..

ولكنه كان أشبه بالظل ، ما إن تتصوّر أنك قد بلغته ، حتى يفرّ منك فى مهارة ..

إنه دائمًا أمامك ، ودائمًا عسير المنال ..

وبذل رجال (نور) الخمسة الباقون جُلّ جهدهم لحمايته ، وتعاونت البنادق الست على سحق رجال (كوماد) ..

ولدهشة (كوماد) ومرارته ، خسر رجاله المعركة ..

لا أحد ، حتى هو نفسه ، يدرى كيف ..

ربما أنها صلابة (نور) ورجاله ..

وربما أنه تدخّل (بودون) ..

أو أنه عامل آخر ..

عامل إلهىّ ..

وفجأة ، ودون أن يتوقّع (كوماد) أبدًا ، فوجئ بفوّهات البنادق الثلاث الباقية تتجه إلى رأسه ، فتراجع مغمغمًا فى ذهول :

ــ مستحيل !!

تجاهله (نور) تمامًا ، واندفع نحو (بودون) ، هاتفًا :

— هل أصابك مكروه يا صديقى ؟

أجابه (بودون) فى هدوء وجدّية ، ودون أن يبتسم كعادته :

— ليس كثيرًا يا صديقى الأرضىّ .. إننى فقط ......

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

— أموت .

هتف (نور) فى لوْعة :

— ربّما لا يا صديقى .. ربما لا .

هزّ (بودون) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يقول :

— كلّا يا صديقى الأرضىّ .. نحن فى (أرغوران) نختلف عنكم .. إننا نعلم دومًا أن النهاية قد حانت .. إنه أمر غريزى .. لقد حان موعد رحيل ، وهذا لا يحزننى .

تمتم (نور) فى ألم :

— ولكنه يحزننى أنا .

أجابه فى هدوء :

— خطأ يا صديقى .. إنها حرب .. وفى الحروب يقضى الآلاف نحبهم .. وأنا لم أمُتْ هباءً .. لقد فعلتها من أجل الحرّية .

ثم التقط من حزامه مكعبًا صغيرًا ، وهو يستطرد فى ضعف :

— ولكننى لم أقتل (كوماد) .. لقد حافظت عليه حيًّا ، لتسير خطّتك على النسق الذى وضعته .. أليس كذلك ؟

تمتم (نور) ، والدمع يترقرق فى عينيه :

— بلى .. ولكنه يستحق القتل .

أمسك (بودون) كفّه فى قوّة ، قائلًا :

— لا يا صديقى .. لا تجعل الرغبة فى الانتقام تبعدك عن خطّتك الأصلية .. إنها خطّة عبقرية ، واصل العمل بها يا صديقى ، وسيتحرّر كوكبك يومًا تحت قيادتك ، ولكن عِدنى أنك لن تتخلّى عن كوكبى عندئذ .

أجابه (نور) فى ألم :

— لن أفعل يا صديقى .. أقسم لك إننى لن أفعل .. هذا لو ظللت حيًّا حتى ذلك الحين .

ولأوّل مرّة فى حياته ، ابتسم (بودون) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— ستبقى يا صديقى .. أعلم أنك ستبقى .

ثم ناوله المكعب الصغير ، مستطردًا فى جدّيّة :

— خذ هذا الشيء ..
تناول (نور) المكعب ، وهو يسأله :
— ماهذا ؟
أجابه (بودون) :
— إنها وسيلة اتصال بسفينتي الفضائية ، التي أخفيتها في مكان ما في كوكبك .. إنها تحوي جهازًا خاصًا ، أريد منك أن تستخدمه ، إذا ماطال أمر الاحتلال .
سأله (نور) في حَيْرة :
— لماذا ؟
أجابه في تهالك :
— ستعلم أيها الصديق .. ستعلم لماذا ..
ثم أسبل جفنيه ، وهو يستطرد في صوت شاحب :
— أتريد نصيحتي ؟
تمتم (نور) في حزن :
— بالتأكيد .
ابتسم (بودون) ابتسامة شاحبة أخيرة ، وهو يقول :
— ابحث عن (س ١٨) .. إنه وسيلتكم للخلاص(*).

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

تمتم (نور) :
— (س ١٨) ؟! .. ولكننا فقدناه يا صديقي .. لقد غرق في أعماق الأطلنطي(*) ، و .....
لم يتم عبارته ..
لم يفعل ، لأنه أدرك أن (بودون) لم يعُد يسمعه ..
لقد مات ..
مات وعلى شفتيه ابتسامة ..
يا لسُخرية القدر !!
إن (بودون) لم يبتسم في حياته أبدًا ..
وابتسم في موته ..
وفي حزن يكفي لملء قلوب أهل الأرض جميعًا ، تمتم (نور) :
— وداعًا يا صديقي .. وداعًا .
وصمت لحظة ، ليبتلع غُصّة في حلقه ، قبل أن يستطرد :
— إنها الحرب .
وفي أعماقه هتف قلب حزين :
— نعم .. إنها الحرب ..

* * *

(*) راجع قصة (المهبط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣)

اتسعت عينا (فارس) فى هلع ، وهو يرفع عينيه إلى سقف زنزانة (محمود) ، هاتفًا :

ـــ ثلاثون ثانية ؟!

وهتفت (نشوى) فى ارتياع :

ـــ يا إلهى !!.. ماذا فعلنا ؟

أجابها (فارس) ، وهو يعقد حاجبيه فى حِدَّة :

ـــ لم نفعل شيئًا .

ثم أعاد خنجره إلى غِمده ، واختطف بندقيتها الليزرية ، مستطردًا فى حزم :

ـــ والوقت لم يفُت بعد .

وصاح به (محمود) :

ـــ ابتعد .

ابتعد (محمود) ، وهو يهتف :

ـــ ماذا ستفعل ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى انطلقت أشعة بندقية (فارس) تسحق أحد قضبان السجن ، وهتف (محمود) :

ـــ يا إلهى !!

امتدت يد (فارس) عبْر الفجوة ، وأمسكت سترة (محمود) ، وهو يقول :

ـــ من حُسن الحظ أنك نحيل الجسد .

ثم جذب (محمود) إليه فى قوة ، عَبْر الفجوة ، وانتزعه من زنزانته ، فى نفس اللحظة التى تألَّق فيها سقف الزنزانة ، فهتف (فارس) :

ـــ ابتعدى .

ودفع (نشوى) جانبًا فى خشونة ، ثم قفز مع (محمود) أرضًا ، وانطلقت حزمة الأشعة الأرجوانية تسحق أرضية الزنزانة ، فهتف (محمود) :

ـــ يا إلهى !!.. كان من الممكن أن أكون هناك .

نهض (فارس) فى سرعة ، وهو يقول :

ـــ يمكنك أن تشكر الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأنك لم تكن هناك .

أجابه (محمود) فى امتنان :

ـــ وأنا أشكرك أيضًا .

لوَّح (فارس) بكفِّه ، قائلًا :

ـــ دَعْ هذا لما بعد .

ثم التفت إلى (نشوى) ، التى تتطلَّع إليه فى انبهار ، مستطردًا :



ثم قفز مع (محمود) أرضًا ، وانطلقت حزمة الأشعة الأرجوانية تسحق أرضية الزنزانة ..

ــ لا داعى لكل هذا الانبهار .. إنه عمل عادى .

أحنقها أسلوبه ، فعقدت حاجبيها ، قائلة فى حِدَّة :

ــ ومن قال لك إننى ......؟

قاطعها فى حزم :

ــ لا عليك .. فلنتم مهمّتنا أوّلًا .

تطلّعت إليه فى دهشة ، وقد بدا لها إيقاعه أسرع من المعتاد ، ثم لم تلبث أن شاركته فى ذلك الإيقاع السريع ، وهى تعقد حاجبيها ، قائلة :

ــ حسنًا أيها الزعيم .. ماذا تريد ؟

هتف فى توتّر :

ــ أن يبدأ الجزء التالى من الخطّة .. أين مسئولة الإعلام ؟

أتاه صوت (مشيرة محفوظ) ، وهى تقول فى حِدّة :

ــ هأنذا .

التفت إليها ، يسألها فى توتّر :

ــ هل أعددت كل شىء ؟

أجابته (مشيرة) فى حزم :

ــ حسبما استطعت .. لقد عاونتنى السيّدة (سلوى) ، وأوصلنا جهاز البث الرئيسى خاصة ، و .....

قاطعها فى حِدّة :

ـ حسنًا .. دعينا من التفاصيل ، فلن أستوعب الكثير منها .. المهم هو النتائج .. ما هى النتائج المتوقَّعة ؟

عقدت حاجبيها فى حَنَق ، وهى تقول :

ـ سيبدأ البث آليًا ، فى العاشرة صباحًا ، وسيشاهد العالم كله علمنا ، وهو يرفرف فوق مقر قيادة (كوماد) ، القائد الأعلى لجيوش الاحتلال .

قال فى توتُّر :

ـ حسنًا .. هيا .. أوصل جهاز البثّ الرئيسى بشبكة الاتصال هنا .

قالت (مشيرة) فى حِدّة :

ـ قُل لى يا رجل : ألم تلحظ أنك تتقمَّص دور القائد بأسلوب فجّ ، أشبه بتمثيلية هزلية ، فى مدرسة ابتدائية قديمة ؟

رمقها بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ كلا .. لم ألحظ ذلك .

قالت فى غضب :

ـ فلنبدأ الآن إذن .

أجابها فى برود :

ـ لا وقت لذلك .

أطلقت هتافًا ساخطًا ، ثم اتجهت لتتم الجزء الخاص بها من المهمّة ، وظهرت من خلفها (سلوى) ، وهى تبتسم قائلة :

ـ قُل لى حقًا يا (فارس) .. لماذا تتصرَّف هكذا ؟

اختلس النظر إلى (مشيرة) ، ليتأكَّد من أنها لا تسمعه ، ثم أجاب فى صوت خافت :

ـ لأننى خائف .

حدّقت (سلوى) فى وجهه بدهشة ، فى حين هتفت (نشوى) :

ـ خائف ؟!.. أنت ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. لقد سارت المهمّة على ما يرام ، حتى هذه اللحظة ، وهذا فى حدّ ذاته يقلقنى .

ابتسمت (سلوى) فى حنان ، وهى تتمتم :

ـ أنت تشبهنى فى هذه النقطة .

ثم تلفَّتت حولها ، مستطردة :

ـ إننى أتمنَّى مغادرة هذا المكان بأقصى سرعة ..

أجابها فى توتُّر :

— سنفعل يا سيّدى .. سنفعل بإذن الله ..
ولكنه فى أعماقه لم يكن واثقًا من ذلك ..
لم يكن واثقًا أبدًا ..

* * *



٩ـ الرَّاية ..

تطلّع (نور) إلى جثة (بودون) لحظات ، ثم التفت إلى (كوماد) ، الذى بدا شديد الغضب والغيظ ، وسط الرجال الثلاثة الباقين ، من رجال (نور) ، وإن لم يمنعه هذا من أن يقول لبطلنا فى حِدّة :

— والآن ماذا ستفعل أيها الرائد .. هل ستقتلنى ؟

أجابه (نور) فى حزم :

— كنت أتمنّى ذلك .

ثم أضاف فى حنق :

— ولكننى لن أفعل .

أدهش الجواب (كوماد) حقًا ، فشريعته لم تكن تدرك مثل هذا النوع من التسامح ، ممّا جعله يتمتم فى توتّر :

— هل ستحاول انتزاع بعض المعلومات منّى أوّلًا ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

— ولا هذا أيضًا .

هتف (كوماد) فى حِدّة :

— ماذا ستفعل بى إذن ؟

بلغت دهشته ذروتها ، عندما أجابه (نور) :

— سأطلق سراحك .

حدّق (كوماد) فى وجهه بذهول حقيقىّ ، قبل أن يغمغم :

— تطلق سراحى ؟!

أجابه (نور) فى هدوء :

— نعم .. سأطلق سراحك يا (كوماد) ؛ لأن هذا سيكون أبشع عقاب تتعرّض له . يكفى أننا قد خدعناك ، وأوهمناك بأن مخبأنا السرّى على مقربة من هنا ، ودفعناك إلى استدعاء كل حرّاسك ، وأبدناهم عن آخرهم .

شعر (كوماد) بمرارة حقيقية ، وهو يهتف :

— اللعنة !!

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

— ولكننا سنقيّدك برتاج إلكترونى خاصّ أيها الوغد ، سيحلّ من تلقاء نفسه فى العاشرة والنصف صباحًا .

تطلّع (كوماد) إلى وجهه فى توتّر ، وهو يقول :

— ولماذا العاشرة والنصف ؟

ابتسم (نور) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— ستدرك حينذاك .

ثم أشار إلى أحد رجاله ، فأحاط معصم (كوماد) الأيمن بذلك الرّتاج الإليكترونى الموقوت ، وقيّد الطرف الآخر للرّتاج إلى جزء بارز ، فى حائط المبنى المجاور ، وقال (نور) :

— هيّا يا رجال .. هكذا تنتهى مهمّتنا .

وابتعد مع الرجال الثلاثة ، وهو يستطرد فى حزن :

— سنحمل جثث قتلانا بالطبع .

صاح به (كوماد) فى حنق :

— اسمع أيها الرائد الأرضىّ .

التفت إليه (نور) ، وهو يقول فى هدوء :

— ماذا تريد أيها الوغد ؟

صاح به (كوماد) فى توتّر بالغ :

— لقد أخطأت بتركى على قيد الحياة ، فهذا سيضاعف من كراهيتى لك ، وغضبى عليك ، وعندما نلتقى فى المرّة القادمة سأقتلك .

تطلّع إليه (نور) فى هدوء ، وقال :

— لن يغيّر هذا من الأمر شيئًا .

صرخ (كوماد) :

ــ سأقتلك .. سأقتلك .

ولكن (نور) تجاهله تمامًا ، وهو ينحني ليحمل جثة (بودون) ، ثم يبتعد ، ويبتلعه الظلام في بطء ..

* * *

« لماذا ؟!!.. » .

هتف (فارس) في ضيق ، عندما التقى بـ (نور) في المقر السرّيّ ، واستطرد في مرارة :

ــ لماذا فعلنا كل هذا ؟. لقد فقدنا أكثر من نصفنا ، لنرفع علم دولتك فوق مقر قيادة (كوماد) .. وأنت نجحت في أسر هذا الحقير ، ولكنك لم تلجأ إلى التخلُّص منه ، فهل يستحق ما فعلناه أرواح رفاقنا ؟

أطرق (نور) برأسه ، وأطلّت من عينيه نظرة حزن ، وهو يقول :

ــ نعم .. إنه يستحق .

صاح (فارس) في مرارة :

ــ كيف ؟

تنهّد (نور) في عمق ، وهو يقول :

ــ عندما تشاهد ما سيحدث في الصباح ، ستدرك أنه يستحق .

لوّح (فارس) بذراعه ، هاتفًا :

ــ أشك في ذلك .. كان ينبغي أن نقتل (كوماد) .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يقول :

ــ ربّما .. ولكن من الخطإ أن تنظر إلى مثل هذه الأمور بمنظور شخصيّ .

هتف (فارس) :

ــ عجبًا !!.. ألم تفعل أنت ؟.

رفع (نور) حاجبيه ، متمتمًا في دهشة :

ــ أنا ؟

صاح (فارس) :

ــ نعم .. عندما استخدمت علَم دولتك .

ابتسم (نور) وهو يغمغم :

ــ لقد أدركت ما تقصده .. في المرّة القادمة سنستخدم علَمًا دوليًا ، يحمل صورة كوكب الأرض فحسب .. هل يريحك ذلك ؟

ارتبك (فارس) ، وهو يتمتم :

— لم أقصد هذا تمامًا .

ابتسم (نور) متمتمًا :

— لا عليك .. إننى أعلم أنك لم تقصده .

ثم التفت إلى (محمود) ، يسأله فى اهتمام :

— المهم الآن هو أين ذهب (رمزى) والدكتور (حجازى) يا (محمود) ؟

تمتم (محمود) :

— لست أدرى فى الواقع يا (نور) .. كل ما أعلمه هو أنهما قد ذهبا ، مع كل الأسرى ، إلى مكان يُطلق عليه (كوماد) اسم الجحيم .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتمتم :

— الجحيم ؟!.. ياله من اسم !!.. ألم تعلم أين هو بالضبط ؟

هزّ رأسه نفيًا ، فتنهّد (نور) ، واعتدل مغمغمًا :

— تُرى أين هذا الجحيم الملعون ؟.. أهو سرُّ اختفاء الرجال المستمر ؟.. أهو .....

قاطعته (نشوى) ، وهى تهتف فى لهفة :

— لقد حانت اللحظة يا أبى .

التفت إليها فى دهشة :

أشارت إلى ساعة معصمها ، هاتفة فى حماس :

— إنها العاشرة .. لحظة البثّ .

أسرع كل من بَقِىَ حيًّا يراقب شاشة الراصد ، التى ظهرت عليها صورة (مشيرة) ، وهى تقول فى توتُّر واضح :

— مرحبًا أيها السادة .. اليوم يبدأ بث برامجنا بخبر واحد .. لقد حقَّقت المقاومة نصرًا جديدًا فجر اليوم ، وهزمت القائد (كوماد) ورجاله .

انتقل المشهد فجأة إلى صورة مقر قيادة (كوماد) ، والعلم المصرى يرفرف فوقه ..

وفى كل أنحاء العالم ، خفقت القلوب إكبارًا وسعادة ..

وفى مركز المراقبة الإمبراطورى ، اتسعت عينا الإمبراطور (آغرو) ، وهو يهبّ من فوق عرشه البلّورى ، هاتفًا فى غضب وثورة هائلين :

— ماذا ؟!.. اللعنة !!.. كيف فعلوا هذا ؟!.. أين كان ذلك الحقير (كوماد) ؟

هتف الحكيم (جلاكس) فى توتُّر :

— مُرْ رجالنا بإيقاف البث على الفور يا مولاى ، فسيؤدى هذا الإرسال إلى اضطرابات عنيفة .

صاح الإمبراطور فى ثورة :

ـــ سأفعل أيها العجوز .. سأفعل .

وتقاطر حنق الدنيا كلها مع حروف كلماته ، وهو يتابع :

ـــ وسأقتصّ من هذا الحقير (كوماد) فيما بعد .. أقسم أن أفعل .

أما فى مقر المقاومة السرى ، فقد تمتم (فارس) فى حماس :

ـــ إنه يستحق .

سأله (نشوى) :

ـــ ماذا تقول ؟

هتف فى حماس :

ـــ أقول إن هذا يستحق .. لم يعُد ذلك العَلَم مصريًا فى نظرى .. لقد صار عالميًا .. أىّ عَلَم كان يكفى لتأكيد الفكرة .. فكرة المقاومة .

تهللت أساريرها ، وهو يهتف :

ـــ ستبقى المقاومة ، ولن تستسلم الأرض أبدًا .. إن هذا العَلَم يَعْنى لى الآن رمزًا للصراع .

وامتلأت نبراته بالحزم والحماس ، وهو يستطرد :

ـــ والتحدّى ..

نعم ..

كانت تلك المرحلة قد حانت ، وفرضت نفسها على الأحداث ..

مرحلة الصّراع ..

والتحدّى ..

* * *

[انتهى الجزء الثالث بحمد الله ، ويليه الجزء الرابع]

(التحدّى)

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

المؤلف



د. نبيل فاروق

الصراع

- ما مصير فريق المقاومة ، الذى أنشأه (نور) ؟
- هل ستحدث مواجهة أخرى مع الغزاة ؟
- من سينتصر هذه المرة ؟.. ومن ذلك الزائر الفضائى ، الذى جاء ليشارك فى (الصراع) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وواصل قتالك مع (نور) ورفاقه ، من أجل الأرض .

٧٨



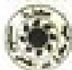
الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : التحدى

روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

سري جداً !!

٧٩

التَّحدِّى



١ ــ القهــر ..

« انتبهو يا سكّان الأرض » ..

دوّى ذلك النداء ، عَبْرَ شاشات الرصد ، فى جميع أنحاء الكرة الأرضية ، بكل اللغات المعروفة ، فى آن واحد ، كصاعقة مباغتة مخيفة ، تردّدت فى القلوب المرتجفة ، لشعب الأرض المقهور ، الذى يرزح تحت نير الاحتلال الفضائى اللعين ، وتوقّف كل مخلوق أرضى عن عمله ، وانتبه الجميع إلى ذلك النداء ، الذى يحمل صوت (كوماد) ، قائد قوات الاحتلال (الجلوريالى) للأرض ، وتوجّسوا خيفة ، فى تلك اللحظات القصار من الصمت ، التى أعقبت العبارة ، قبل أن يتابع هو فى صرامة غاضبة ، ساخطة مُحْنَقة :

ــ منذ لحظة إلقاء هذا البيان ، نعتبر المخرّبين الأرضيين ، الذين يطلقون على أنفسهم اسم (المقاومة الأرضيّة) ، هم أعدى أعداء نظام إمبراطورنا العظيم ، وأن الانتماء إليهم ، أو تأييدهم ، أو حتى ذكر اسمهم ، يُعَدّ جريمة عقوبتها الإعدام سحقًا .

سَرَت ارتجافه رُعب فى قلوب الجميع ..

كان من الواضح أن (كوماد) قد بلغ ذِرْوَة غضبه وثورته ..

وكان من الواضح أنه قد قرّر رفع درجة القهر والتعنّت ..

ولقد سَرَت موجة قلق عارمة فى النفوس ، وهو يستطرد :

— لقد تقرّر بدء فترة حظر التجوال من الثامنة مساءً ، وليس من العاشرة ، وستستمر يوميًا حتى العاشرة من الصباح التالى ، وسيتم سحق كل من يخالف ذلك ، حتى ولو كان أحد جنود (جلوريال) .. واعتبارًا من هذه اللحظة سيتم إلقاء القبض على من لا يحمل بطاقة التجوال الخاصة ، وإعدامه على الفور ، وسيحصل كل من يبلغنا بأيّة معلومات عن المقاومة ، على مكافأة سخيّة ، وعلى بطاقة خاصّة ، تتيح له حرّية التجوال والتنقّل .. هذا للعلم والتنفيذ الفورىّ ، والمجد .. كل المجد لـ (جلوريال) ، ولإمبراطورنا العظيم .

انتهى البيان ، وساد صمت تام فى كوكب الأرض ..

لقد بدأ عهد جديد من الاحتلال ..

ومن القهر ..

* * *

كان ذلك العهد نتاج مرحلة رهيبة من تاريخ كوكب الأرض ..

مرحلة بدأت بسيل من النيازك ، التقطه راصد مركز الاستشعار الفضائى المصرى ، وحذّر من اتجاهه نحو الأرض ..

وساد الذُعر فى كل كوكبنا ..

وراح سيل النيازك يقترب فى سرعة رهيبة ..

ثم جاء الرُعب الحقيقى ..

لم ترتطم تلك النيازك بالأرض ، بل هبطت فوقها فى هدوء ، واستقرّت على نحو بالغ التنظيم والتعقيد ، فى كل القارات والدول ، ولم تلبث أن أحيطت بعدد من القباب الوردية ، مع اقتراب نيزك هائل من مجالنا الأرضىّ ..

وفجأة ، هاجم النيزك الهائل كل الأقمار الصناعية المحيطة بالأرض ، الدفاعية منها والهجومية ، وتلك المعدّة لتحسين وسائل الاتصالات .. وحطّمها عن آخرها .. بل دكّها دكًّا ..

وفى نفس اللحظة بدأ الاحتلال ..

تحوّلت كل القباب الوردية إلى اللون الأزرق ، وانطلقت منها مئات الآلاف من مقاتلات فضائية رهيبة السرعة ، تُطلق أشعة أرجوانية ساحقة ، راحت تطيح بكل معالم الحضارة على وجه الأرض ..

كل دور الكتب حُطِّمت ..

كل وسائل الاتصالات انسحقت ..

كل المتاحف ..

كل المسارح ..

كل مراكز الكمبيوتر والمعلومات ..

فى ساعات ضاعت حضارة قرون ..

فى دقائق انهار التقدُّم ..

ووسط كل ذلك الخِضَمّ ، انطلق (نور) مع زوجته وابنته ، يبحثون عن رفاق الفريق ..

وعثروا على (محمود) فقط ..

وانطلق الأربعة إلى مقر قيادة المخابرات العلمية ، فى محاولة للبحث عن وسيلة أخيرة ، للتصدِّى للغزاة ، ووجدوا هناك القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، مع الدكتور (عبد الله) ، مدير مركز البحث العلمى ، التابع للمخابرات ..

وأعطى القائد الأعلى لـ (نور) حقيبة خاصَّة ، تحوى ، مكعبات كمبيوترية مبرمجة ، بها كل تاريخ وحضارة وفنون وعلوم وآداب كوكب الأرض ..

وكانت تلك الحقيبة هى أمل الأرض الأخير ، فى استعادة حضارتها يومًا ..

وانطلق (نور) ورفاقه داخل نفق سرّى خاصّ ، فى نفس اللحظة التى راح القائد الأعلى يواجه فيها الغزاة ، مع الدكتور (عبد الله) ..

وفاز الغزاة بالجولة الأولى ، وارتفع علمهم الأزرق ، ذو الدائرة الحمراء ، فى كل أنحاء الأرض(*) ..

ومضى عام كامل على الاحتلال ..

وتحوّل (نور) إلى أسطورة ، يُتغنَّى بها ، وينتظرها كل سكّان الأرض ..

وطوال ذلك العام ، راح الغزاة يبحثون عن (نور) فى شراسة وعنف ..

وتفتق ذهن (كوماد) ، قائد جيش الغزاة ، عن فكرة جهنمية ؛ لإجبار (نور) على الظهور ، وإرضاء إمبراطوره (آغرو) ، الذى آلى على نفسه ـ لسبب ما ـ أن يقضى على (نور) ، مهما كان الثمن ..

وأعلن (كوماد) أنه سيعدم والدى (نور) ..

واتخذ العدة لذلك ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

وهنا كان على الأسطورة أن تنتقل إلى عالم الواقع ..

وظهر (نور) ..

ظهر في مشهد خرافيّ أسطوريّ ، شاهده كل سكّان الأرض ..

وكان مولدًا للمقاومة ..

ونصرًا ..

انتصر (نور) ..

أنقذ أبويه ، وعثر على رفيقيه (رمزى) والدكتور (حجازى) ..

وأعلن بدء مقاومة الغزاة ..

وجُنّ جُنون الإمبراطور (آغرو) ..

واشتعل غضب (كوماد) ..

وانطلقت كل عيون الحراسة للقضاء على (نور) ..

وعبْر جهاز ناقل ، فرّ (نور) من أمام الغزاة ..

وبدأ عهد جديد ..

عهد المقاومة(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الثاني (المقاومة) .. المغامرة رقم (٧٧) .

وأعلن الإمبراطور (آغرو) الحرب الشعواء على (نور) ..

وأسفر (كوماد) عن وجهه البغيض ..

وقرّر (نور) ألا تتوقّف المقاومة أبدًا ، وأن تواصل حربها ضد الغزاة ..

وراح (كوماد) يستجوب رفاق (نور) في شراسة ..

وأرسل (رمزى) والدكتور (حجازى) إلى جحيم أرضيّ غامض مجهول ..

وعرّض (محمود) لعذاب رهيب ..

وبرز (نور) مرّة أخرى ، وانضمّ إليه (بودون) ، المقاتل (الأرغوانى) الصنديد ..

وأعلنت المقاومة أنها ما زالت تقاتل ..

وانضمّ إلى الفريق بطلٌ جديد ..

(فارس) ..

مقاتل سعودى باسل ، وطيّار حربيّ سابق ..

وانتصرت المقاومة في جولتها الثانية ، وخسرت (بودون) .

وارتفع علم (مصر) فوق مقرّ قيادة (كوماد) ..

واستعاد (نور) رفيقه (محمود) ..
وأعلن بدء مرحلة جديدة ..
مرحلة الصراع ..
والتحدّى(*) ..

* * *

« لقد انهزمت يا (كوماد) » ..

أطلق الإمبراطور (آغرو) تلك الصرخة فى غضب هادر ، وثورة بالغة ، وهو يهبُّ من عرشه الإمبراطورىّ البلّورىّ ، داخل مركز قيادة الاحتلال ، فى صحراء (مصر) الغربية ، فتمتم الحكيم (جلاكس) ، وهو ينقّل بصره فى قلق ، بين وجه إمبراطوره الثائر ، ووجه قائد الجيوش الغاضب :

ـ الحرب سجال يا مولاى ، والعبرة بالنهاية .

صاح الإمبراطور هادرًا :

ـ أية نهاية ؟.. إن ذلك الرائد الأرضىّ ينتصر فى كل مواقعه وجولاته حتى الآن .. وقائد جيوشنا العظيم يخسر على طول الخط .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الثالث (الصراع) .. المغامرة رقم (٧٨).

انعقد حاجبا (كوماد) فى شدة ، وهو يقول فى غضب :

ـ ماذا تريد بالضبط يا مولاى ؟

حدّق الإمبراطور فى وجه (كوماد) بدهشة ، لم تلبث أن استحالت إلى غضب هادر ، وهو يهتف :

ـ ماذا أريد ؟!.. ويْحك يا (كومـــاد) !!.. ماذا أصابك ؟.. كيف تجرؤ ...... ؟

قاطعه (كوماد) فى حدّة :

ـ أجرؤ على ماذا ياسيّدى ؟.. إننى أشعر وكأننى لا أواجه إمبراطورى العظيم ، الذى نشأ فى شعب محارب ، اعتاد مواجهة النصر والهزيمة بالروح نفسها .. ألم نخسر حروبنا مع (أرغوران) من قبل؟!.. ماذا حدث بعدها؟.. لقد صبرنا وثابرنا ، حتى تحقّق لنا النصر عليه ، وانتقلنا منه إلى الأرض .. وليذكر مولاى أنه هو الذى قرّر بدء الحملة على الأرض ، مخالفًا كل نصائح الحكماء والخبراء ..

صاح الإمبراطور فى غضب :

ـ إنها إرادتى السامية .

هتف (كوماد) فى حدّة :

ـ فقط ؟!

انعقد حاجبا الإمبراطور فى شدة ، وهو يرمق (كوماد) بنظرة ثائرة ، قائلًا :

ـ ماذا تعنى يا قائد الجيوش ؟

لوّح (كوماد) بذراعه ، هاتفًا :

ـ أعنى أننى أشعر فى بعض الأحيان أن الهدف الحقيقى لحملتنا على الأرض كان هذا الأرضىّ فحسب .

رَانَ صمت مهيب بضع لحظات ، ثم قال الإمبراطور فى صوت هادئ ، بخلاف المتوقّع :

ـ أى قول أحمق هذا يا قائد الجيوش ؟.. أتظن أننى قد حشدت الجيوش الإمبراطورية الفضائية ، وأعددت خطة هذه الحملة ، بكل ما تتكبّده من مشاقّ ونفقات ، من أجل شخص أرضىّ واحد ، لم ألتق به فى حياتى أبدًا ؟

قال (كوماد) فى توتّر واضح :

ـ أحقًا ؟!

عاد الإمبراطور يعقد حاجبيه ، قائلًا :

ـ أحقًا ماذا يا (كوماد) ؟

بدا صوت (كوماد) مُفعَمًا بالتوتّر والحَنَق ، وهو يُجيب :

ـ أحقًا لم تلتق به من قبل يا مولاى ؟

سَرَت ارتجافة عجيبة فى جسد الحكيم (جلاكس) ، عند هذه النقطة بالذات ..

لقد كان هذا السؤال يؤرّقه بالفعل ..

هل التقى إمبراطوره بـ (نور) هذا من قبل ؟..

ولم يحصل (كوماد) على جواب سؤاله ..

وكذلك الحكيم (جلاكس) ..

هذا لأن الإمبراطور لم يجب ..

لقد تجمّدت ملامحه لحظة ، ثم حملت صرامة الدنيا كلها ، وهو يقول :

ـ أخطأت يا (كوماد) .

ارتجف (كوماد) على الرغم منه ، وهو يتمتم مرتبكًا :

ـ معذرة يا مولاى .. إننى لم أقصد ..

قاطعه الإمبراطور فى حزم مخيف :

ـ لقد تركت هذا الأرضى يهزمك مرّتين ، وكان ينبغى أن أعدمك لذلك .

تمتم (كوماد) فى رَهْبة :

ـ مولاى.. إننى .....

قاطعه الإمبراطور مرّة أخرى ، فى صوت مخيف :

ـ سأغفر لك ذلك يا (كوماد) ، ولكن مغفرتى هذه مشروطة يا (كوماد) .. مشروطة بهدف واحد ..

وتحوّل صوته إلى كتلة من الجحيم ، وهو يستطرد :

ـ أن تحضر لى هذا الأرضى حيًا .. أو ميتًا ..

* * *



وتحوّل صوته إلى كتلة من الجحيم ، وهو يستطرد :
ـ أن تحضر لى هذا الأرضى حيًا .. أو ميتًا ..

٢ — الهجوم الثالث ..

تضافرت حواس (نور) ، واتحدت كلها فى أذنيه ، وهو يستمع إلى (محمود) فى انتباه كامل ، وهو يقصّ عليه ما حدث ، منذ وقع فى أسر (كوماد) ، حتى حرّره هجوم المقاومة الثانى ، ولم يكد (محمود) ينتهى من روايته ، التى قاطعتها تأوّهاته عشرات المرّات ، و (نشوى) تضمّد جراحه ، وآثار القيود الكهربية فى معصميه ، وكاحليه ، حتى ران على المكان صمت عميق ، وانعقد حاجبا (نور) على نحو أكثر عمقًا ، قبل أن تغمغم (سلوى) فى إشفاق واشمئزاز :

— يا للوحشية !!

أدار (نور) عينيه إليها فى هدوء ، ثم عاد يتطلّع إلى (محمود) فى صمت ، قبل أن يشبّك أصابع كفّيه أمام وجهه ، مغمغمًا فى رصانة :

— إذن فـ (كوماد) وإمبراطوره وجيشه مازالوا يجهلون مقرّنا السرّى ..

لم يجبه أحدهم ، فنهض من مقعده ، وهو يستطرد فى جدّية بالغة :

— ولقد أرسل (رمزى) والدكتور (حجازى) إلى مكان ما ، أطلق عليه اسم (الجحيم) ، وأشار إلى أن إمبراطوره الغامض يسعى جاهدًا لإقامته ، فى مكان ما من أرضنا ، ولغرض خفىّ فى نفسه ..

صمت لحظة أخرى ، ثم زفر متمتمًا :

— يا للغموض !!

عقد (فارس) حاجبيه بدوره ، وهو يقول :

— وما الذى يقلقك فى هذا أيها القائد ؟!.. من الواضح أن هؤلاء الغزاة لم يحتلّوا كوكبنا عبثًا ، وأن لهم هدفًا لذلك حتمًا .

لوّح (نور) بسبّابته ، قائلًا :

— معرفة الهدف أمر بالغ الأهمية يا (فارس) ، حتى ولو بدا غير ذلك .

سأله (فارس) فى توتّر :

— وما أهميته ؟

أجابه (نور) على الفور :

— إنه المؤشر الوحيد لمعرفة طبيعة العدوّ ، وأسلوب تفكيره .

أضافت (نشوى) :

— ولا تنس أننا نجهل — حتى الآن — ما الذى يفعله الغزاة بأسراهم ، وإلى أين يأخذونهم ؟.. ولماذا ؟

مطّ (فارس) شفتيه ، ولوّح بكفّه ، مغمغمًا :

— لا أظن ذلك يصنع فارقًا كبيرًا ..

شرد (نور) لحظات ، قبل أن يتمتم :

— ربّما .

ثم التفت إليه ، قائلاً :

— وهذا لايمنع مع محاولة سَبْر غَوْر العدوّ .

شرد (نور) لحظات أخرى ، ثم أضاف :

— والقيام بهجوم ثالث عنيف .

تألقت عينا (فارس) فى حزم ، وهو يقول فى حماس :

— هذا هو القول .

ثم أضاف فى انفعال حماسىّ بالغ :

— كيف تقترح أن يكون الهجوم الثالث أيها القائد ؟.. هل نهاجم مركز القيادة الإمبراطورى ؟.. أم نرفع علمنا فوق ......؟

قاطعه (نور) فى حزم :

— إننى أسعى للفوز بنقطة قوة يا (فارس) .

ازداد تألق عينى (فارس) ، وهو يقول :

— كيف ؟

تنهّد (نور) ، وقال :

— لقد نجحت المقاومة فى الفوز بالهدف الأوّل لوجودها .. ألا وهو إثبات قُدرتها على الصمود والتحدّى ، والآن حان موعد خوض الهدف الثانى .

سأله الجميع فى آن واحد بشغف :

— ما هو ؟

فرد كفّه ، ولوّح بها ، قائلاً :

— أن نسعى لضبط ميزان القوى .

انتهت عبارته ، فخيّم صمت مريب على المكان ، وتبادل الجميع نظرات قلقة ، إلى أن غمغمت (سلوى) :

— ولكن هذا مستحيل يا (نور) فى الوقت الحالىّ على الأقل .

أجاب فى حماس :

لماذا ؟!.. لقد نجحنا فى صنع أزياء تنكّرية إليكترونية ،

تخدع حتى عيونهم الحارسة ، وأجهزة مراقبتهم ، وحصلنا على بنادق أشعة تخصّهم ، ولم يَعُد ينقصنا سوى بطاقات الأمن الخاصّة بهم ، وإحدى عيونهم الحارسة ، و .....

صمت لحظة ، التهب فيها شوق الجميع ، قبل أن يضيف :

ـــ وبعض مقاتلاتهم .

هتفت (سلوى) فى ذهول :

ـــ مقاتلاتهم ؟!

واتسعت عينا (محمود) ، وعقدت (نشوى) حاجبيها غير مصدّقة ، فى حين هتف (فارس) فى حماس :

ـــ فكرة رائعة أيها القائد .

هتفت (نشوى) فى حِدّة :

ـــ ولكنها مستحيلة تمامًا .

التفت إليها (نور) ، وهو يسألها فى هدوء :

ـــ لماذا ؟

لوّحت بذراعيها صائحة :

ـــ هناك ألف سبب .. فبطاقات الأمن الخاصّة بهم مصنوعة من مادة غير أرضية ، ويستحيل تزويرها ، كما أن تجربتنا مع عيونهم الحارسة تؤكّد أنها مزوّدة بجهاز تفجير خاصّ ، مازلنا نجهل طبيعته ، حتى يمكننا إبطال عمله ،

أو حتى تجميده ، ومقاتلاتهم هى عقدة العقد ، فهم يحتفظون بها داخل تلك القباب الوردية المخيفة ، التى عجزت قواتنا فى السابق عن اقتحامها ، قبل أن يبدأ الاحتلال الفعلى .

ابتسم فى هدوء ، وقال :

ـــ كل هذه أمور يمكن تجاوزها .

تبادل الجميع نظرة الذُّهول مرّة أخرى ، قبل أن تهتف (سلوى) :

ـــ ماذا تقول يا (نور) ؟

اعتدل ، قائلًا فى حزم :

ـــ أقول إنها معركة ، بيننا وبين الغزاة ، وفى كل المعارك تكون هناك عقبات وحواجز ، وسدود يستحيل اجتيازها ، والنصر أو الهزيمة يتوقفان على الجانب الذى قَبِلَ التحدّى ، وتجاوز العقبات والحواجز والسُّدود .

قال (فارس) فى هدوء :

ـــ أو على فشله فى ذلك .

تطلّع إليه (نور) لحظات فى صمت وهدوء ، قبل أن يقول :

ـــ ربّما .

ثم ابتسم ، وهو يضيف فى بساطة :

ــ وفى الحالين لافارق .. الفارق الوحيد هو فى قبول التحدّى من عدمه .

ران الصمت لحظات أخرى ، قبل أن تغمغم (نشوى) .

ــ هذا يتوقّف على دراسة الأمر ، والخُطّة الموضوعة .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح .

تبادل الجميع النظرات ، ثم عقد (محمود) حاجبيه ، وهو يقول فى حزم :

ــ ومتى سنبدأ ؟

هتفت (سلوى) و (نشوى) فى آن واحد :

ــ نعم .. متى ؟

ابتسم (فارس) ، وهو يقول .

ــ رائع .. هذا يعنى أن الفريق كله قد قَبِلَ مهمّة إعداد الهجوم الثالث .

تألّقت عينا (نور) ، وهو يقول فى حماس :

ــ وقبل التحدّى ..

* * *

٣ ــ لُعبة الغزاة ..

كانت عينا (كوماد) الحمراوين تبدوان كجمرتين مُتقدتين ، وهو يتطلّع بهما ، عَبْرَ زجاج نافذة مقره الجديد ، عندما عَبَرَ أحد جنوده حجرته الواسعة فى خطوات عسكرية قوية ، وتوقّف خلفه ، ورفع قبضته بامتداد جسده ، قائلًا فى قوة ، وبلغة (جلوريال) :

ــ المجد للإمبراطور (آغرو) العظيم .

ظلّ (كوماد) صامتًا لحظات ، ثم التفت إلى الجندىّ فى بطء ، وهو يقول فى لهجة تحمل نبْرة تحدٍّ واضحة :

ــ المجد لـ (جلوريال) .

بدت الدهشة على وجه الجندى لحظة ، وبدا وكأنه سيبدى اعتراضه على عبارة قائده ، إلّا أنه لم يلبث أن قرّر التخلّى عن ذلك ، وعدم الخوض فى مجادلات عقيمة ، ومتاهات معقّدة مع قائده ، واكتفى بأن قال :

ــ تم تنفيذ الأوامر ياسيّدى القائد .

تألقت عينا (كوماد) وهو يقول :

ــ هل عثرتم عليهما ؟

أومأ الجندى برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا سيِّدى .. كانا هناك ، فى الجحيم الإمبراطورىّ .. إنهما أوَّل أسيرين ذهبا إليه .

هتف (كوماد) :

ــ رائع .

ثم أضاف فى سرعة تشفُّ عن لهفته :

ــ أحضر أحدهما إلى هنا ، ولتوضع حراسة مكثَّفة حول الثانى ، حتى أنتهى من استجواب زميله .

اعتدل الجندى ، وقال فى قوة :

ــ كما تأمر يا سيِّدى .

ثم رفع قبضته المضمومة أمام وجهه ، هاتفًا :

ــ المجد لـ .....

بتر هتافه بغتة ، عندما لمح ذلك الغضب الصارم ، فى عينى قائده الدمويتين ، وتردَّد لحظة ، ثم أضاف فى خفوت :

ــ لـ (جلوريال) .

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفتى (كوماد) ، وهو يقول :

ــ أحسنت ..

انعقد حاجبا الجندىّ ، دلالة على عدم تقديره أو فهمه للموقف ، ودار على عَقِبَيْه ، وغادر حجرة قائده ، الذى ظلَّ ثابتًا ، ينتظر فى شغف ، حتى دفع أحد جنوده بشريًّا إلى حجرته ..

وتألقت عينا (كوماد) فى ظفر ..

كان هذا البشرىّ الأرضىّ يبدو شديد الإنهاك ، زرِىَ الهيئة فى شدة ، وكان من الواضح أن جسده قد نحل ، خلال ذلك العام ، الذى مضى على أسره ، مع احتلال الأرض كثيرًا ، حتى لقد اختلفت هيئته ، وتباينت ملامحه على نحو ملحوظ ، مما جعل (كوماد) نفسه يعود إلى إحدى الصورتين ، اللتين انتزعهما من ملف (نور) ، قبل أن يرفع عينيه إلى الرجل ، قائلاً فى صرامة :

ــ تقدَّم .

تطلَّع إليه الأرضى بعينين حذرتين ، أضاع القهر والأسر بريقهما ، قبل أن يتقدَّم نحوه فى توتُّر ، فأضاف (كوماد) فى لهجة آمرة :

ــ اجلس .

تطلّع إليه الأرضى مرّة أخرى فى حذر وريبة ، وهو يغمغم فى عصبيّة جمتها غرابة الموقف :

— لماذا ؟

أجابه (كوماد) فى حدّة :

— أطع أوامرى فحسب .

حاول الأرضى أن يبتسم ، إلا أن الهوان الذى ملأ أعماقه لم يمنحه القدرة على ذلك ، فجلس صاغرًا ، ورفع عينيه إلى (كوماد) ، الذى أضاف فى لهجته الحازمة القاسية ، التى بدت غير قابلة للنقاش :

— إننى أملك ملفًا كاملًا عنك .

لم يفهم الأرضى ما يعنيه ذلك ، أو ما فائدته ، إلا أنه غمغم فى حيرة :

— وماذا بعد ؟

جلس (كوماد) ، وحدجه بنظرة صارمة قاسية ، وهو يقول :

— لقد كنت صديقًا للرائد (نور) .. أليس كذلك ؟

ارتسمت على شفتى الأرضى ابتسامة باهتة ، واهنة ، وهو يجيب :

— لو أنك تملك ملفًا كاملًا عنّى ، فلا ريب أنك لا تحتاج للجواب ، لأنّ المفترض أنك تعلمه بالفعل .

أجابه (كوماد) فى صرامة :

— هذا صحيح .

وضرب الملف بكفّه ، مستطردًا :

— إننى أعلم كل الأجوبة .

ثم مال نحو الأرضىّ ، مضيفًا فى حِدّة :

— اسمك (عبد المنعم) .. الدكتور (عبد المنعم) ، ولقد كنت نائبًا لمدير إدارة البحث العلمى ، التابعة للمخابرات العلمية المصرية السابقة ، وصديقًا شخصيًّا للرائد (نور) .

تمتم الدكتور (عبد المنعم) ، وقد تضاعفت حيرته :

— هذا صحيح ، ولكننى لم أخفِ شيئًا من هذا .

تابع (كوماد) فى صرامة ، وكأنه لم يسمع تعقيب الدكتور (عبد المنعم) :

— ولقد تم أسرك ، مع نائب القائد الأعلى السابق للمخابرات العلمية ، فى مقرّ تلك المخابرات ، فى أوّل أيام الاحتلال .. وفى اليوم نفسه اختفى الرائد (نور) .



انقضّ عليه (كوماد) بغتة ، وقبض على عنقه فى قوة وقسوة ..

ومال نحوه فجأة ، مردفًا فى حِدّة غاضبة :

ـــ والسؤال هو أين ؟

تراجع الدكتور (عبد المنعم) فى توتُّر ، وهو يغمغم :

ـــ أين ماذا ؟

ضرب (كوماد) سطح مكتبه بقبضته فى غضب ، وهو يهتف :

ـــ أين اختفى ذلك الرائد الأرضىّ ؟

عقد الدكتور (عبد المنعم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

ـــ وما شأنى أنا بذلك ؟.. لقد أسرتمونى منذ عام كامل ، ولست أدرى أين يختفى الناس ، و .....

انقضّ عليه (كوماد) بغتة ، وقبض على عنقه فى قوة وقسوة ، وهو يهتف فى حَنَق هائل :

ـــ اسمع أيها الأرضىّ .. إخالك تجهل من تخاطب .. إننى (كوماد) ، فارس فرسان البلاط الإمبراطورى الجلوريالى ، وقائد جيوش الغزو .. ولتعلم أننى لن أتردّد فى تمزيقك إربًا ، فى سبيل معرفة مخبأ فريق المقاومة ، الذى يتزعّمه هذا الرائد الأرضىّ .

برقت عينا الدكتور (عبد المنعم) ، وهو يقول :

— فريق مقاومة .. مُزعج .. إذن فقد بدأت المقاومة بقيادة (نور) .. حمدًا لله .

استشاط (كوماد) غضبًا لموقف الدكتور (عبد المنعم) ، فدفعه بعيدًا فى غضب وسخط ، وهو يهتف :

— أيها الأرضىّ الحقير .

ثم هب من مقعده ، صائحًا :

— سنسومك العذاب ألوانًا .. وستركع على ركبتيك طالبًا العفو .

ارتسمت على شفتى الدكتور (عبد المنعم) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول فى حزم :

— عجبًا !!.. أتظن أنك ستقنعنى بإتيان ذلك ، بعد أن فشل عام فى الجحيم فى هذا ؟!

صرخ (كوماد) :

— نعم سأفعل .

ثم عاد يضرب سطح مكتبه بقبضته ، هاتفًا :

— سأفعل أى مستحيل فى هذا العالم ، إلا أن أخسر المعركة هذه المرّة ..

هذا هو المستحيل .. المستحيل الوحيد !!

* * *

« كيف يا (نور) ؟.. » ..

ألقت (سلوى) هذا السؤال فى حيرة تامة ، وتوتر بالغ ، وهى تتطلّع إلى (نور) ، الذى ابتسم فى هدوء ، وأجاب فى بساطة :

— الحرب لخدعة يا عزيزتى .. ولو أننا درسنا الأمر ، مفترضين أننا سنحصل على بغيتنا بالقوة ، فستأتى النتيجة سلبية تمامًا ؛ لأن قوتنا — فعليًا — لا تقارن بقوة الخصم ؛ لذا فمن المحتم أن ندرس الأمر من اتجاه آخر ، ألا وهو الخُدعة .

عادت (سلوى) تكرّر فى إصرار :

— كيف يا (نور) ؟.. حتى الخدعة ليست هيّنة ، عندما نوجّهها نحو هدف .. بل أهداف رهيبة كهذه .

جلس (نور) فى هدوء وبساطة ، وهو يشير إلى رأسه ، قائلًا :

— فلنعتبرها إذن لُعبة ذكاء .. لُعبة نختبر بها أيّنا أكثر ذكاءً .. نحن أم الغزاة ؟

ثم اعتدل مستطردًا فى حزم وجدّية :

— إننا نحتاج إلى اختراق إحدى القباب الوردية ، والحصول على مبتغانا منها ، والعودة سالمين .

ابتسم (فارس) ابتسامة حائرة هذه المرّة ، وهو يقول :

ــ دعْني أسألك أنا هذه المرّة أيها القائد .. كيف ؟

ابتسم (نور) بدوْره ، وهو يقول :

ــ لقد ألقيت هذا السؤال على نفسى ، ودرسته ، ثم توصّلت إلى جواب منطقىّ .

ونهض مستطردًا فى حزم :

ــ وإلى خطة الهجوم الثالث ..

* * *



٤ ــ الخُـدْعة ..

بدا نائب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية فى حالة يُرْثَى لها ، بعد عام كامل من الأسْر والعذاب والقهر ، والعمل فى أعماق الجحيم الإمبراطورى ، حتى أن وجهه كان شديد الشُّحُوب والنُّحول ، وهو يجلس أمام (كوماد) ، الذى بدا ببشرته الخضراء ، وعينيه الحمراوين بلون الدم ، أشبه بشيطان غاضب ، يقول فى ثورة :

ــ اسمع يارجل .. إنك ستعترف بما نريد ، إن عاجلًا أو آجلًا .

تطلّع إليه نائب القائد الأعلى بعينين خابيتين ، وهو يغمغم :

ــ هل اعترف الدكتور (عبد المنعم) ؟

قال (كوماد) فى جِدّة وصرامة :

ــ سيفعل حتمًا .

ارتسمت على شفتى نائب القائد الأعلى ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

— لِمَ تحتاج إلى اعترافى إذن ؟

انعقد حاجبا (كوماد) فى شدة ، وهو يقول :

— اسمعنى جيدًا أيها الأرضى .. إننا نعلم كل شىء عنك ، وعن كونك آخر قادة المخابرات العلمية المصرية ، قبيل الاحتلال .. ونحن على أتم ثقة من أنك تعرف مخبأ المقاومة الحالى .

تمتم نائب القائد الأعلى فى هدوء :

— لماذا ؟

ضرب (كوماد) سطح مكتبه بقبضته فى عنف ، وهو يهتف :

— لأنه من المستحيل أن يكون (نور) هذا قد صنع مخبأ المقاومة ، تحت سمعنا وبصرنا ، وبكل هذه الدقة فى التخفى .. الأكثر منطقية هو أن هذا المخبأ كان موجودًا بالفعل ، وأنك أنت تعلم به .

ثم مال نحو نائب القائد الأعلى ، مستطردًا فى وحشية شرسة :

— وستخبرنى به ، حتى ولو اضطررت لبتر أطرافك كلها ، واحدًا بعد الآخر .

رَانَ الصمت لحظات ، ثم قال نائب القائد الأعلى فى هدوء :

— لا داعى لكل هذا .

تألقت عينا (كوماد) فى لهفة ، ثم لم تلبثا أن استحالتا إلى جمرتين مُتّقدتين باللهب ، ولم يلبث لون بشرته الأخضر أن تحوّل إلى لون زيتونى داكن ، عندما أضاف القائد الأعلى بنفس الهدوء :

— سأخبرك بكل ما أعرف عن هذا الأمر .. بكل شىء ..

* * *

تنهدت (مشيرة محفوظ) ، صحفيّة الفيديو اللامعة سابقًا ، وهى تضع أمام (نشوى) أسطوانة صغيرة ، قائلة :

— أظن هذا هو التسجيل الهولوجرافى الوحيد له .

تمتمت (نشوى) ، وهى تلتقط الأسطوانة فى حرص ، وتدسّها داخل جهاز خاص :

— سيكفى لو أنه واضح .

قالت (مشيرة) فى حزم :

— إنه كذلك .

لم يبدُ على وجه (نشوى) أى انفعال ، إثر كلمة (مشيرة) ، وإنما راحت تتطلّع إلى شاشة الهولوفيزيون أمامها فى شغف ، وهو يعرض صورة مجسّمة ، ثلاثية الأبعاد ، لوجه (كوماد) ، وغمغمت :

— رائع .
سألها (نور) فى اهتمام :
— هل تصلح ؟
أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول فى حماس :
— بالتأكيد .
ثم التقطت الأسطوانة من الهولوفيديو ، ودسَّتها فى تجويف شريطى خاص، أسفل جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تضيف :
— لقد أنتجنا هذه الأقنعة من قبل ، وكل ما نحتاج إليه هو أن ننتج قناعًا يشبه قائد الأوغاد هذا تمامًا .. وسيقوم الكمبيوتر بدراسة ملامحه ، عَبْرَ صورته الهولوجرامية بمنتهى الدقة ، ويضيفها إلى برنامج التصنيع ، ثم ينتج قناعًا مطابقًا لوجهه تمامًا ، وبعدها سنصنع زيًا تنكريًا ينطبق عليه انطباقًا تامًا ، بدراسة جسده وأبعاده ، وحتى درجة حرارته .
وابتسمت فى حماس ، وهى تتابع :
— اطمئن يا أبى .. ستصبح صورة طبق الأصل منه ، بعد ثلاث ساعات على الأكثر .
تنهَّد (نور) فى ارتياح ، مغمغمًا :
— عظيم .
ثم التفت إلى (محمود) ، مستطردًا :

— قل لى .. كم رجلًا لدينا هنا ؟
أجابه (محمود) فى قلق :
— سبعة رجال فقط يا (نور) ، وهذا يشملنا أنت وأنا .. ثم هناك ثلاث نساء : (سلوى) و (نشوى) .. و (مشيرة) .. ولست أظن هذا العدد يكفى يا (نور) .
ارتفع فجأة صوت مرح يقول :
— أهذا العدد يشملنى أيضًا ؟
التفت (محمود) إلى مصدر الصوت ، وقال :
— نعم يا (فارس) .. إنه يشملك أيضًا .
استدار (نور) بدوره إلى (فارس) ، وسأله فى اهتمام :
— متى عدت ؟
أجابه (فارس) مبتسمًا :
— الآن فقط أيها القائد .. ولقد أديت عملى بنجاح ساحق .. لقد اتصلت بكل من تبقَّى حيًا من رجال السِّرب السعودىّ ، وضمنت تعاون أحد عشر نسرًا ، فى لعبة الليلة .
تمتمت (سلوى) فى استهجان :
— لعبة ؟!

ابتسم (نور) وهو يقول :

ـــ نعم يا عزيزي .. لعبة .. لعبة الموت .

* * *

انعقد حاجبا (كوماد) في شدة ، وهو يقول لنائب القائد الأعلى في حنق :

ـــ هلاّ أعدت ما قلته مرة أخرى أيها الأرضي ؟

ابتسم نائب القائد الأعلى ابتسامة واهنة شاحبة، وهو يقول:

ـــ على الرحب والسعة .. قلت لك إن كل ما أعلمه عن مخبأ (نور) هو أنه أحد المخابئ التي أعدتها المخابرات العلمية المصرية قديمًا ، لمقاومة وصد أي غزو فضائي محتمل ، ولكنني لا أعلم أين هذه المخابئ ، ولا كيفية التوصل إليها .

صاح (كوماد) في غضب :

ـــ أنت كاذب .

هز نائب القائد الأعلى رأسه نفيًا في هدوء ، وقال :

ـــ كلا .. لقد أحطنا مشروع هذه المخابئ بسرية مطلقة ، بحيث يستحيل كشف مواقعها ، أيًا كانت الأسباب ، وهذا عن طريق تعريض طاقم العاملين فيها لنوع من التنويم المغناطيسي الإليكتروني المتطور ، وإخضاعهم لغسيل عقل تكنولوجي ،

بحيث ينسى كل منهم كل ما لديه عنها ، فور انتهاء عمله فيها ، ويبقى في النهاية رجلان فقط ، في العالم أجمع ، يعرفان السر ، دون وثائق محفوظة ، أو خرائط مسجلة ، وهما الدكتور (عبد المنعم) ، وأنا .. ولقد تعرضنا أيضًا لتلك الاختبارات ، بحيث انمحت كل المعلومات من ذاكرتينا تلقائيًا ، فور بلوغ (نور) ورفاقه المخبأ ، وهكذا لن تجد في عقلينا أية معلومات، مهما فعلت، حتى ولو مزقت جسدينا إربًا .

بدت المرارة في وجه (كوماد) لحظات ، ثم قال في حدة :

ـــ ولكن هذا مستحيل !.. لا يمكن تكتيكيًا أن تمحو كل المعلومات من الأذهان إلى الأبد .. لابد من وجود خطة بديلة حتمًا ، أو شخص احتياطي ، يعلم كل التفاصيل ، دون أن يدري هو نفسه .

هز نائب القائد الأعلى كتفيه ، قائلاً :

ـــ ربما .. إنني لم أعد أذكر شيئًا .

رمقه (كوماد) بنظرة قاسية ، وهو يقول :

ـــ سيكون هذا من سوء حظك ، فلو أنك لا تذكر شيئًا ، فسيكون من المحتم أن أعيدك ورفيقك إلى هناك ..

وصمت لحظة ، ثم أردف في حدة :

ـــ إلى الجحيم .

* * *


وفجأة ، التقت إحدى دوريّات الغزاة بأخرى .. وكانت مفاجأة حقيقية ..

كان ذلك فى السابعة تمامًا ..

قبل موعد حظر التجوال بساعة واحدة ..

والشمس تميل للمغيب ..

بل لقد غابت بالفعل ، مخلّفة شفقًا متلوّنًا رائع الجمال ..

وكانت دوريات الغزاة تجوب الشوارع والطرقات كالمعتاد ..

وفجأة ، التقت إحدى دوريّات الغزاة بأخرى ..

وكانت مفاجأة حقيقية ..

لم يكن من الممكن أن يحدث هذا أبدًا ، حيث يقوم الكمبيوتر بتوزيع المهام فى دقّة بالغة ، وبأسلوب لا يحتمل الجدل أو النقاش ..

وهتف قائد الدورية الأولى فى حِدّة :

ــ كيف يحدث هذا ؟.. من الخطأ أن ......

بتر عبارته بغتة ، وشحُب وجهه الأخضر ، واستحال إلى لون فستقىّ باهت ، عندما لمح قائده على رأس الدوريّة الثانية ، فاعتدل فى حركة حادّة ، ورفع قبضته أمام وجهه ، هاتفًا :

ــ المجد للإمبراطور (آغرو) .

رفع (كوماد) قبضته أمام وجهه ، قائلًا فى حزم :

ــ المجد له .

أدهشت العبارة قائد الدوريّة ، حيث اعتاد الجميع أن يخالف قائدهم التحية التقليدية ، مقصرًا المجد على كوكبهم (جلوريال) وحده ، من دون إمبراطوره ، فعقد حاجبيه ، وهو يدير بصره فى وجه (كوماد) ، ووجوه الرجال الستة المصاحبين له ، قبل أن يقول فى توتُّر :

— معذرة ياسيِّدى .. ولكن الأوامر الإمبراطورية تقتضى أن .....

قاطعه (كوماد) فى صرامة :

— أعلم أيها القائد .. أعلم ، ولكننى أبدلت القواعد ، وسأتولَّى مع فريقى الخاص مهمَّة حماية هذه المنطقة .

ازداد الشك فى أعماق قائد الدوريّة ، وقال فى حِدَّة :

— معذرة أيها القائد .. هذه المنطقة تحوى إحدى القواعد الورديّة ، ولابدّ من الرجوع إلى مولاى الإمبراطور أوّلًا ، قبل إجراء أيّة تعديلات فى خطط الحراسة ، فى مثل هذه المناطق .

صاح (كوماد) فى صرامة :

— هل تجرؤ .....

قاطعه قائد الدوريّة فى حِدَّة :

— إنها الأوامر الإمبراطورية أيها القائد ، ولا أحد يجرؤ على مخالفتها .

ران الصمت لحظة ، والاثنان يتبادلان نظرات التحدّى ، ثم قال (كوماد) فى برود :

— للأسف .. أنت لم تترك لنا الخيار بقرارك هذا .

ولم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفعت فوّهات بنادق رجاله نحو الدوريّة الأخرى ، وهتف قائدها فى ذُعْر :

— خيانة .. إنهم .....

ولكنه لم يتم عبارته أبدًا ، فقد حصدته الأشعة الأرجوانية مع رجاله حصدًا ، وفى ثوانٍ معدودة ، ساد بعدها صمت ثقيل ، قبل أن يقول (نور) ، من خلف قناع (كوماد) :

— يا لبشاعة الحروب !

ربّت (فارس) على كتفه ، قائلًا :

— إنه قدرنا .

ثم أشار إلى أشلاء الغزاة ، مستطردًا :

— المهم هو هل سنجد بطاقاتهم الأمنية سليمة ؟

واندفع نحو أحدهم ، وراح يفتش ما تبقَّى منه فى سرعة ، وهو يغالب اشمئزازه وتوتُّره ، حتى انتزع منه بطاقة صغيرة للغاية ، وهتف :

— ها هى ذى .

تنهد (نور) في ارتياح ، وقال :

— حمدًا لله .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، واستطرد في سرعة :

— بقيت أمامنا نصف الساعة فحسب .. فإمّا أن ننجح في الدخول إلى القبّة الورديّة قبلها ، أو .....

صمت لحظة ، ثم أردف في توتر :

— أو تحصدنا عيون الحراسة حصدًا ..

* * *



٥ — الصّراع ..

أقلعت حوّامة صغيرة خاصّة ، من مقرّ (كوماد) ، وعلى متنها نائب القائد الأعلى والدكتور (عبد المنعم) ، وقد تهالكا تمامًا ، وغمغم الأوّل في انهيار :

— إلى أين تحملنا تلك الحوّامة ؟

أجابه الثاني في صوت متهالك :

— إلى الجحيم بلا شك .

حاول الأوّل أن يبتسم ، وهو يتمتم :

— لست أجد فارقًا في الحالين ، فهنا جحيم آخر .

تمتم الثاني :

— ولكننا لا نصنعه بأيدينا .

رانَ عليهما الصمت لحظة ، ثم قال الأوّل :

— ولكن لماذا يسعى إمبراطور هؤلاء الأوغاد لصنع جحيم على كوكبنا .

أجابه الثاني :

— ربما تفيدهم تلك الحُمَم .

سأله الأول :

— أتظنهم يستخدمونها لتوليد طاقة ما ؟

هزّ الثاني رأسه ، متمتمًا :

— لست أظن هذا هو السبب ، فلقد امتصّت أطباقهم الهائلة كميات رهيبة من الطاقة ، بعد أن فجّروا كل مفاعلاتنا الذرّية ، منذ عام كامل .. أتذكر هذا ؟

تنهّد الأول ، متمتمًا :

— وكيف أنساه ؟ لقد كان بداية الانهيار .

هزّ الدكتور (عبد المنعم) رأسه ، وقال :

— تُرى ، هل يمكننا استرجاع تلك الحضارة يومًا ؟

أجابه قائده :

— ربّما .. لو تخلّصنا من هذا الاحتلال .

هتف في مرارة :

— متى ؟.. متى ؟

ابتسم نائب القائد الأعلى ابتسامة بالغة الشحوب ، وهو يقول :

— لست أظننا سننتظر طويلًا ، ما دامت هناك مقاومة ، وما دام هناك رجل على رأسها يُدْعَى (نور) .. فارس الأرض الأخير ..

* * *

توقّفت دَوْرِيّة المقاومة الزائفة ، التي تحمل وجوه الغزاة وصُوَرهم ، أمام تلك القُبّة الورديّة الهائلة ، وعمل الكمبيوتر الخاص ، في خوذة (نور) الشفّافة ، على ترجمة صوته ولغته إلى صوت (كوماد) ولغة (جلوريال) ، وهو يقول بنفس اللهجة الصارمة :

— افتحوا الأبواب بأمر القائد العام .

مضت لحظات من الصمت ، ثم تألّقت بقعة حمراء في ركن من أركان القُبّة ، وسقط منها خيط من أشعة ورديّة على وجه (نور) ، الذي يختفي تحت قناع خاص ، يطابق وجه (كوماد) تمامًا وراح الشعاع يفحصه لحظات ، قبل أن يتوقّف ، ويرتفع صوت معدني يقول :

— ما أسباب الزيارة ؟

أجابه (نور) في حزم :

— تفتيش عام .

ران الصمت لحظات ، ثم ارتفع الصوت الآلىّ يقول :

ـ على الرُّحب والسَّعة أيها القائد العام .

وإثر العبارة ، ارتفع أزيز آلىّ ، وتحرّك جزء من جدار القُبّة فى هدوء ، مخلّفًا فجوة تسمح بمرور طوّافة الدوريّة ..

وهنا تنهّد (نور) ، وتمتم فى صوت شديد الخفوت :

ـ لقد نجح هذا الجزء من الخطّة .

وانطلق بالحوّامة نحو النصر ..

أو الجحيم ..

* * *

استقبل قائد القبة (نور) ورفاقه بابتسامة عريضة ، وهو يقول فى هدوء :

ـ مرحبًا أيها القائد العام .. إنه لمن النادر أن تشرّفنا بزيارتك .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ لقد ازدادت أعمال المقاومة ، وأصبح من الضرورى مراجعة الأمور من وقت إلى آخر .

رفع (الجلوريالى) حاجبيه ، مغمغمًا :

ـ هكذا ؟!

قالها فى لهجة لم ترُق لـ (نور) ورفاقه أبدًا ، إلا أن (نور) قال فى حزم :

ـ نعم .. هكذا .

اعتدل القائد (الجلوريالى) ، وهو يسأل (نور) فى اهتمام :

ـ ماذا تحب أن تتفقّد أيها القائد ؟

سأله (نور) فى لهجة توحى باللامبالاة :

ـ هل انطلقت عيون الحراسة ؟

ابتسم القائد (الجلوريالى) ، وهو يقول :

ـ ليس بعد ، فسيحين حظر التّجوال بعد عشر دقائق ، من زمن الأرض .

قال (نور) فى حزم :

ـ حسنًا .. فلنفحص عيون الحراسة أوّلًا .

رفع (الجلوريالى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ وماذا بعد ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ وبعدها نتجه إلى المقاتلات لفحصها .. هل تمانع ؟

ابتسم (الجلوريالى) ، قائلًا :

ـ ومن يجرؤ على اعتراض أوامر القائد العام ؟

ثم أشار إلى باب جانبى ، قائلاً :

ـ تفضل يا سيدى القائد .. صدقنى .. إن نظامنا سيدهشك .. سيدهشك حتمًا ..

وعندما ابتسم هذه المرة كانت ابتسامته مخيفة .. مخيفة تمامًا ..

* * *

جلس الحكيم (جلاكس) فى حجرته حائرًا متوترًا ..

لم يكن مايحدث يروق له ..

لم يكن يبدو منطقيًا ..

كل شىء كان يدور على نحو عجيب ..

وخاصة بالنسبة إليه ..

إنه أكبر مخلوقات (جلوريال) سنًا ، فهو من سلالة خاصة نادرة ، سادت ذلك الكوكب يومًا ، عندما كانت الكلمة الأولى فيه للعقل والحكمة ..

ثم ظهرت سلالة (آغرو) المحاربة ..

وانقلب تاريخ الكوكب ..

لقد عجزت سلالة (جلاكس) عن التصدى لتلك السلالة المحاربة ، التى اتخذت من القوة وسيلة للحوار ، ومن البأس لغة للنقاش ..

وانهار العقل أمام القوة ..

انهار لأنه لم يستعد لمثل هذا اليوم ، ولم يتخذ أهبته له أبدًا .

ولقد عاصر (جلاكس) هذا العهد ..

عاصر انهيار إمبراطورية العقل ، ونشأة إمبراطورية القوة ..

وعلى الرغم من انتصار السلالة المحاربة ، إلا أنها أدركت أهمية العقل إلى جوار القوة ، فاتخذت من سلالة الحكماء مستشارين لعروشهم ، ودرعًا لإمبراطوريتهم ..

ولقد أصبح (جلاكس) مستشارًا للإمبراطورية ، منذ عهد والد (آغرو) ، وهو الذى تولى تربية (آغرو) وإعداده للإمبراطورية ..

وفى عهد (آغرو) غزا كوكب (أرغوران) (جلوريال) ، وهزمه ، واحتله ، وأبقى (آغرو) إمبراطورًا ناطقًا باسمه ..

ثم ذهبت سطوة (أرغوران) ، وحان دور (جلوريال) لينطلق ، ويستعيد زمام المبادرة ، وروح القيادة ، ويحتل (أرغوران) ..

ثم بدأت تلك الأحداث العجيبة ..

فجأة ، تبدّلت شخصية الإمبراطور ..

وفجأة ، صار كل حلمه هو أن يهاجم الأرض .. وأن يقضى على ذلك الأرضىّ (نور) ..

لم تكن لذلك سابقة فى تاريخ (جلوريال) كله ..

ولا فى شخصية الإمبراطور نفسه ..

وهذا ما يثير حَيْرة (جلاكس) وتوتُّره ..

إنه يؤمن — بما لا يدع مجالاً للشك — بوجود عامل عجيب خلف كل هذا ..

وهو لم يفهم أبدًا سِرّ ذلك الجحيم ، الذى يصفه الإمبراطور فى كوكب الأرض ، وبأيدى البشر ..

لم يفهم أبدًا ..

وهبّ (جلاكس) من مجلسه ..

لم يكن يحتمل الحَيْرة ..

كان لابدّ له من أن يعلم ..

لقد خُلق ليفكّر ..

وليعلم ..

وفى حزم ، اتجه نحو قاعة الإمبراطور ، ولكن الحارس الخاصّ للإمبراطور اعترضه ، قائلاً فى خشونة :

— غير مسموح بمقاطعة الإمبراطور الآن .

عقد (جلاكس) حاجبيه فى غضب ، قائلاً :

— وَيْحك يا رجل .. كيف تجرؤ على اعتراضى ؟.. إننى حكيم الإمبراطورية ، والمستشار الخاصّ للإمبراطور .

عاد الحارس يكرّر فى حِدّة :

— غير مسموح بمقاطعة الإمبراطور ، مهما كان السبب .

هتف (جلاكس) غاضبًا :

— أيجتمع بأحد فى الداخل ؟

هزّ الحارس رأسه ، قائلاً :

— كلّا .. إنه وحده .

هتف (جلاكس) فى دهشة :

— ما الذى يمنع التقائى به إذن ؟..

أجابه الحارس فى خشونة :

— إنها أوامر الإمبراطور .

صمت (جلاكس) لحظات ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة ، وهو يقول :

— سمعًا وطاعة للإمبراطور .

ودار على عقبيْه ، وابتعد فى هدوء ..



عقد (جلاكس) حاجبيه فى غضب ، قائلاً ..
— ويحك يا رجل .. كيف تجرؤ على اعتراضى .. إننى حكيم الإمبراطورية ..

ولكنه لم يبتعد كثيرًا ..

لقد تراجع ليتجه إلى مدخل سِرّىّ للقاعة ، لايعرفه سواه ، وسوى الإمبراطور ..

لقد أثار الحارس مزيدًا من فضوله ، وفجّر أقصى طاقات تفكيره وقلقه وحَيْرته ..

وهو خُلِق ليعلم ..

وسيعلَم ..

سيعلم ما الذى يفعله إمبراطوره وحده ؟

سيعلَم مهما كان الثمن ..

* * *

أشار قائد القُبَّة (الجلوريالى) إلى عدد من عيون الحراسة ، داخل صندوق زجاجىّ صغير ، وهو يقول :

— هذه هى عيون الحراسة الوحيدة ، التى يمكنك تفقدها يا سيِّدى ، فالأخرى تستعد الآن لبدء عملها .

أشار (نور) إلى إحدى العيون ، قائلاً فى اهتمام :

— أهذه صالحة للعمل ؟

ابتسم الغازى ابتسامة مرية ، وهو يجيب :

— بالطبع .

ثم أشار إلى زرٍّ صغير فى مؤخرة العين الكروية ، مستطردًا فى خبث :

— ولكن ينبغى ضغط هذا الزرّ أوّلًا .

أجابه (نور) فى صرامة :

— أعلم ذلك .. سألتك فقط ما إذا كانت مبرمجة للعمل أم لا ؟

تمتم الغازى فى لهجة غامضة :

— بالطبع .

التفت (نور) إلى (فارس) ، قائلًا فى حزم :

— خذ إحداها .

اتجه (فارس) نحو الصندوق الزجاجىّ ، ولكن القائد (الجلوريانى) استوقفه ، قائلًا بابتسامة غامضة :

— ليس الآن .

بدا لحظة أنه سيكتفى بذلك القول ، إلّا أنه لم يلبث أن استدرك ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة أنيقة :

— فلنترك ذلك لما بعد تفقّد المقاتلات .

ودّ (نور) لو أنه رفض ذلك ، إلّا أنه خشى إثارة ريبة الرجل برفضه ، فأومأ برأسه ، مغمغمًا :

— لا بأس .. دعْها لما بعد .

ترك (فارس) العين ، وتراجع فى ضيق ، فى حين قال (نور) للغازى :

— هيّا نتفقّد المقاتلات .

تطلّع الغازى إلى ساعته ، التى تشبه كرة تنس طاولة لامعة ، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة واسعة ، ويقول :

— لا بأس يا سيّدى .. الآن انطلقت عيون الحراسة .

ثم اتجه فى حركة سريعة نحو باب جانبى ، مستطردًا فى لهجة أشبه بالجذل :

— وحانت اللحظة الحاسمة .

وبضغطة زرٍّ سريعة ، انزاح الباب الجانبى ، وظهر من خلفه آخر شخص يتوقّعه (نور) ورفاقه ..

(كوماد) ..

* * *

٦ — إمبراطور الجحيم ..

توقَّف (رمزى) عن الحفر بغتة ، داخل ذلك الجحيم الرهيب ، على عمق مائتى متر من سطح الأرض ، ومسح العرق الغزير المنصبّ على وجهه ، وهو يشير إلى نقطة بعيدة ، هاتفًا :

— يا إلهى !!.. انظر يا دكتور (حجازى) .. انظر .

هتف الدكتور (حجازى) فى توتُّر ، وهو يتوقَّف عن العمل بدوْره :

— ماذا هناك ؟.. هل أسَرُوا (نور) ؟

أمسك (رمزى) كتفه ، قائلًا فى انفعال :

— ليس بعد والحمد لله ، ولكنهم أحضروا أسيرين ، أدهشنى تعرُّفى إياهما .

دقَّق الدكتور (حجازى) النظر فى وجه الأسيرين العائدين ، ثم تمتم فى انفعال مماثل :

— يا إلهى !!.. لقد نحلا كثيرًا ، ولكننى تعرَّفتهما .. إنهما نائب القائد الأعلى ، والدكتور (عبد المنعم) .. ربَّاه !! لقد تصوَّرت أنهما قد لقيا حتفيهما مع بداية الغزو .

هتف (رمزى) فى حماس :

— من حُسن الحظ أن هذا لم يحدث .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وهو يقول :

— من حُسن الحظ !!.. من يدرى يا (رمزى) ؟.. مَنْ يدرى أيهما الحظ الحسَن ، أن نبقى فى هذا الجحيم ، أم نموت ؟

أجابه (رمزى) فى حماس :

— بل أن نبقى يا سيِّدى .. فالبقاء يَعْنِى الأمل .. والأمل هو الحياة .

التفت إليه الدكتور (حجازى) فى دهشة ، وغمغم :

— ما أعجبه من قول !!

قال (رمزى) ، وهو يبتسم :

— هذا منطق عدم الاستسلام يا دكتور (حجازى) .. أتعلم ما الذى يَعْنِيه وجودنا معًا فى هذا الجحيم ، مع نائب القائد الأعلى والدكتور (عبد المنعم) ؟

أراد الدكتور (حجازى) أن يسأله فى دهشة عما يَعْنِيه ذلك ، إلَّا أن أحد الغزاة لاحظ توقُّفهما عن العمل ، فاتجه نحوهما فى حركة حادَّة ، وهَوَى بكعب بندقيته على ظهر (رمزى) فى قوة ، صائحًا فى خشونة :

— اعملا .. واصلا الحفر .

دفعت الضربة (رمزى) ، وألقته أرضًا ، إلا أنه نهض فى هدوء ، وتحسَّس موضع الألم ، ثم عاد يعمل ، وتبعه الدكتور (حجازى) على الفور ، وران الصمت إلا من صوت ضربات فأسيهما ، حتى ابتعد الحارس ، فهتف الدكتور (حجازى) فى انفعال ، وبصوت شديد الخُفوت :

— حسنًا يا (رمزى) ، ما الذى يعنيه هذا ؟

ابتسم (رمزى) فى خُبث ، وهو يقول :

— يعنى حدوث انقلاب .. انقلاب فى قلب الجحيم ..

* * *

تسلَّل الحكيم (جلاكس) عَبْرَ الباب السرِّى للقاعة الإمبراطورية ، ودلف عَبْرَ ممر طويل إلى القاعة ، حيث اعترضه باب سرِّى آخر ، فضغط زرًّا جانبيًّا فيه ، وهو يتمتم فى فضول شديد :

— تُرى ما الذى يفعله الإمبراطور وحده فى القاعة ؟.. إنه لم يفعل هذا أبدًا ، حتى عندما كان طفلاً صغيرًا .

تحرَّك الباب السرِّى فى خُفوت ، كاشفًا فجوة صغيرة ، اختلس الحكيم النظر عَبْرَها فى اهتمام وشغف ..

ولكنه لم يَرَ شيئًا ..

أو رأى ما لا يُرى ..

كل ما رآه هو انعكاس لوهج متألق ، يأتى من الناحية المقابلة للعرش الإمبراطورىّ ..

وكان الوهج أشبه بلهب يستعر ..

والتهب الفُضول فى أعماق الحكيم ..

لم يكن من موقعه هذا يستطيع رؤية الإمبراطور ، أو مصدر الوهج ؛ لذا فقد دفع الباب السرِّىّ ، وخاطر بعبوره إلى القاعة ، على الرغم من أوامر الإمبراطور ..

أو هو فعل ذلك فى غمرة شروده ، ولهفته على معرفة الحقيقة ..

وفى نفس اللحظة التى عَبَرَ فيها إلى داخل القاعة ، كان الإمبراطور (آغرو) يهتف بعبارة غريبة ..

عبارة ليس لها مثيل فى لغة (جلوريال) ..

وربَّما فى كل لغات العالم ..

عبارة مخيفة ..

رهيبة ..

وارتعدت فرائص الحكيم (جلاكس) من هول الموقف ..

وجحظت عيناه رعبًا ..
كان مايراه ويسمعه هائلًا ..
كان كما لو أنه قد خطا بقدميه إلى الجحيم ..
وشهق الحكيم ..
وإثر شهقته التفت إليه إمبراطوره ..
وتراجع الحكيم فى رُعب رهيب ، وارتطم بالباب السرّى ، فأغلقه خلفه ، والتصق به فى هلع ، وهو يحدّق فى إمبراطوره ..
وكاد يقسم إنه ليس الإمبراطور الذى ربّاه ..
صحيح أنه يمتلك نفس الملامح ..
نفس البشرة الخضراء ..
نفس العينين الحمراوين بلون الدم ..
نفس التاج اللامع الشفّاف فوق رأسه ..
ولكنه لم يكن هو ..
كان شخصًا آخر ..
أو بمعنى أدق كان شيئًا آخر ..
شيئًا رهيبًا ..
مخيفًا ..

مهولًا ..
وتركّزت عينا ذلك الشىء على الحكيم ، وانبعث من شفتيه صوت أشبه بفوران حُمَم براكين العالم كله ، وهو يهتف فى غضب :
ـ أنت ؟!
ازداد التصاق الحكيم بالباب ، وهو يهتف فى رُعب هائل :
ـ إنك لست الإمبراطور .. لست هو ..
برقت عينا الإمبراطور كالدماء المشتعلة ، وهو يقول فى هياج :
ـ من أنا إذن أيها الأحمق .
ثم اتجه فى بطء نحو العجوز ، الذى أصابه شلل عجيب ، جمّده فى مكانه ، وهو يهتف :
ـ لست أدرى .. ولكنك لست هو .. لست هو حتمًا .
أصبح الإمبراطور الآن على قيد خطوة واحدة منه ، وبدا صوته مرعبًا رهيبًا ، وهو يقول :
ـ إذن فهذا رأيك .
كاد الحكيم يبكى ، وهو يهتف :
ـ من أنت ؟.. من أنت بحق آلهة (جلوريال) ؟


وفى بطء رفع الإمبراطور كفيه ، وجحظت عينا الحكيم فى رُعب هائل ، عندما رأى تينك الكُرتين فيهما ..

ارتسمت على شفتى الإمبراطور ابتسامة جهنمية رهيبة ، وهو يقول :

ـ لن تعلم أيها الغبىّ .. لن تعلم أبدًا .

وفى بطء رفع الإمبراطور كفّيه ، وجحظت عينا الحكيم فى رُعب هائل ، عندما رأى تينك الكُرتين فيهما ، وصرخ فى ارتياع :

ـ لا .. لا ..

وانطلقت من الكُرتين أشعة زرقاء مضيئة ، أحاطت بالحكيم ، الذى أطلق صرخة مروّعة ، وراح جسده يرتجف فى قوّة هائلة ، وينتفض فى ألم ، ثم تجمّد ، وتوقّف ..

وسقط ..

سقط جثة هامدة ، تحت قدمى الإمبراطور ..

أو قدمى هذا الشىء ..

هذا الشىء الجهنمى ..

* * *

كانت المواجهة مُذهلة حقًا ..

لم يكن (نور) ورفاقه يتصوّرون أبدًا رؤية (كوماد) بالذات ، فى هذا المكان ، ولقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ظفر هائلة ، وهو ينقّل بصره بين الوجوه ، قبل أن تستقر عيناه الدمويّتان على وجه (نور) ، ويقول فى انفعال :

— مرحبًا أيها الرائد الأرضىّ .. من الطريف أن نلتقى هنا .. فى أرضى .

لم ينبس (نور) ورفاقه ببنت شفة ..

كانت المفاجأة ، بالنسبة إليهم ، حقًّا مذهلة ..

وكانت سعادة (كوماد) بإحباطهم عارمة ، وهو يستطرد :

— إنجاز رائع يا رجال المقاومة الأرضية .. هذا القناع الذى ترتديه يشبهنى بدقة بالغة ، حتى أنه قادر على خداع أى مخلوق من شعبنا أو شعبكم .

وتراقصت ابتسامته ، قبل أن يستدرك فى سرعة :

— فيما عداى بالطبع ..

ثم أطلق ضحكة قصيرة ساخرة ، مُفعَمة بالانفعالات ، قبل أن يضيف فى زهو :

— لقد أخطأت فى اختيار توقيت تنفيذ خطتك أيها الأرضى ، فلست وحدك تفكّر وتخطط وتدبّر .. نحن أيضًا عندنا علماؤنا وتفكيرنا .. لقد تركت خلفك ، فى المعركة السابقة رجلًا أو رجلين يرتديان هذه الأقنعة المتقنة ، وعلى الفور قمنا بدراستها .. وأصدقك القول إنها قد أعجبتنا كثيرًا .. صحيح أنها بدائية الصنع ، ولكن لا بأس بها بالنسبة لفريق مقاومة صغير ، نشأ من شعب متخلّف مثلكم .. ولكن

صنعكم له أقلقنا ، فابتكرنا نوعًا خاصًّا من الأشعة الكاشفة ، يمكنه رؤية ما يختفى أسفل هذه الأقنعة ، وعندما وصلت أنت إلى هنا ، على رأس فريقك الصغير هذا ، سقط هذا الشعاع الوردىّ على وجهك ، وفضح تنكُّرك ..

شعر (نور) بحنق هائل فى أعماقه ، عند هذه النقطة ، وهو يسترجع لحظة سقوط الأشعة الورديّة على وجهه ، وتصوُّره أنها نوع من الأشعة الفاحصة للملامح ، دون أن يخطر بباله أنها أشعة كاشفة خاصّة .

وحمد الله على أن ذلك القناع ، الذى يحمل ملامح (كوماد) ، يُخفى وجهه ، حتى لا يبدو حنقه واضحًا لخصمه ، الذى استطرد بنفس الزّهو ونفس الخُيَلاء :

— كان من الممكن أن يقتلك الجنود هنا ، فور كشف أمرك ، ولكن أوامرى كانت تقتضى ضرورة إبلاغى أوّلًا ، قبل اتخاذ أيّة خطوة حاسمة فى هذا الشأن ، لذا فقد أبلغونى بوسيلة اتصال مباشرة ، فائقة السرعة ، جعلتنى أهرع إلى هنا ، فى حين سمحوا هم لك ولرفاقك بالدخول ، بحيث أطبق عليكم الفخ تمامًا ، وانتظرنا حتى انطلقت عيون الحراسة ، ثم ظهرت أنا ، لأعلِنَ لك وهم أن اللُّعبة قد انتهت .

وانتصبت هامته ، وهو يستطرد فى فخر :

ـــ انتهت لصالحنا .

ران الصمت لحظات ، ثم قال (نور) فى هدوء :

ـــ أيعنى هذا أنك ستلقى القبض علينا ؟

لوّح (كوماد) بذراعه هاتفًا :

ـــ كخطوة مؤقتة ، حتى يتم إعدامك أمام شعوب الأرض كلها .

هزّ (نور) كتفيه ، ورفع كفّه ، قائلًا فى هدوء عجيب :

ـــ إذن فأنت لم تترك لنا الخيار .

وفجأة ، خفض كفّه ، ورفع فوّهة بندقيته ، فى حين هتف (فارس) فى حماس :

ـــ جملتك لن تنطقها أبدًا .

وانطلقت خيوط الأشعة الأرجوانية الساحقة ..

* * *

٧ ـــ الانقـــلاب ..

جفل نائب القائد الأعلى ، عندما مسّ (رمزى) كتفه فى رفق ، وسط ذلك الجحيم الأرضى ، ثم لم يلبث أن تبيّن وجه هذا الأخير ، فاجتاحته فرحة عارمة ، وهو يهتف :

ـــ (رمزى) ؟!.. يا إلهى !!.. يا لها من مفاجأة !

ابتسم (رمزى) وهو يربّت على كتفه ، مغمغمًا :

ـــ ويا له من مكان !!

أسرع إليهما الدكتور (عبد المنعم) ، وهو يهتف :

ـــ يا لها من مفاجأة يا (رمزى) !.. كيف بلغت هذا الجحيم ؟

أجابه (رمزى) ، وهو يشير إلى الدكتور (حجازى) ، الذى راح يقترب فى حذر :

ـــ لقد أرسلنا ذلك الوغد (كوماد) إلى هنا ، منذ ثلاثة أو أربعة أيام ، وإن بدا لنا ذلك وكأنه قد حدث منذ قرون .

زفر نائب القائد الأعلى ، وهو يقول :

— أنت على حق ، لقد أمضيت أنا والدكتور (عبد المنعم) عامًا هنا ، فخيّل إلينا أننا هنا منذ مولدنا .

بلغهم الدكتور (حجازى) فى هذه اللحظة ، وهتف فى خفوت ، وهو يختلس النظر إلى رجال الحراسة فى قلق :

— مرحبًا أيها السادة .. لقد نحلت كثيرًا يا سيّدى القائد ، وأنت كذلك يا دكتور (عبد المنعم) .

تأمله الدكتور (عبد المنعم) لحظة ، قبل أن يقول بابتسامة شاحبة :

— من الواضح أنك لم تقض هنا وقتا كافيًا ، فما زلت تحتفظ ببدانتك .

أجاب (رمزى) هامسًا فى حزم :

— لو سارت خطتى على ما يرام ، فسنستعيد كلنا وزننا ، فى ظل الحرية يا سيّدى .

التفت إليه الجميع فى دهشة ، وقال نائب القائد الأعلى فى انفعال :

— أية خطة هذه يا (رمزى) ؟.. وما هدفها ؟

أجابه (رمزى) :

— هدفها هو أن نغادر هذا الجحيم اللعين يا سيّدى .

لم يستطع الدكتور (حجازى) كتمان لهفته ، فهتف .

— كيف ؟!

ثم لاحظ أن صوته جاء مرتفعًا أكثر من اللازم ، فانكمش فى موضعه فى خوف ، وهو يختلس النظر إلى رجال الحراسة العشرة ، الذين يحملون بنادق الأشعة الأرجوانية الساحقة ، قبل أن يستطرد فى صوت شديد الخفُوت :

— كيف سنغادر هذا الجحيم ؟

ابتسم (رمزى) ، وهو يقول :

— هذا يتوقّف على قدرات الجسد البشرىّ ، ومدى استجابتها للتنويم المغناطيسى يا سيّدى .

هتف القائد الأعلى :

— هذا يبدو لى مُبهمًا حتى الآن .

ازدرد (رمزى) لعابه فى صوت مسموع ، ثم قال :

— اسمعونى جيّدًا .. أنتم تعلمون أننى خبير بالتنويم المغناطيسى ، وهذا المكان — على الرغم من ضخامته — يحوى عشرة حرّاس فحسب ، لأن الغزاة لا يتوقّعون مقاومة ، من رجال أهلكهم التعب ، وامتصّ الهزال قوّتهم وإرادتهم ، والواقع أن هذا مستحيل بالفعل ، ما لم يبرز رجال خارقون بغتة ، من وسط الأسرى .

هتف الدكتور (عبد المنعم) :

ـ وأين نجد مثل هؤلاء ؟

صمت (رمزى) لحظة ، ثم قال :

ـ أظن أنه لدينا ثلاثة .

عقد نائب القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول فى حذر :

ـ أين هم ؟

حاول (رمزى) أن يبتسم ، ليخفف من وقع كلماته ، وهو يجيب :

ـ أنتم .

حدّق الثلاثة فى وجهه فى ذهول واستنكار ، كما لو كانوا يحدّقون فى وجه مجنون ، قبل أن يهتف الدكتور (عبد المنعم) فى حِدّة :

ـ أى هُرَاء هذا ؟

أسرع (رمزى) يقول :

ـ اسمعونى أوّلاً .. لقد أثبتت دراساتى الطويلة للجسم البشرى أنه يحوى قُدرات غير محدودة ، تظهر كلها فى حالة الخطر ، فيزداد إفراز الأدرينالين ، ويكتسب الجسم قُدرات (السوبرمان) .

أجابه الدكتور (حجازى) فى قلق :

ـ هذا صحيح يا (رمزى) ، ولكن هذا يحدث فى حالة الخطر فحسب .

أومأ (رمزى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ أعلم ذلك ، ولقد سُجِّلت حالة لأم ، سقطت شجرة ضخمة على ساق ابنها ، فأسرعت دون أن تدرى ، ورفعت الشجرة عنه فى خِضَمّ ذُعرها ، وبعد أن ألقتها جانبًا ، وأنقذت ابنها ، أدهشها أن تعلم أن وزن الشجرة يبلغ نصف الطن تقريبًا(*) ، ولقد قرّر العلماء أنها قد فعلت هذا بسبب خوفها ، الذى ضاعف إفراز الأدرينالين فى جسدها عشرات المرّات ، وجعل عضلاتها أقوى من عضلات عشرة رجال .

قال نائب القائد الأعلى ، وقد احتواه الأمر تمامًا :

ـ وكيف يمكنك أن تجعلنا نشعر بالخطر ؟

تردّد (رمزى) لحظة ، ثم أجاب :

ـ بالتنويم المغناطيسى .

(*) حادثة حقيقية .. وهناك عشرات الحوادث الأخرى المسجّلة فى هذا المجال ، ويمكن الرجوع إليها فى موسوعة (جينز) القياسية .

ران على أربعتهم الصمت لحظات ، ثم قال الدكتور (حجازى) :

— ولكن هذا يبدو لى مستحيلًا يا (رمزى) ، فالتنويم المغناطيسى قد يجعلنا نسترجع ذكريات مولدنا ، أو نشعر بالبرودة فى هذا الجحيم ، بدلًا من ذلك القيْظ ، ولكن كيف يمكنه أن يدفع غددنا فوق الكلوية إلى إفراز المزيد من الأدرينالين ؟

مطّ (رمزى) شفتيه ، وقال :

— إننى لم أختبر هذا من قبل ، ولكنه نجح مسبقًا فى دفع غدد إفراز العصارة المعدية إلى الإقلال من إفرازاتها ، فى بعض مَرْضى قرحة المعدة ، الذين تعرّضوا لمثل هذا العلاج ، ولست أظنه يخالف هذه القاعدة ، عندما توجّه الأمر إلى الغدد فوق الكلوية .

ران الصمت عليهم مرّة أخرى ، وعادوا يتبادلون نظرات القلق ، ثم غمغم الدكتور (حجازى) :

— وماذا سنفعل بالضبط ؟

لوّح (رمزى) بكفّه ، قائلًا :

— فقط ستستسلمون لى ، حتى يمكننى تنويمكم مغناطيسيًا .

قال فى عصبيّة :

— أعنى ما الذى سنفعله بعد ذلك ؟

أدار (رمزى) بصره فى وجوه الحراس العشرة فى حذَر ، ثم أجاب فى همس :

— سنقاتل .

كانت إجابة مختصرة للغاية ..

ولكنها كانت كافية ..

وعندما ران الصمت هذه المرّة ، كان مشوبًا بقلق خفىّ ، وتوتّر ظاهر ، إلى أن تمتم الدكتور (حجازى) :

— ما رأيكم ؟

تنهّد نائب القائد الأعلى ، وقال :

— كما قلت ألف مرّة من قبل .. الموت أفضل من البقاء فى هذا الجحيم .

تمتم الدكتور (عبد المنعم) فى حزم :

— صدقت .

وهنا التفت الدكتور (حجازى) إلى (رمزى) ، وقال فى استسلام :

— حسنًا يا (رمزى) .. ابدأ عملك .. نحن رهن إشارتك ..

تنهّد (رمزى) ، وقال :

ــ يؤسفنى أننى لن أشارككم المخاطرة ، فأنا الوحيد الذى يجيد فن التنويم المغناطيسى ، و .....

قاطعه القائد الأعلى :

ــ نحن نقدّر ذلك ، والآن ابدأ عملك ، قبل أن نفقد أعصابنا ، ونتراجع فى قرارنا .

تنهّد (رمزى) مرّة أخرى ، وقال :

ــ أنت على حقّ يا سيّدى .

والتقط نفسًا عميقًا من الهواء ، ملأ به صدره حتى آخره ، ثم تطلّع إلى وجوههم ، قائلاً فى لهجة آمرة ، وصوت هادئ عميق :

ــ اتركوا عضلاتكم تسترخى تمامًا ، وتطلّعوا إلى عينىّ .. إلى عينىّ فقط ..

* * *

لم يكد (كوماد) يلمح يد (نور) ، وهى تنخفض فى سرعة ، حتى أدرك مغزى الحركة على الفور ، فقفز جانبًا ، محتميًا بجدار الحجرة ..

وانطلقت الأشعة الأرجوانية الساحقة ..

وانسحق قائد القُبّة الوردية ..

وانسحق أربعة من رجاله ..

وصاح (كوماد) ، وهو ينطلق مبتعدًا خارج المكان :

ــ قاتلوا يا جنود (جلوريال) .. لا تسمحوا للأرضيين بهزيمتكم على أرضكم .

أمّا (نور) فقد تحوّل فى لحظة إلى قائد ومقاتل رائع ، وهتف فى (فارس) :

ــ إلى المقاتلات يا (فارس) .. خذ ثلاثة رجال ، وشقّوا طريقكم إليها بالقوّة ، وأنت يا (عدنان) .. انطلق إلى البوّابة ، وافتحها لسرب السعودى فى الخارج .. هيّا .

انطلق (فارس) مع ثلاثة رجال إلى حيث المقاتلات ، فى حين أسرع (عدنان) يشقّ طريقه إلى البوّابة ، وصاح (نور) فى (محمود) :

ــ احْم ظهورهم يا (محمود) .. هيّا .

هتف به (محمود) .. عندما رآه ينطلق وحده :

ــ وأنت يا (نور) .. إلى أين ؟

صاح به (نور) :

ـ دَعْك منّى .. إننى سأصبح هدفهم الوحيد .. هذا ما يسعَوْن إليه .

واتسعت عينا (محمود) فى هلع ..

لقد أدرك الدَّوْر الذى سيلعبه (نور) ..

دَوْر الطعم ..

* * *

اتسعت عينا الحارس الخاص للإمبراطور (آخرو) ، وهو يحدّق فى جثة (جلاكس) الملقاة فى منتصف القاعة الإمبراطورية ، فى حين قال الإمبراطور ، وهو يشير إلى الجثة :

ـ لقد توقَّف قلب الحكيم (جلاكس) فجأة ، فسقط جثة هامدة ، فى خضرتى .. مُرِ الرجال بحمل جثته إلى حجرته ، وإعدادها لتعود إلى كوكبنا (جلوريال) ، حيث يتم دفن مستشارنا الأوّل فى احتفال مهيب ، فى تراب وطنه .

لم ينتبه الحارس الخاص ..

كان يحدّق فى الجثة فى ذهُول ، حتى صاح به الإمبراطور فى غضب :

ـ ألم تسمع أيها الغبىّ ؟..

انتفض جسد الحارس ، واعتدل واقفًا ، وهو يهتف :



صاح به (نور) ..
ـ دَعْك منّى .. إننى سأصبح هدفهم الوحيد ..

— معذرة يا مولاى الإمبراطور .. لقد أدهشنى الأمر حقًا .

هتف الإمبراطور فى حنق :

— ولماذا يُدهشك أيها الجندى ؟.. أليس من الطبيعى أن يلقى الحكيم مصرعه بسكتة قلبية مباغتة ؟

صاح الحارس :

— بلى يا مولاى .. ولكن ليس هذا ما يدهشنى .. إننى .. إننى .....

بدا تردُّده واضحًا ، فهتف به الإمبراطور فى عصبيَّة :

— إنك ماذا ؟

أجابه الحارس فى سرعة :

— إننى أشعر بالدهشة لوجوده هنا يا مولاى ، فلقد منعته بنفسى من الدخول ، و .....

قاطعه الإمبراطور فى حِدَّة :

— هل اخترق الحائط إذن ؟

تردَّد الحارس لحظة ، ثم هتف :

— لا يا مولاى .. إنه لم يفعل هذا قطعًا .

صاح به الإمبراطور فى حنق :

— هذا يعنى أنك لم تطع أوامرى إذن .

هتف الحارس فى هَلَع :

— بل فعلت يا مولاى .. أُقسم لك .

صاح الإمبراطور :

— اغْرُب عن وجهى إذن ، ونفِّذ أوامرى .

هتف الحارس ، وهو يعدو خارجًا :

— السَّمع والطاعة يا مولاى .. السَّمع والطاعة .

ارتطم فى أثناء خروجه بحارس آخر ، كان يندفع فى خفة داخل القاعة الإمبراطورية ، فهتف به الإمبراطور فى غضب :

— ماذا تريد أنت أيضًا أيها الغبىّ ؟

لهث الحارس الآخر ، وهو يهتف :

— هناك قتال يدور الآن ، فى القُبَّة (زاود — ٦٣) يا مولاى ، وتقول معلوماتنا إن قائد جيوشنا هناك ، وكذلك .. وكذلك .....

هتف الإمبراطور :

— وكذلك من ؟

أجابه الرجل لاهثًا فى انفعال :

— وكذلك الرائد الأرضى (نور) يا مولاى .

اشتعلت عينا الإمبراطور فى قوة ، وهبَّ من عرشه ، هاتفًا :

— (نور) ؟!

ثم رفع كفه ، صائحًا :

— مُرِ الرجال بنسف تلك القبة .

هتف الحارس فى دهشة :

— ولكن القائد هناك يا سيِّدى .

بدا لحظة أن الإمبراطور سينفجر فى وجهه ، ويثور على مناقشته لأمره ، إلا أنه لم يلبث أن عقد حاجبيه فى شدة ، وهو يقول فى توتر بالغ :

— متى بدأ ذلك القتال ؟

أجابه الرجل منفعلًا :

— بدأ منذ دقائق يا مولاى .

صاح الإمبراطور :

— مُرْ كل قواتنا إذن بالتوجُّه إلى تلك القبة ، ومحاصرتها .

سأله الحارس :

— وماذا عن عيون الحراسة يا سيِّدى ؟

هتف به فى عصبيَّة :

— ماذا عنها ؟

أجابه الحارس فى توتر :

— إن أوامرها الجديدة تقتضى قتل كل من لا يحمل بطاقة الأمن الخاصَّة ، ومن المستحيل تزويد كل القوات بها ، و .....

قاطعه الإمبراطور :

— فلتعد كل العيون إلى قواعدها إذن .. المهم أن نوقع بهذا الرائد الأرضى حيًّا أو ميتًا .

واشتعلت عيناه كالجمر ، وهو يردف :

— وأنا أفضِّله حيًّا ، فهكذا تقتضى خطَّتى .. وهكذا أريده .. حيًّا .. وذليلًا ..

* * *

٨ ـ القتال ..

لم يكد (كوماد) يلمح (نور) ، وهو ينطلق وحده ، محتميًا بأحد جدران المقر ، حتى صاح في رجاله :

ــ اقتلوا هذا الأرضي يا جنود (جلوريال) .. اقتلوه .. سأرقّي من يسحقه منكم قائدًا لهذه القاعدة .

كان هذا كل ما يرجوه (نور) بالفعل ..

أن يتحوّل إلى صيد ثمين ..

وأن تتجه كل الأنظار إليه ..

كانت خطته هي أن يسمح لرجاله بتدبير أمرهم ..

ولقد انهالت عليه عشرات الطلقات ، من الأشعة الأرجوانية الساحقة ، ولولا أن جدران القاعة مصنوعة من تلك المادّة ، المقاومة للأشعة ، لانسحقت سحقًا ، وتهاوت فوق رأسه ..

وعلى الرغم من ذلك فقد أصابتها سيول الأشعة الساحقة بأضرار بالغة ، فراحت تنثني وتتمايل ، وشعر (نور) بأنها لن تلبث أن تهوى فوقه ، فهتف في أعماقه ..

ــ أسرع يا (فارس) .. أسرع ..

وفي نفس اللحظة كان (فارس) ورجاله الثلاثة يشقّون طريقهم نحو المقاتلات (الجلوريالية) في بسالة ، ويطلقون أشعة بنادقهم فيما حولهم في سخاء ..

وسمع (فارس) من خلفه صرخة أحد رجاله ، عندما سحقته طلقة من الأشعة الأرجوانية ، أطلقها أحد جنود (جلوريال) ..

ولكنه لم يتوقّف ..

كان يؤمن تمامًا بأنها شيمة الحروب والمعارك ..

أن نخسر أقرب الناس إلينا ..

وأن نستمر ..

وسقط رجل ثان ..

وأصبح (فارس) وزميله الأخير داخل قاعدة المقاتلات ..

وهتف (فارس) بزميله :

ــ احْمِ ظهرى .

ثم اندفع نحو إحدى المقاتلات ، وقفز سُلّمها الصغير في سرعة ، ثم ألقى جسده داخلها ، وهتف ، وهو يراجع آلياتها :

— إنها تبدو عادية .. صحيح أنها تعتمد على عدد أكبر من الأزرار ، ولكن أسلوب القيادة واحد تقريبًا .

ثم امتدت يده إلى زرٍّ مميَّز ، وهو يستطرد فى انفعال :

— هذا يشعل المحرِّك .

لم يكد يضغط الزرّ ، حتى اشتعل المحرِّك بالفعل ، فهتف فى حماس ، وهو يضغط زرًا آخر :

— وهكذا ننطلق ..

وانطلقت المقاتلة بالفعل ..

وانطلقت داخل القبة ..

وبدأ صراع من نوع جديد ..

* * *

لم تكن مهمّة (عدنان) باليسيرة ..

كان عليه أن يشق طريقه وحده نحو آليات فتح البوّابة ، وتدميرها ، حتى تُفتح الأبواب ، فيجد الرفاق فى الخارج وسيلة للدخول ..

ولقد قاتل كالأبطال ، وهو يشُق طريقه ..

وساعده كثيرًا اتجاه الجميع نحو (نور) ، فى محاولة لاقتناصه ، ونيل الترقية التى وعدهم بها (كوماد) ..

وبلغ (عدنان) هدفه ..

ورأى أحد جنود الاحتلال يصوِّب إليه بندقيته ، ولكنه لم يأبه به ، بل صوَّب فوّهة بندقيته نحو آليات الفتح ، وصاح بكل ما يعتمل فى نفسه من مشاعر :

— المجد لكوكب الأرض ..

وفى لحظة واحدة انطلقت الأشعة ..

خيطان انطلقا فى آن واحد ، أحدهما سَحَق (عدنان) ، والآخر سَحَق الآليات ..

وانفتحت الأبواب ..

ومرّة أخرى اختلَّت خطوات الخطَّة ، ولكن لصالح الأرض ..

كان (نور) يتوقَّع أن يلقى الرجال فى الخارج مقاومة عنيفة ، من قبل عيون الحراسة ، وهم يقتحمون القبة ..

وكان يتوقَّع أحد عشر رجلًا ..

ولم يحدث هذا أو ذاك ..

لقد انطلق ما يقرب من ثلاثين رجلًا نحو القبة ، ودون مقاومة على الإطلاق ، بعد أن أمر الإمبراطور بسحب عيون الحراسة ، وبعد أن نجح رجال السِّرب السعودى فى العثور على بعض نسور السِّرب المصرى ، والسِّرب الأردنى ..

وكانت المفاجأة من نصيب (كوماد) ..

ثلاثون رجلًا من الأرض انضمُّوا فجأة إلى المعركة ..

و (فارس) ينطلق داخل واحدة من مقاتلات (جلوريال) ..

ولم يضع (كوماد) وقته ..

كان قائدًا موهوبًا ، يعلم جيِّدًا متى تحين لحظة الانسحاب ..

وكان في الوقت ذاته وغدًا زنيمًا ..

لقد كان يحتاج إلى من يحمي ظهره في أثناء الانسحاب ؛ لذا فلم يأمر رجاله به .

تركهم يقاتلون ، وهو يعلم أن الهزيمة مصيرهم حتمًا ؛ ليحمي قتالهم ظهره في فراره ..

واندفع (كوماد) نحو مقاتلته الصغيرة ، وهو يغمغم في حَنَق :

ـ اللعنة !! سنلتقي مرَّة أخرى أيها الرائد الأرضي .

وبقفزة ماهرة ، أصبح داخل مقاتلته ، وانطلق بها صائحًا :

ـ المجد لـ (جلوريال) ..

ورآه (فارس) ينطلق ، فهتف في حَنَق :

ـ اللعنة !! أين زرّ إطلاق تلك الأشعة اللعينة ؟!



ورآه (فارس) ينطلق ، فهتف في حَنَق ..

ـ اللعنة .. أين زرّ إطلاق تلك الأشعة اللعينة ؟

استغرق منه العثور على زرّ الإطلاق ثوانى معدودات ، ولكنها كانت تكفى لكى يبتعد (كوماد) بمقاتلته بعيدًا ..

وسيطر الأرضيون على الموقف تمامًا ، واحتلّوا أوّل قبة من قباب الغزو ، تسقط فى أيديهم ..

وتعالت هتافات الظَّفر ، واندفع الجميع نحو (نور) ، الذى هتف فى جدّيّة :

ـ مهلًا يا رجال .. إننا لم ننتصر بعد .

صاح أحدهم فى سعادة :

ـ كيف أيها القائد ؟.. لقد نجحنا فى احتلال تلك القبة ، وفى الاستيلاء على المقاتلات ، وعيون الحراسة ، فما هو النصر إذن ، لو لم يكن هذا ؟

هتف (نور) :

ـ النصر ليس مجرّد مرحلة .. إنه هدف كبير ، ولن يتحقّق إلّا بالقضاء على الغزو تمامًا .

هبط (فارس) بمقاتلته فى هذه اللحظة ، وغادرها هاتفًا :

ـ ولكنها خطوة رائعة بالفعل أيها القائد .

ثم أحصى عدد النسور فى سرعة ، قبل أن يهتف فى دهشة وفرح :

ـ عجبًا .. كم نسرًا لدينا ؟

أجابه أحد النسور فى حماس :

ـ ثلاثة وثلاثون نسرًا فى خدمتك .

صاح فى حماس :

ـ ولدينا هنا أربعون مقاتلة .. سنتخلّى إذن عن سبع منها فقط .

أجابه (نور) ، وهو يشير إلى (محمود) :

ـ هل نسيتنى و (محمود) ؟.. وهل نسيت نفسك ؟.. إننا سنترك خلفنا أربع مقاتلات فحسب ، وسننسفها قبل رحيلنا ، و .....

قاطعه فجأة صوت جهْوَرىّ يقول من الخارج :

ـ انتبهوا يا رجال المقاومة الأرضية .. نحن نحاصر القبة .. سنمنحكم مهلة قدرها دقيقتان فحسب ، لتستسلموا جميعًا ، وتغادروا القبة رافعى أيديكم فوق رءوسكم ، وفى مقدّمتكم الرائد (نور) ، وبعدها سننسف المكان نسفًا .. أكرّر ..

ساد الوجوم لحظات ، عند ارتفاع النداء ، ثم هتف أحد الرجال فى حَنَق :

ـ اللعنة !!.. لقد ظفروا بنا .

هتف (نور) فى حزم :

ـ ليس بعد .

ثم أشار إلى المقاتلات ، مستطردًا فى صرامة وحماس :

ـ ما زلنا نملك سلاحًا .

هتف (فارس) فى حزم :

ـ ولن نسمح لهم بالظفر بنا فى بساطة .

وصاح (محمود) :

ـ سنؤكّد لهم أن ثمننا باهظ للغاية .

هتف (نور) فى حماس :

ـ دعونا لا نضيّع الوقت إذن .. لقد أمهلونا دقيقتين فحسب .

تألق بريق الحزم فى العيون ، ثم انطلق الجميع نحو المقاتلات ، وهتف (نور) عبْر جهاز الاتصال الداخلىّ :

ـ الآن .

وعلى الفور انطلقت خمس وثلاثون مقاتلة ، تحمل نسور الأرض ..

وبدأ القتال ..

* * *

٩ ـ النُّسُور ..

ارتجف جسد (سلوى) ، وهى تتابع على شاشة الراصد الخاص ، فى المقر السرّى للمقاومة ، انطلاق المقاتلات ، وبدء الهجوم ، وهتفت من أعماقها :

ـ يا إلهى !!.. احفظ لنا (نور) .

أجابتها ابنتها (نشوى) ، وهى ترتجف انفعالاً :

ـ سينجو يا أمى .. سينجو بإذن الله .

راقبت (سلوى) المعركة على الشاشة ، وهى تقول فى توتر :

ـ لقد كان للمفاجأة نصيبها كالمعتاد .. لقد أوقع نسورنا خسائر فادحة بالعدوّ ، مع الهجمة الأولى .

تمتمت (نشوى) :

ـ أتعشّم أن يستمر ذلك .

غمغمت (سلوى) :

ـ وأنا أيضًا .

سألتها (نشوى) فى توتُّر :

ــ وماذا عن ذلك السلاح المجهول ، الذى طلب (بودون) الأرغورانى من أبى استخدامه ؟

هزَّت (سلوى) رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ــ لست أدرى .. إنه لم يخبر والدك عن كنهه ، ولكنه طلب منه استخدامه إذا ما تعقَّدت الأمور .

سألتها فى لهفة ، وهى تتابع المعركة ببصرها :

ــ هل أخبره بموقعه ؟

أجابتها (سلوى) فى توتُّر :

ــ لقد ترك جهازًا صغيرًا ، يمكنه أن يقودنا إليه .

ثم هتفت فى ذُعر :

ــ لقد سقطت بعض مقاتلاتنا .. يا إلهى !

أجابتها (مشيرة) فى توتُّر :

ــ هذا أمر طبيعىّ .. أليست معركة ؟

صاحت (سلوى) :

ــ ولكننى أخشى أن يكون (نور) ..

لم تتم عبارتها ، فلم تكن تحتمل مجرَّد ذكر ذلك ..

وانعقد حاجباها فى قوة ، وهى تتابع المعركة ، وقد بلغ توتُّرها ذِرْوَته ، ثم لم تلبث أن قالت فى حزم :

ــ أظن أنه من الأفضل أن نعلم طبيعة هذا السلاح .

واندفعت فى حزم داخل حجرة (نور) ، وجذبت أحد أدراج مكتبه فى حِدَّة ، والتقطت منه ذلك الجهاز الصغير ، الذى تركه (بودون) ، وتطلَّعت إليه فى توتُّر ، ثم قالت فى صرامة :

ــ نعم .. من الأفضل أن نعلم .

وبكل الحزم ، ضغطت زِرًّا صغيرًا فى جانب الجهاز ..

وبدأت عملية البحث ..

* * *

التهبت أعماق الإمبراطور (آغرو) بالغضب ، وهو يتابع المعركة على شاشته الخاصة ..

كان من الواضح أن (نور) ونسوره سيربحون ..

ولقد جُنَّ جُنون الإمبراطور ..

وكم شعر بالحنق ، لأنه لم يأمر مقاتلاته بالانضمام إلى المعركة ..

وفى ثورة غضبه ، ضغط زِرًّا مجاورًا ، وصاح عبْرَ جهاز اتصال خاص متطوِّر ، ينقل أوامره لجنوده فى مختلف المواقع ، فى آن واحد :

— كل المقاتلات فى (مصر) تغادر مواقعها ، وتنطلق إلى (زاود — ٦٣) .

لم يكد يلقى الأمر ، حتى أدرك أنه قد يتسبّب فى حدوث كارثة ، فالمقاتلات لن تدرك مَن العدُوّ ومَن الصديق ، لأنها كلها من طراز واحد ، وتحمل شعارًا واحدًا ..

وهنا أسرع يستطرد :

— وليتغير لون كل المقاتلات إلى الأصفر ، وليتم سحق كل مقاتلة لا تحمل هذا اللون .

وكان ذلك التخبُّط فى صالح (نور) ونسوره ..

لقد منحهم وقتًا كافيًا للقتال ..

ولقد فقدوا ثمانى عشرة مقاتلة ..

وانتصروا ..

وصاح (فارس) فى سعادة غامرة :

— لقد انتصرنا أيها القائد .. انتصرنا .

هتف (نور) ، عبْر جهاز الاتصال الداخلى :

— دَعونا لا نكتفى بهذا الآن .. ولنضرب كل الضربات فى سرعة ، فنطرق الحديد وهو ساخن ، قبل أن يَفيق المحتلُّون من المفاجأة ..

صاح (فارس) فى حماس :

— ما الهدف الذى تقترحه أيها القائد ؟

هتف (محمود) من مقاتلته :

— ما رأيكم بالمقر الإمبراطورىّ ؟

أجابه (نور) :

— لا ريب أن الإمبراطور قد رأى ما حدث ، عبْر راصده الخاص ، واتخذ أهبته لصدّ هجومنا المتوقَّع .

سأله (فارس) :

— أنهاجم شاشاتهم إذن ؟

أجاب (نور) :

— بل سنختار هدفًا لن يخطر ببالهم قطّ .

سأله الجميع فى اهتمام :

— ما هو ؟

صاح بهم فى لهجة حماسية :

— ذلك الوغد الذى يحتلّ فضاءنا ، ويراقبنا بعين صقر شرس .. سنهاجم حارسهم الأكبر .. (الرُّعب الفضائى) .

قالها وجذب ذراع قيادة مقاتلته ، فارتفعت إلى الفضاء ..

وانطلقت ست عشرة مقاتلة خلفه ، نحو الحارس الفضائى للغزاة ، والمعروف باسم (الرُّعب) ..

(الرُّعب الفضائى) ..

* * *

(الرُّعب الفضائى) هذا هو سفينة فضاء هائلة ، مزوَّدة براصد عملاق ، يراقب الأرض طِيلَة الأربع والعشرين ساعة ..

ولقد وضعه الغزاة هناك ، للسيطرة على أية محاولة متطوِّرة ، من قِبل سكَّان الأرض ، لصدِّ الغزو ، أو مقاومة الاحتلال ..

وذاكرَة هذا (الرُّعب الفضائى) مزوَّدة بمختلف تفاصيل الظواهر الأرضية الطبيعية ، المعتاد منها ، والنادر ، وحتى الشديد الندرة ، وببرنامج شديد التعقيد ، لكل الاحتمالات الممكنة لهجوم أرضى ..

ولقد كانت مهاجمة (الرُّعب الفضائى) أشبه بالانتحار ، لما يحتويه من وسائل دفاعية وقتالية كمبيوترية فائقة الدقَّة والجَوْدة ..

وكان (نور) ورفاقه يعلمون ذلك ..

ولقد سأل (فارس) (نور) :

ـ هل نهاجمه هكذا .. مباشرة ؟..

أجابه (نور) فى مرح :

ـ وما الذى تتوقَّعه غير ذلك ؟

غمغم (فارس) بعد فترة من الصمت :

ـ كنت أتوقَّع نوعًا من المراوغة فى الواقع .

أطلق (نور) ضحكة قصيرة ، وهو يقول :

ـ خطأ يا صديقى .. المراوغة ستجعله ينتبه إلى اللُّعبة .. صدِّقنى .. الهجوم المباشر سيكون أفضل مراوغة فى التاريخ .

ثم ضاعف من سرعة مقاتلته إلى الحد الأقصى ، مستطردًا :

ـ وسيكفل لنا أولى خطوات النصر .

وكان على حق ..

لقد رصد (الرُّعب الفضائى) انطلاقة المقاتلات السبع عشرة من الأرض ..

ولكنه لم يفهمه ..

لقد بدت له المقاتلات فى البداية ، وهى تخترق الغلاف الجوى ، أشبه بشهاب ينطلق عكس الاتجاه الطبيعى ، أو بظاهرة طبيعية غير مألوفة ..

ولقد بحث فى ذاكرته عن حالة مشابهة ..

بحث طويلا ..

وارتبك ..

ثم اتضحت الرؤية لأجهزته بغتة ..

ولم يزده هذا إلا حَيْرة ..

كانت تلك الظاهرة عبارة عن مقاتلات فضائية ..

وكانت مقاتلات صديقة ..

ولم يكن برنامجه يحوى أيَّة زيارات من هذا النوع ..

وفى هذه المرَّة ، لم يجد وقتًا للمجادلة أو البحث ..

لقد واجه أمرًا لا يقبل الجدل ..

واجه هجومًا ..

وانهالت حزم الأشعة الأرجوانية على (الرعب الفضائى) ..

وأجاب هو بالمثل ..

وكانت معركة حامية الوطيس ..

وانسحقت تسع مقاتلات ..

وأصابت الأشعة الأرجوانية أجزاء عدة من (الرُّعب الفضائى) ..

وهتف (فارس) ، وهو يدور بمقاتلته حوله :

ـ هناك قُبَّة وردية صغيرة ، فى الطرف الجنوبى لذلك اللَّعين ، ويبدو أنها أشدّ أجزائه حساسية ، أو أخطرها ، فهو يدافع عنها فى شراسة .

أجابه (نور) :

ـ هذا صحيح .. من الواضح أن إصابتها قد تدمِّره تمامًا ، ولكن عددنا لن يسمح بمهاجمته ، وإصابتها ..

عقد (فارس) حاجبيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ـ هذا صحيح .

ثم ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف :

ـ إلَّا إذا .....

بتر عبارته بغتة ، ثم دار بمقاتلته ، وانطلق بها بعيدًا فى الفضاء ، فهتف به (نور) عَبْرَ جهاز الاتصال :

ـ إلى أين يا (فارس) ؟

أجابه (فارس) فى انفعال ، وهو يواصل انطلاقه مبتعدًا :

ـ هناك نظرية قديمة أيها القائد ، تقول إن الجسم يزداد صلابة ، مع ازدياد سرعته ، حتى أن العلماء قد تمكَّنوا من اختراق لوح من الصلب ، يبلغ سُمكه سنتيمترًا واحدًا ، بقنبلة من الشمع ، ثمَّ إطلاقها بسرعة بالغة(*) .

(*) حقيقة علمية .

سأله (نور) فى توتر :

ــ أعلم هذا ، ولكن ما الذى يعنيه ؟

أوقف (فارس) مقاتلته ، واستدار بها ليواجه (الرُّعب الفضائى) ، وتلك القبّة الوردية ، فى الطرف الجنوبى منه ، وهو يقول فى حزم :

ــ يعنى أنه ربما كانت هناك وسيلة لتدمير ذلك الوغد ، وتحرير الأرض من سيطرته اللعينة .

قالها وضغط عصا القيادة فى قوة ، فانطلقت مقاتلته نحو (الرُّعب الفضائى) بسرعتها القصوى ، وصرخ (نور) :

ــ لا يا (فارس) .. لا .. سنجد وسيلة أخرى فى المستقبل حتمًا .

أجابه (فارس) فى حزم :

ــ مَنْ يدرى ما الذى يخبئه لنا المستقبل أيها القائد ؟.. ربما كانت هذه هى آخر فرصة نبلغ فيها ذلك اللعين .

صاح (نور) :

ــ كلّا يا (فارس) .. كلّا ..

ولكن (فارس) أجابه فى صرامة :

ــ معذرة أيها القائد .. إنه قرارى .. وسأقطع الاتصال فيما بيننا .. وداعًا .

عاد (نور) يصرخ :

ــ لا يا (فارس) .. لا تفعل ذلك .

ولكن (فارس) لم يسمعه ..

لقد أنهى الاتصال ..

وراحت مقاتلته تندفع نحو (الرُّعب الفضائى) فى سرعة مخيفة ..

وفى ذهنه ، راح شريط من الذكريات يجرى بسرعة النور ..

ذكريات لم يعشْ معظمها ..

ذكريات نقلها إليه جده ، عن جدوده ..

ذكريات فروسية وبطولات ..

وخُيّل إليه أنه يمتطى فرسًا عربية ، ويمتشق سيفًا بتّارًا ..

ومن أعمق أعماق نفسه أطلق صرخة ردّدها الفضاء لأجيال وأجيال ..

صرخة مقاتل ..

صرخة (فارس) يهتف :

ــ ارتجفى أيتها القبّة اللعينة .. لقد جاءك (فارس) .

وأطلق (نور) صرخة ملتاعة :

ـ لا يا (فارس) .

ورأى آخر نسور المقاومة مقاتلة (فارس) ، وهى تنقضّ على القبّة الوردية الصغيرة كالصاعقة ، وتراوغ شعاعًا أرجوانيًا أخيرًا ، ثم ترتطم بها ..

ودوّى الانفجار ..

* * *



ورأى آخر نسور المقاومة مقاتلة (فارس) ، وهى تنقضّ على القبّة الوردية الصغيرة كالصاعقة ..

١٠ ـ السُّقوط ..

لم تصدِّق (نشوى) عينيها ، وهى ترى ما حدث ، على شاشة الراصد الخاص ، فتجمَّد لسانها فى حلقها لحظات ، واتسعت عيناها فى صمت ، قبل أن تقفز من مكانها ، وتهتف فى سعادة غامرة :

ـ لقد هزمناه .. لقد هزمنا ذلك الوغد .

ثم قفزت تحتضن (مشيرة) ، صائحة :

ـ لقد انفجر (الرُّعب الفضائى) .. لقد قطعنا نصف الطريق نحو الحرِّيَّة .

هتفت (مشيرة) فى سعادة :

ـ أرأيت يا (سلوى) ؟.. لقد فعلها رجالنا بالفعل .

مسحت (سلوى) دمعة ترقرقت فى عينيها ، وهى تغمغم :

ـ لقد رأيت ما حدث .. رأيته .

ثم اتجهت نحو خريطة بحث إليكترونية ، وراحت تتابع بعض النقاط المضيئة فوقها ، فهتفت بها (نشوى) :

ـ ماذا تفعلين يا أمَّاه ؟

أجابتها (سلوى) ، وقد سالت دموعها على وجنتيها :

ـ أبحث عن الموضع ، الذى ترك فيه (بودون) سلاحه السِّرِّىّ يا بنيَّتى .

صاحت بها (نشوى) فى دهشة :

ـ ولكن لماذا يا أمَّاه ؟.. لقد حطَّم رجالنا (الرُّعب الفضائى) ، و .....

قاطعتها (سلوى) فى صوت باكٍ :

ـ وتبقَّى منهم أربعة رجال فحسب .. إنكما لم تنتبها إلى ذلك ، ولكننى أنا فعلت .. أنا أحصيت المقاتلات التى تبقَّت .. وعلمت أننا قد فقدنا الجميع تقريبًا .

وتفجَّرت الدموع من عينيها ، وهى تستطرد :

ـ وقد يكون (نور) من بين من فقدناهم .

انتبهت (نشوى) إلى ذلك الاحتمال للمرَّة الأولى ، فشحب وجهها ، وهتفت فى ارتياع :

ـ أبى !!.. يا إلهى !

سالت الدموع من عينى (سلوى) غزيرة كالشلال ، وهى تقول :

— كنت أتوقع مثل هذه النهاية ، منذ بدأنا المقاومة .. كنت أتوقع أن يلقى (نور) حتفه يومًا .

تفجرت الدموع في عيني (نشوى)، وهي تهتف بدورها :

— يا إلهي !!.. أبي !!

قالت (سلوى) في حزم :

— كنت أتوقع ذلك ، ولكن (نور) علمني درسًا .

بدت صلبة ، على الرغم من حزنها وآلامها ، وهي تتابع :

— أن الكل أهم من الجزء .

تمتمت (مشيرة) في خفوت :

— ماذا يعنيه هذا ؟

أجابتها في صرامة :

— يعني أنه حتى لو فقدنا أحب الناس إلى قلوبنا ، فلا ينبغي أن نهمل الهدف الأعظم أبدًا .

صمتت لحظة ، ثم أضافت في حزم :

— الوطن .

وعادت تتابع تلك النقاط المضيئة ، التي تركزت كلها عند نقطة واحدة ، في الطرف الشمالي للبلاد ، حيث وضع (بودون) مركبته الفضائية الصغيرة ..

وحيث أخفى سلاحه السري ..

أمل الأرض الأخير ..

* * *

انحدرت الدموع من عيني (نور) ، إثر انفجار (الرعب الفضائي) ..

دموع فرح ، تمتزج بدموع ألم ومرارة ..

الفرح لتحقيق ذلك النصر ..

والألم والمرارة لفقد (فارس) ..

وفي صوت خافت ، سأل (نور) :

— مَنْ تبقَّى ؟

أتاه صوت (محمود) ، عَبْرَ أجهزة الاتصال ، يقول :

— أنا واثنان آخران يا (نور) .

غمغم في حزن :

— فقط ؟!

أجابه (محمود) :

— نعم يا (نور) .. فقط .

وأتاه صوت مقاتل أردني ، يقول :

— ولكن ما حققناه من نصر يستحق ذلك الثمن .

تنهّد (نور) فى عمق ، وهو يغمغم :

ـــ ربّما .

قال (محمود) فى خفوت مماثل :

ـــ والآن ماذا علينا أن نفعل ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ـــ نعود إلى الأرض .

قال (محمود) فى توتّر :

ـــ سيكونون فى انتظارنا حتمًا .

تنهّد (نور) مرّة أخرى ، مجيبًا :

ـــ لقد اعتدت ذلك .

وانطلق بمقاتلته عائدًا إلى الأرض ..

وعبَرَت المقاتلات الأربع الغلاف الجوىّ للأرض كأربعة نيازك نارية ..

وفجأة ، انقضّت عليها مقاتلات الإمبراطور ..

وفى كل مقاتلة منها ، ارتفع صوته ، وهو يهتف فى هياج :

ـــ ابذلوا أقصى جهدكم لأسرها .. أريد قادة هذه المقاتلات أحياء .. أريدهم كذلك بقدر الإمكان ..

وبناءً على أوامره ، راحت مقاتلاته تناور المقاتلات الأربع فى براعة ، وهتف (محمود) :

ـــ إنهم يحيطون بنا من كل جانب يا (نور) .. لقد انتهى أمرنا .

أجابه (نور) فى حزم :

ـــ ليس بعد .. أظنهم لا يقصدون قتلنا .. بل أسرنا فحسب ، فهم يفوقوننا عددًا ، بنسبة واحدة إلى مائة ، ولكنهم لم يحاولوا قتلنا بعد .

هتف (محمود) فى توتّر :

ـــ ولكن لماذا ؟

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يجيب :

ـــ لست أدرى ، ولكن يمكننا أن نختبر ذلك .

قالها ، وانحرف بمقاتلته بغتة ، وانطلق نحو الغرب ..

ولم تطلق مقاتلة واحدة أشعتها عليه ..

لقد انفصلت عشر مقاتلات عن السرب ، وراحت تطارده فى إصرار ، فى محاولة لتطويقه من جديد ..

وأطلق (نور) العنان لطائرته ، وانطلق بها بالسرعة القصوى ..

وعبَرَت المقاتلات شمال (أفريقيا) كله ، وراحت تنطلق فوق المحيط الأطلنطى ، وقال قائدها عبر جهاز اتصاله :

— نطلب الأمر بالاشتباك ، خشية أن نفقد الهدف .

مرّت مرحلة من الصمت ، ثم أجابه الإمبراطور :

— فليكن ، ولكن حذار من توجيه ضربة مباشرة .. إصابة فى الذيل تكفى .. أريد قائد هذه المقاتلة حيًّا .

أجابه القائد فى حزم :

— سمعًا وطاعة يا مولاى .

ثم أنهى الاتصال ، واستطرد فى سُخرية :

— ولكن احتمالات الخطإ قائمة .

وأطلق أشعته نحو مقاتلة (نور) ..

وفى منتصفها تمامًا ..

* * *

تطلّع (رمزى) فى توتُّر إلى وجوه الرجال الثلاثة ، الذين استسلموا لإدارته تمامًا ، وغمغم :

— تُرى ، هل تنجح تلك الخُطَّة الجُنُونية ؟

اقترب منه أحد الغزاة فى هذه اللحظة ، وهو يقول فى خشونة :

— لا تقف هنا .. الاجتماعات الخاصّة ممنوعة .. عودوا إلى عملكم ..

توتّرت كل عضلة فى جسد (رمزى) ، وأدرك أن ساعة الحسم قد حانت ، فاعتدل فى وقفته ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وقال فى صرامة :

— ليس لك الحق فى أن تأمرنى .

خُيِّل للحارس أنه لم يسمع العبارة جيِّدًا ، فهتف فى دهشة :

— ماذا تقول أيها الأرضى ؟

أجابه (رمزى) فى حِدَّة :

— أقول إنه ليس لك الحق فى أن تأمرنى ، وأننى لن أعود إلى عملى .

رَانَ صمت رهيب على المكان ، واتجهت كل العيون فى شفقة ودهشة نحو (رمزى) ، وغادر الحرّاس أماكنهم ، واتجهوا إليه فى غضب ، وهتف أحدهم فى غِلْظَة :

— هل أصابك الجُنُون أيها الأرضى ؟.. عُدْ إلى عملك قبل أن .....

قاطعه (رمزى) فى حِدَّة :

— قُلت لك إننى لن أعود .

عقد الحارس حاجبيه ، وقال فى حَنَق :

— حسنًا أيها الأرضىّ الأحمق .. أنت أردت ذلك .

ورفع خمسة من الحرّاس العشرة فوّهات بنادقهم نحوه ..

وحانت لحظة الحسم الحقيقية ..

وأصبح (رمزى) أمام خيارين ، لا ثالث لهما ..

إمّا أن تنجح لحظة ..

أو يموت ..

* * *

كان (نور) ينطلق بسرعة خرافية ..

ولقد أنقذته سرعته ..

لقد تجاوزته الأشعة الأرجوانية بسنتيمترات قليلة ..

وجُنَّ جُنُون قائد المقاتلات ..

وأطلق نحو (نور) طلقة أخرى ، وهو يصرخ :

— لن تفلت أيها الأرضى ..

ولم يفلت (نور) حقًا ..

أصابت الطلقة الأرجوانية دفّة مقاتلته ، وسحقتها سحقًا ..

وفقدت المقاتلة توازنها ..

وفجأة ، وجد (نور) نفسه يندفع بسرعة مذهلة نحو مياه المحيط الأطلنطى ، ويرتطم بها فى عنف ..

وبسرعة خرافية ، راح مؤشّر الارتفاع يشير إلى كيلومترين تحت سطح المحيط .. ثم ثلاثة كيلومترات ..

وأدرك (نور) أن المقاتلة لن تحتمل ذلك الضغط الهائل ..

وأنها النهاية ..

وواصلت المقاتلة غوْصها ، وإن انخفضت سرعتها كثيرًا ، بفعل مقاومة المياه ..

وعندما أشار المؤشّر إلى أربعة كيلومترات ، تحت سطح المحيط ، سمع (نور) صوت جدران المقاتلة ، وهى تنطبق ، وتتهشّم ..

وكانت حقًا النهاية ..

نهاية معركة (نور) ..

* * *

[انتهى الجزء الرابع بحمد الله ،
ويليه الجزء الخامس والأخير]

(النصر)

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

٧٩

التحدّى

- ما مصير الأرض ، عندما يقرّر الخلوت صب جام غضبهم عليها ؟
- ماذا يفعل (نور) وفريقه ، إزاء تلك الضربة الانتقامية العنيفة ؟
- من يربح هذا الصراع ؟.. ومن ينتصر فى ذلك (التحدّى) ؟
- اقرأ التفاص[illegible] المث[illegible]ة ، وشارك (نور) وفريقه ، فى الت[illegible] .



الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : النصر

روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

سري جداً!!؟

٨٠

النَّصر



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

١ ــ سقوط ..

« كلمة السر (نور) .. »

همس شيخ وقور بهذه العبارة فى حذر ، وهو يتلفَّت حوله قلقًا ، أمام باب منزل صغير . اصطبغت كل جدرانه بلون أبيض شاهق ، شأن كل منازل (الدار البيضاء) ، فى المغرب ، فتطلَّع إليه رجل متين البنيان بنظرة حادة ، قبل أن يفتح باب المنزل فى بطء ، هامسًا بدوره :

ــ ادخل .

أسرع الشيخ الخطا ؛ لدخول المنزل الصغير ، المطلّ على شاطئ المحيط الأطلنطى ، فأضاف الرجل فى حزم هامس :

ــ تظاهر بالهدوء ، وإلا أثرنا شكوكهم .

خفَّف الشيخ سرعة خطواته بغتة ، حتى لقد كاد يتعثَّر ، لولا أن تشبَّث بيد الرجل ، وغمغم :

ــ معذرة يا ولدى .. معذرة .

ابتسم له الرجل فى تعاطف هادئ ، ثم قاده إلى أريكة واسعة ، تواجه شرفة المنزل مباشرة ، فقال الشيخ فى قلق :

— ألن يجعلنا هذا أمام عيونهم مباشرة ؟
أجابه الرجل :
— بلى .
ثم أضاف ، وهو يجلس إلى جواره :
— ولكن هذا يقلّل من شكوكهم وريبهم كثيرًا ، فما من محتلّ ، عبر التاريخ كله ، يتصوّر أن مناهضيه يمكنهم التخطيط لذبحه أمام عينيه .
أومأ الشيخ برأسه متفهمًا ، ثم اختلس نظرة عبر زجاج الشرفة إلى شاطئ المحيط ، حيث يسبح على بساط من الهواء قرص كبير ، وفوقه خمسة من جنود (جلوريال) المحتلين ، وقال :
— أتظن تاريخهم يشبه تاريخنا ؟
هزّ الرجل كتفيه ، وقال :
— ربّما .
ثم التفت بكيانه كله إلى الشيخ ، يسأله فى اهتمام بالغ :
— والآن يا سيّدى .. ماذا لديك ؟
ازدرد الشيخ لعابه ، وكأنما يشحذ حواسه كلها ، قبل نقل ما لديه ، وهمس فى توتّر :
— لقد اقتربت ساعة الصفر .

انتفض جسد الرجل فى قوة ، وهو يهتف :
— أقتربت ؟! حقًا ؟
أومأ الشيخ برأسه إيجابًا فى انفعال ، وعاد يختلس النظر إلى دورية أخرى من دوريات المحتلين ، قبل أن يقول :
— نعم .. وصلتنى إشارة خاصة ؛ لكى نبدأ استعداداتنا ، وتتصل كل الشبكات بعضها ببعض ، بحيث تشتعل جذوة الحرب ، فور ارتفاع العلم الأرضى على سفينة القيادة الإمبراطورية .
سأله الرجل فى انفعال :
— وكيف سنعلم بحدوث هذا ؟.. كيف ؟
أشار إليه الشيخ بالهدوء ، وأجاب :
— ستنقل لنا شاشات الأوامر هذا المشهد .. لست أدرى كيف ؟.. ولكن هذا ما سيحدث .. لن يعجز الرائد (نور) عن فعل هذا .
أومأ الرجل برأسه موافقًا فى حماس ، وهو يقول :
— بالتأكيد .
ثم رفع رأسه فى اعتزاز ، مستطردًا :
— لقد صار (نور) هذا رمزًا للأمل ، ورمزًا لـ .....

بتر عبارته بغتة ، وهو يعقد حاجبيه ، ويتطلّع إلى نقطة ما خارج المنزل ، مما جعل الشيخ يلتفت إلى هذه النقطة فى سرعة ، وهو يقول فى توتر :

ـــ ماذا هناك ؟

أشار الرجل إلى نقطة تتحرّك فى سرعة فى السماء ، وهو يقول :

ـــ انظر .. هناك .. يبدو لى كما لو أن مقاتلات المحتلين تطارد مقاتلة من جنسهم .

هتف الشيخ فى دهشة :

ـــ ماذا تقول ؟!.. ولماذا تطارد مقاتلات العدو بعضها البعض ، و...؟

صاح الرجل مقاطعًا إياه :

ـــ انظر .. لقد أصيبت المقاتلة الصغيرة فى المقدمة .. ها هو ذا خيط من الدخان الأسود يرتفع منها .. إنها ستسقط فى قلب المحيط حتمًا .

ضاقت حدقتا الشيخ ، وهو يبذل أقصى جهده ؛ لرؤية المشهد ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى أسف ، مغمغمًا :

ـــ معذرة يا ولدى .. لم يعد بصرى كما كان .

ثم تنهّد فى عمق ، وأضاف آسفًا :

ـــ ولست أدرى ما إذا كان سيشهد نهاية الاحتلال أم لا .

التفت إليه الرجل ، قائلًا فى حزم :

ـــ سيشهده يا سيّدى .. من المؤكّد أن هذا الاحتلال لن يبقى طويلًا ، مادام هناك رجال مثل الرائد (نور) ..

لم يدر وهو ينطقها أن هذه المقاتلة ، التى رآها تهوى فى المحيط منذ لحظات ، كانت تضمّ داخلها أمل الأرض كلها .. الرائد (نور) .. (نور الدين محمود) ..

* * *

لم يكن مشهد سقوط مقاتلة (نور) هو البداية ..

بل كان أحد المشاهد الأخيرة ، فى أقسى مأساة شهدها كوكب الأرض ، منذ فيضان (نوح) (عليه السلام) ..

لقد بدأ الأمر بسيل من النيازك ، رصده مركز الاستشعار الفضائى المصرى ، فى الصحراء الغربية ، وأعلن أنه يهدّد كوكبنا ..

وساد الذعر فى كوكب الأرض كله ..

وراح سيل النيازك يقترب فى سرعة مذهلة ..

ولكنه لم يرتطم بكوكب الأرض ..

لقد هبطت النيازك كلها على سطح الكوكب فى هدوء ، واستقرّت فوقه ، على نحو بالغ التنظيم ، فى كل قارات ودول العالم ، ثم أحيطت كل مجموعة من النيازك بقبة وردية غريبة ، فى نفس الوقت الذى اقترب فيه نيزك هائل من كوكبنا ..

وفجأة ، راح النيزك الهائل يهاجم كل الأقمار الصناعية المحيطة بالأرض ، وسحقها سحقًا ..

كل الأقمار الصناعية ..

وفى نفس اللحظة ، تحوّلت القباب الوردية إلى لون أزرق ، وانطلقت منها مئات الآلاف من المقاتلات الفضائية ، ذات السرعات الرهيبة الفائقة ، التى بدت معها سرعة مقاتلاتنا الأرضية كسرعة السلحفاة ، وراحت المقاتلات الفضائية تمطر الأرض بأشعتها الأرجوانية الساحقة ، التى أطاحت بكل معالم وصور الحضارة على الأرض ..

كل دور الكتب ..

وكل وسائل الاتصال ..

المتاحف ..

المسارح ..

مراكز الكمبيوتر والمعلومات ..

كل مظهر حضارى تحطّم وانسحق ، وذهب .. فى ساعات انهارت حضارة قرون وقرون ..

ووسط هذا الجحيم ، انطلق (نور) وزوجته وابنته ، يحاولون جمع شمل الفريق ، وإنقاذ من يمكن إنقاذه ..

وعثروا على (محمود) ..

واختفى (رمزى) والدكتور (حجازى) تمامًا ..

وفى محاولة أخيرة ، انطلق (نور) ورفاقه إلى مقر قيادة المخابرات العلمية المصرية ، وهناك التقوا بالقائد الأعلى للمخابرات العلميّة ، والدكتور (عبد الله) ، مدير مركز البحث العلمى ، حيث أعطى القائد الأعلى لـ (نور) حقيبة خاصّة ، تحوى مكعبات كمبيوترية ، بها كل تاريخ وحضارة وفنون وعلوم وآداب كوكب الأرض ..

وانطلق (نور) ورفاقه إلى ممر سرّىّ خاصّ ، فى اللحظة التى انهار فيها مقر القيادة ، ووقع القائد الأعلى والدكتور (عبد الله) فى قبضة المحتلين ، ولقيا مصرعهما ، واستتبّ الأمر للغزاة ..

وارتفع علم الغزاة الأزرق ، ذو الدائرة الحمراء ، فى كل أنحاء الأرض ..

وكانت بداية الاحتلال(*) ..

ومضى عام كامل من الاحتلال ..

وطوال هذا العام ، راح جنود الغزاة يبحثون عن (نور) ، بكل عنف وشراسة ، بقيادة قائدهم (كوماد) ، وبناء على أوامر إمبراطورهم (آغرو) ..

لم يكن أحد يدرى لماذا (نور) بالذات ؟..

لماذا يسعى الإمبراطور خلف أرضى واحد ، بكل هذه الشراسة ؟.

حتى قائد الجيوش نفسه ، لم يكن يدرى لماذا يفعل إمبراطوره هذا ؟.

بل لم يكن يدرى كيف عرف إمبراطوره بأمر (نور) ، حتى قبل أن تحتل قواتهم الأرض ؟..

ولكن هذا لم يمنع (كوماد) ، من أن يتفتق ذهنه عن فكرة جهنمية ، لإجبار (نور) على الظهور ، وإرضاء إمبراطوره (آغرو) ، وشعب كوكبه (جلوريال) ..

وأعلن (كوماد) أنه سيعدم والدى (نور) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

واتخذ الخطوات الفعلية لهذا ..

وهنا كان على الأسطورة أن تنتقل إلى عالم الواقع ..

وظهر (نور) ..

ظهر فى مشهد خرافىّ أسطورىّ ، شاهده كل بشرى على وجه الأرض ، وشاهد مولد المقاومة ، وأوّل انتصار لـ (نور) ..

واستعاد (نور) والديه ، وعثر على رفيقيه (رمزى) و الدكتور (حجازى) ..

وارتفعت راية المقاومة ..

وجنّ جنون الإمبراطور (آغرو) ..

واشتعل غضب (كوماد) ..

وانطلقت كل عيون الحراسة للقضاء على (نور) ..

ونجح (نور) فى الفرار ، بعد أن أعلن مولد عهد جديد ..

عهد مقاومة الاحتلال(*) .

وفى شراسة منقطعة النظير ، راح (كوماد) يستجوب من وقع بين يديه من رفاق (نور) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الثانى (المقاومة) .. المغامرة رقم (٧٧) .

ولكن (رمزى) أفقد الجميع ذاكرتهم ، بوساطة قدرته النادرة على التنويم المغناطيسى ، فلم ينجح (كوماد) فى الفوز بكلمة واحدة من أحدهم ، برغم أنه قد عرّض (محمود) لعذاب رهيب ..

وأخيرًا أرسل (كوماد) (رمزى) والدكتور (حجازى) إلى جحيم أرضىّ غامض ، يعدّه إمبراطوره على كوكب الأرض لهدف مجهول ..

وفى نفس الوقت ، كان هناك مقاتل فضائى آخر يهبط على كوكب الأرض ..

مقاتل يُدعى (بودون) ، من كوكب (أرغوران) ..

وانضمّ (بودون) إلى فريق المقاومة الأرضى ..

وانضمّ إلى الفريق مقاتل سعودى صنديد ، يُدعى (فارس) ..

وبلعبة ماهرة باسلة ، حقّقت المقاومة الأرضية نصرًا جديدًا ..

وارتفع العلم المصرى فوق مقرّ قيادة (كوماد) ..

واستعاد (نور) رفيقه (محمود) ..

ولكن لكل معركة خسائرها ..

لقد سقط المقاتل الأرغورانى البطل (بودون) ..

ولكن هذه المرحلة الجديدة لم تسقط ..

مرحلة الصراع(*) ..

وتضاعف غضب الإمبراطور (آغرو) ..

وجنّ جنون (كوماد) أكثر ..

وبدأت مرحلة التحدّى ..

وراح (كوماد) يعيد استجواب نائب القائد الأعلى للمخابرات العلميّة ، والدكتور (عبد المنعم) ، نائب مدير مركز البحث العلمى ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بعدم جدوى هذا ، فأعادهما إلى الجحيم الأرضى ، فى نفس الوقت الذى كان (نور) يعدّ فيه لضربة جديدة ..

وتنكّر (نور) فى هيئة (كوماد) ، وذهب مع (فارس) ، وعدد من رجال المقاومة ، إلى واحدة من القباب الوردية ، وجميعهم يرتدون زى جنود (جلوريال) ..

فى نفس الوقت كان الحكيم الجلوريالى (جلاكس) يشعر بالقلق ، لذلك التحوّل العجيب ، الذى طرأ على إمبراطوره

(*) لمزيد من التفاصيل، راجع الجزء الثالث (الصراع) .. المغامرة رقم (٧٨) .

(آغرو) ، بعد أن احتلّ كوكب (أرغوران) ، ثم جنّ جنونه بغتة لاحتلال الأرض ، والقضاء على ذلك الأرضى (نور) ..

وتسلّل (جلاكس) إلى القاعة الإمبراطورية سرًّا ..

وانتفضت كل خلية من خلاياه رعبًا لما رأى ..

لم يكن هذا الجالس فى القاعة الإمبراطورية هو إمبراطوره (آغرو) الذى يعرفه ..

كان شخصًا آخر ..

بل شيئًا آخر ..

شيئًا رهيبًا ..

مخيفًا ..

وقتل ذلك الشىء ، الذى يحمل جسد الإمبراطور ، الحكيم (جلاكس) ..

ومع مصرع (جلاكس) ، كان (نور) وفريقه يواجهان موقفًا آخر ..

لقد وجدوا أمامهم (كوماد) نفسه ، داخل القبة الوردية ..

وكان لابد من اشتعال الجحيم ..

وتفجّرت المعركة ، داخل القبة الوردية ..

وتراجع جنود (جلوريال) ، أمام بسالة الأرضيين ..

وفرّ (كوماد) ..

وربح فريق (نور) ثلاثًا وثلاثين مقاتلة جلوريالية ..

وتقرّر أن يبدأ الهجوم على (الرعب الفضائى) .. ذلك الجرم الهائل ، الذى وضعه المحتلون فى المجال الأرضى ، ليراقب كل محاولة للتمرّد ، من قبل الأرضيين ..

فى نفس الوقت كان (رمزى) و الدكتور (حجازى) قد التقيا بنائب القائد الأعلى والدكتور (عبد المنعم) ، وأقنعهما (رمزى) بأن يخضعا للتنويم المغناطيسى ، فى محاولة للفرار من الجحيم الأرضى ..

وخضع له الجميع ، ثم حانت لحظة المواجهة ..

وتمرّد (رمزى) على أوامر حرّاس الجحيم الأرضى ..

وارتفعت فوّهات خمس بنادق جلوريالية فى وجه (رمزى) ..

وحانت لحظة المواجهة ..

ولم يكن (رمزى) يدرى لحظتها أن (نور) ورفاقه النور قد نجحوا فى تدمير (الرعب الفضائى) ..

دمّره (فارس) ، مضحّيًا بحياته من أجل الأرض ..

من أجل كوكبه كله ..

وبقى (نور) بمقاتلته ، التى راحت المقاتلات الجلوريالية تطاردها فى إصرار ..

وعبرت مقاتلة (نور) سماء (المغرب) ..

وانطلقت نحو المحيط الأطلنطى ..

وأصابتها طلقة من مقاتلات (جلوريال) ..

وفقدت مقاتلة (نور) توازنها ، واندفعت بسرعة نحو مياه المحيط الأطلنطى ، وارتطمت بها فى عنف ، وراحت تغوص فى أعماق المحيط فى سرعة خرافية ..

ومع ازدياد العمق والضغط ، راحت جدران المقاتلة تتهشم وتنضغط ، وأدرك (نور) أنها النهاية ..

النهاية الحقيقية(*) ..

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الرابع (التحدى) .. المغامرة رقم (٧٩) .



ومع ازدياد العمق والضغط ، راحت جدران المقاتلة تتهشم وتنضغط ، وأدرك (نور) أنها النهاية ..

٢ ـ الأمل الأخير ..

شريط كامل من الذكريات عبر رأس (رمزى) ، فى لحظة واحدة ، وهو يواجه فوهات بنادق المحتلين الخمس ..

شريط يحمل كل تفاصيل حياته وعمله ..

وخيّل إليه أن قلبه قد توقّف ، فى تلك اللحظة ، عن النبض ..

لقد كان يراهن بحياته ، على موهبته النادرة ، فى فن التنويم المغناطيسى ..

وانتفض جسده فى شدة ، عندما سمع أحد المحتلين يهتف :

ـ اقتلوه .

وفجأة ، تفجّر الموقف ..

كان جنود (جلوريال) الخمسة يصوّبون فوهات بنادقهم القاتلة إلى صدر (رمزى) ، وخلفهم خمسة آخرون ينتظرون مصرعه ، أو يتجاهلونه تمامًا ، واثقين من نتيجة مثل هذا القتال ، بعد أكثر من عام من احتلالهم للأرض ، وقيامهم

بحراسة الأسرى الأرضيين ، الذين ينقلهم الإمبراطور إلى هذا الجحيم الخاص ..

ولكن فجأة تحرّك الدكتور (حجازى) ، ونائب القائد الأعلى ، والدكتور (عبد المنعم) ..

لم يتحرّكوا فقط ، وإنما انقضّوا ..

كالصاعقة ..

وفى قوة مذهلة ، وسرعة مدهشة ، ومهارة مثيرة ، قفز الدكتور (محمد حجازى) نحو أحد الغزاة ، وركله بقدمه فى وجهه ، ثم انتزع منه بندقيته قبل سقوطه ، ودار على عقبيه ، يضرب فكّ آخر بكعبها ، فى نفس اللحظة التى حمل فيها نائب القائد الأعلى غازيًا ثالثًا ، وضرب به رابعًا ، وانقضّ الدكتور (عبد المنعم) على الخامس كالليث ، ولكمه فى معدته لكمة كالقنبلة ، أعقبها بلكمة ساحقة فى فكه ، هوى لها الرجل ، ما بين الذهول والألم ..

كانوا كفريق من الشياطين ، جاء من أعماق الغضب ، ليدمّر جحيم الإمبراطور ..

وكانوا رمزًا لنجاح خطة (رمزى) ، الذى قفز يلتقط واحدة من بنادق الغزاة ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ لقد نجحنا .. نجحنا ..

ولكن قوله هذا كان سابقا لأوانه ، فمازال هناك خمسة من المحتلين ، الذين أصابهم الذهول لحظات لما رأوا ، ثم لم يلبث رئيسهم أن نفض عن نفسه هذا الذهول ، وهتف :

ـ ماذا تنتظرون ؟.. اقتلوا الجميع .

وكأنما كان هذا الأمر موجهًا للجميع ، إذ ارتفعت فوهات بنادق المحتلين الخمسة نحو أبطالنا ، فى نفس اللحظة التى ارتفعت فيها فوهات البنادق ، التى استولى عليها الأبطال ، نحو المحتلين ..

وانطلقت خيوط الأشعة الأرجوانية فى قلب الجحيم ..

وفى ذهول ، توقف كل الأسرى الأرضيين عن العمل ، وهم يحدقون فيما يحدث أمامهم ..

كانوا كمن يرى حلمًا يتحقق ، أو أملًا يولد ..

وعلى الرغم من ذلك ، امتلأت قلوبهم بخوف مبهم غامض ..

خوف من يخشى المجهول ..

ثم تألقت أمامهم خيوط الأشعة تعلن حقيقة ما يرونه ..

وانطلقت الصرخات فى كل مكان ..

وانقلب الخوف إلى غضب ..

ثم كانت الثورة ..

كل الأسرى انقضوا على من تبقَّى من رجال الحراسة ..

وكانت مذبحة ..

مذبحة لم تستغرق سوى دقيقة واحدة ، انسكب فيها كل الغضب الكامن فى الصدور والقلوب ، منذ أكثر من عام كامل ، على رءوس المحتلين ..

وفى غمرة ما يحدث ، هتف (رمزى) :

ـ استيقظوا .. هيا .

كانت عبارته هى كلمة السر ، التى أودعها فى رءوس رفاقه ، لينمحى من عقولهم أثر التنويم المغناطيسى ، ولم يكد ينطقها حتى تلاشى أثر التنويم المغناطيسى من الرءوس ، فانتفض الدكتور (حجازى) ، وهو يهتف :

ـ ماذا حدث ؟ .. هل نجحنا ؟

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، وهو يجيب :

ـ نعم يا سيِّدى .. لقد نجحنا فى هذه الخطوة ، ولكننا فقدنا نائب القائد الأعلى .. لقد استشهد فى معركتنا .

تمتم الدكتور (عبد المنعم) ، وهو يجاهد لمنع دمعة حزن من الانحدار على وجهه :

ـ لكل معركة ضحاياها .

كانت ثورة الأسرى قد بلغت أوجها ، والتهب حماسهم ؛ لنجاحهم فى التغلّب على حرّاسهم العشرة ، فالتفوا حول (رمزى) ورفيقيه ، يسألونهم عمّا ينبغى أن يفعلوه بعد هذا ، فهتف بهم (رمزى) :

— أوّل ما ينبغى أن نفعله ، هو أن نغادر هذا الجحيم .

سأله أحدهم متوتّرًا :

— كيف ؟.. أنت تعلم مثلنا أنه لا يوجد سوى مدخل ومخرج واحد لهذا الجحيم الرهيب ، لا يُفتح إلا عند إحضار المزيد من الأسرى ؛ لتسخيرهم فى إقامة ذلك السعير .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وقال فى حزم :

— سنجد الوسيلة حتمًا .

أضاف الدكتور (حجازى) فى حماس :

— نعم يا رجال .. لقد بدأنا حرب الحرية ، ولن نتراجع عنها أبدًا .. أليس كذلك ؟

ارتجت جدران الجحيم الإمبراطورى بصرخة هادرة ، عندما هتف الأسرى ، فى صوت رجل واحد :

— أبدًا .

وكانت لحظة ساخرة من لحظات القدر ..

لقد أنشأ الإمبراطور هذا الجحيم ، لتلتهم نيرانه الأرض كلها ، فشاء القدر أن تندلع من وسط هذه النيران شرارة الحرية ..

ولكن هل تكفى هذه الشرارة ؟..

هل ؟..

* * *

انحدرت دمعة حزينة من عينى (سلوى) ، فأسرعت تمسحها بأصابعها المرتعدة ، قبل أن تلمحها ابنتها (نشوى) ، ولكن هذه الأخيرة غمغمت فى مرارة :

— أيعنى هذا أننا قد فقدنا أبى يا أمى ؟

حاولت (سلوى) أن تجيب ، إلا أن غصّة فى حلقها منعتها من الحديث لحظات ، قبل أن تتمتم ، فى صوت متحشرج مختنق :

— هكذا تقول كل الشواهد يا (نشوى) .. لقد طاردت مقاتلات المحتلين مقاتلته ، وأصابوها ، وسقطت فى أعماق المحيط الأطلنطى منذ ساعة كاملة ، و .....

اختنقت كلماتها بالعبرات ، فأطلقت شهقة خافتة ، ثم انهارت مقاومتها لدموعها ، فتفجرت فى عينيها ، وسالت على وجنتيها فى حرارة ..

لقد فقدت (نور) ..

فقدت الأخ والزميل والزوج والحبيب ..

فقدتهم كلهم فى شخصه ..

أية خسارة تفوق هذا ؟..

أية مرارة تبلغ نصف مرارتها لذلك ؟..

وإلى جوارها سمعت (نشوى) تقول فى حزن غاضب :

ـــ لعن الله كل الحروب ..!!

ثم انتابتها نوبة من العصبية ، وهى تستطرد :

ـــ لماذا أخسر أبى بسبب حرب كهـــذه ؟.. لماذا هو بالذات ؟.. ليس من العدل أن يقاتل وحده ، فى سبيل كوكب كامل ، يستكين للاحتلال ، ويستسلم له هكذا .. ما كان ينبغى له أن ..

قاطعتها (سلوى) هاتفة :

ـــ كفى يا (نشوى) .

ثم أمسكت كتفى ابنتها ، وتطلعت إلى عينيها مباشرة ، وهى تستطرد فى حزم :

ـــ لو أن أباك على قيد الحياة لغضب أشد الغضب يا (نشوى) ، فقولك هذا يتنافى مع كل المبادئ ، التى عاش

ومات من أجلها .. لا يا بنيّتى .. لقد علّمنى (نور) دومًا أنه لا قيمة لحياة المرء ، لو أنه يحيا لنفسه فقط ، وأن مقاومة خطر عام ، يهدد الجميع ، يتضمّن مقاومة ما تعرّض له شخصيًا من المخاطر .

ترقرق الدمع فى عينى (نشوى) ، وهى تتمتم :

ـــ نعم يا أمى .. لقد لقننى أبى هذا .

ربّتت (سلوى) على كتفيها ، وقالت فى حنان :

ـــ تذكّرى دائمًا يا بنيّتى أن أباك كان فى دفاعه عن الأرض يدافع عنك ، وعنى ، وعن رفاقنا ، وكل من نحب ، ومن الرائع أن يبذل المرء حياته ، فى سبيل من يحب .

أومأت (نشوى) برأسها موافقة ، وجفّفت دموعها بأناملها ، ثم رفعت رأسها قائلة :

ـــ فليكن يا أمى .. لن تذهب تضحية أبى هباءً .. سنواصل رحلته من أجل الأرض .

عادت دمعة تترقرق فى عينيها ، وهى تستطرد :

ـــ ومن أجل من نحب .

وواصلتا رحلتهما ..

* * *

عبر (كوماد) بقامته المشوقة مدخل سفينة القيادة الإمبراطورية ، فى الصحراء الغربية ، واتجه على الفور إلى القاعة الإمبراطورية الخاصة ، فضرب حارسها القوى كعبيه بعضهما ببعض ، وهو يرفع يده ذات القبضة المضمومة ، هاتفًا :

ــ المجد للإمبراطور .

قال (كوماد) فى صرامة :

ــ المجد لـ (جلوريال) .

قالها واتجه نحو باب القاعة الإمبراطورية مباشرة ، إلا أنه فوجئ بالحارس يعترض طريقه ، ويقول فى حزم :

ــ الإمبراطور يخلو إلى نفسه ، ولقد منع دخول أى مخلوق، و .....

صاح به (كوماد) فى غضب هائل :

ــ هل جننت ؟

بدا الضيق مختلطًا بالصرامة على وجه الحارس ، وهو يقول :

ــ إنها أوامر الإمبراطور .

صاح (كوماد) :

ــ منذ متى ؟.. لم يحدث فى تاريخ (جلوريال) كله أن احتاج قائد جيوش إلى إذن خاص ، لمقابلة الإمبراطور !!

عاد الحارس يقول فى حدّة :

ــ إنها أوامر الإمبراطور .

انتزع (كوماد) بندقيته من حزامه ، وصوّبها إلى الجندى فى غضب ، وهو يقول :

ــ وأنا أرفض طاعة أوامر ، تخالف دستور (جلوريال) الخالد ، حتى ولو كانت أوامر الإمبراطور نفسه .

تردّد الحارس ، أمام فوهة البندقية القاتلة ، المصوّبة إلى صدره ، وقال :

ــ سيّدى .. إنك تطالبنى بما يفوق صلاحياتى ، فلا يمكننى مخالفة أوامر الإمبراطور ، و .....

قاطعه صوت الإمبراطور (آغرو) ، عبر ناقل صوتى خاص ، وهو يقول :

ــ اسمح له بالدخول أيها الحارس .

عقد (كوماد) حاجبيه فى غضب ، والحارس يفتح باب القاعة الإمبراطورية ، ثم أعاد بندقيته إلى حزامه ، وعبر القاعة فى خطوات واسعة ، يتصاعد الغضب مع وقع قدميه

فيها ، حتى بلغ العرش الإمبراطورى ، فرفع قبضته أمام وجهه ، وقال فى لهجة صارمة :

ــ المجد لـ (جلوريال) .

ابتسم الإمبراطور ابتسامة غامضة ، لمح فيها (كوماد) شيئًا من السخرية والاستهتار ، بدوا أكثر وضوحًا فى صوت الإمبراطور ولهجته ، وهو يقول :

يخيل إلىَّ يا عزيزى (كوماد) أن أحدًا لم يعد يستخدم هذه التحية القديمة .

عقد (كوماد) حاجبيه أكثر ، وهو يقول :

ــ ولكن المجد سيبقى دائمًا لـ (جلوريال) وحده .

قال الإمبراطور فى سخرية :

ــ هكذا ؟!!

أجابه (كوماد) فى صرامة :

ــ نعم .. هكذا .

ران عليهما الصمت لحظات ، وكلاهما يتطلع إلى عينى الآخر فى تحدٍ ، ثم لم يلبث الإمبراطور أن اعتدل فوق عرشه ، وقال :

ــ حسنًا يا (كوماد) .. لماذا أردت مقابلة الإمبراطور ؟

اعتدل (كوماد) ، واستعاد طبيعته العسكرية ، وهو يجيب :

ــ لدى خبر سيسعد الإمبراطور .

بدا الاهتمام على وجه الإمبراطور (آغرو) ، وهو يسأله :

ــ أى خبر هذا ؟

ارتسمت ابتسامة ظافرة على شفتى (كوماد) ، وهو يقول :

ــ لقد انتهى أمر الرائد الأرضى (نور الدين) .

ارتفع حاجبا الإمبراطور ، واتسعت عيناه ، وهو يحدق فى وجه (كوماد) ، الذى شعر بأطرافه ترتجف ، على الرغم من شجاعته ..

لقد رأى فى عينى الإمبراطور شيئًا لم يره فى مخلوق جلوريالى قط ..

أو هكذا خيل إليه ..

لقد رأى لمحة من جحيم ..

جحيم غاضب ..

* * *

٣ ــ أوَّل الخيط ..

حامت طوَّافة من طوَّافات المحتلين ، حاملة علم (جلوريال) الأزرق ، الذى تتوسَّطه دائرة حمراء ، فوق مدخل الجحيم الإمبراطورى ، وغمغم قائدها ، متحدثًا إلى زميله :

ــ لقد سئمت هذه الرحلات ، من وإلى ذلك الجحيم ، الذى يقيمه إمبراطورنا هنا لسبب مجهول ، وما زلت أشعر بالتوتر ، عندما أهبط إلى أعماقه .

أطلق زميله ضحكة قصيرة ، وقال :

ــ لو أن هذا شعورك أنت ، فكيف يكون شعور هؤلاء الأسرى ، الذين تكتظ بهم الطوَّافة ، عندما تضعهم فى ذلك المكان الرهيب ؟

تنهَّد قائد الطوَّافة ، وهزَّ رأسه ، قبل أن يقول :

ــ ولكن لماذا يبذل إمبراطورنا كل هذا الجهد ؛ لإقامة جحيم صناعى هنا ، على هذا الكوكب ؟.. من المؤكَّد أننا لم نحتلَّ الكوكب من أجل هذا .. أليس كذلك ؟

تمتم زميله :

ــ بالتأكيد .

ثم أضاف فى اهتمام :

ــ ألم تنتبه أيضًا إلى أنها أوَّل مرة يخرج فيها الإمبراطور نفسه ، فى واحدة من حملاتنا الحربية ؟.. بل يستقرّ أيضًا فى الكوكب المحتل ؟

مطَّ قائد الطوَّافة شفتيه ، وقال :

ــ هذا شأن الإمبراطور .

أومأ زميله برأسه ، مؤكِّدًا :

ــ نعم .. هذا شأن الإمبراطور .

ثم ضغط مكعبًا صغيرًا ، وهو يستطرد :

ــ دعنا نتصل بالجحيم ؛ ليستعدّوا لاستقبالنا .

راح يضغط المكعب عدة مرات ، ورأى بوَّابة الجحيم تنفتح فى هدوء ، فقال :

ــ هيا .. فلنهبط بحملنا الجديد .

هبطت الطوَّافة وسط الجحيم فى بطء ، وقال قائدها ، وهو يغادرها ، ملقيًا نظرة على آلاف الأسرى ، الذين يعملون فى صمت :

— نفس المشهد فى كل مرة .. الجميع يعملـــون بلا انقطاع .

تلفت زميله حوله ، وهو يقول فى حيرة :

— ولكن أين رجالنا ؟

انتبه الأوّل إلى خلو المكان من رجال الحراسة ، فعقد حاجبيه وهو يقول فى قلق :

— هذا صحيح .. أين رجالنا ؟

بحثا بعيونهما عن رفاقهما فى المكان ، ثم لم يلبث زميل القائد أن انتزع بندقيته من حزامه ، وهو يقول فى توتر شديد :

— هناك أمر يثير القلق هنا .. ربّما كان ..

بتر عبارته بغتة ..

أو هو — على وجه الدقة — ابتلعها ، مع شهقة رعب ، وانتفاضة فزع ، عندما التفت كل الأسرى إليه فى آن واحد ، وعيونهم تنطق بالغضب والثورة ..

وصرخ قائد الطوّافة :

— إنها ثورة .. إنهم ..

لم يتم عبارته هذه المرة ، وإنما تحوّلت كلماته إلى هشيم تذروه الرياح ، وسط صرخة واحدة ، أطلقها كل الأسرى فى آن واحد ..

ثم كان الهجوم ..

الآن فقط بدأت رحلة الحرية ..

وبدأت النهاية ..

* * *

لهثت (نشوى) من فرط التعب والإرهاق ، وهى تلقى جسدها فوق أريكة بدائية ، عند محطة قطار مهجورة ، وهتفت فى حنق :

— يا للسخافة !.. نحيا فى القرن الحادى والعشرين ، ولا نجد وسيلة للسفر إلى (الإسكندرية) ، سوى عربة متهالكة ، تجرّها الجياد !

جلست (سلوى) إلى جوارها ، وهى تقول فى إرهاق مماثل :

— إنهم هؤلاء المختلون الأوغاد ، الذين سحقوا كل لمحة من لمحات الحضارة على كوكبنا ، حتى السيارات الصاروخية ، وناقلات (الهوفركرافت)(*) العامة .

(*) الهوفر كرافت : مركبة حديثة ، لها القدرة على السير فوق وسادة هوائية ، مما يمنحها سلاسة الانتقال فوق البر ، والمسطحات المائية ، ويطلق عليها فى العربية اسم (الحوّامات) ، ولقد بدأ استخدامها كناقلات عامة ، فى مدن الملاهى ، وبعض الشواطئ الأمريكية ، منذ السبعينات .

كرَّرت (نشوى) فى سُخط :

ـ يا للسخافة !

ساد الصمت بينها وبين أمها لحظـــات ، ثم قالت (سلوى) :

ـ أعلم أننا متعبان بحق ، ولكن لابد لنا من مواصلة السير ، والبحث عن وسيلة انتقال أخرى ، حتى يمكننا بلوغ منطقة (أبى قير) قبل مغيب الشمس ، وإلا فسنضطر للانتظار حتى الغد ، لنعثر على مركبة (بودون) ، حيث وضع سلاحه السرى ، الذى قال عنه إنه أمل الأرض الأخير .

تمتمت (نشوى) فى تهالك :

ـ هذا صحيح ، فسيبدأ حظر التجوال بعد أقل من ساعة ، وعندئذ ستنطلق عيون الحراسة اللعينة .

ثم تحاملت على نفسها ، ونهضت مستطردة :

ـ هيا يا أمى .. يبدو أننا لن ننعم بالراحة ، إلا بعد أن يرحل آخر محتلّ عن كوكبنا .

نهضت (سلوى) بدورها ..

واستمرَّت الرحلة ..

* * *

ظلَّ الإمبراطور (آغرو) يتطلع إلى وجه (كوماد) لحظات طويلة فى صمت ، وعيناه تلتهبان فى شدة ، كما لو كانتا صورة منمنمة للجحيم ، قبل أن يقول فى صرامة وعمق :

ـ ماذا تعنى بأن أمر (نور) قد انتهى ؟

استجمع (كوماد) شتات شجاعته ، وقال فى حزم :

ـ لقد لقى مصرعه

انتظر تعليقًا من الإمبراطور ، إلا أن هذا الأخير ظلّ صامتًا ، يتطلّع إليه بنظرة نارية ، فاستطرد (كوماد) :

ـ طاردته بعض مقاتلاتنا ، وأصابت مقاتلته ، فهوت به إلى أعماق المحيط الأطلنطى .

بقى الإمبراطور صامتًا ، يتطلّع إلى (كوماد) بعينين التهب فيهما الغضب وامتزج بعامل غامض مجهول ، فى حين شعر (كوماد) أنه لم يعد لديه ما يقول ، فأطبق شفتيه ، بعد عبارته الأخيرة ، ولاذ بصمت تام ، وراح يستعيد كل شجاعته وبأسه ، حتى نطق الإمبراطور أخيرًا ، وقال :

ـ هكذا ؟!..

بدت الكلمة مقتضبة للغاية ، بالنسبة لـ (كوماد) إلا أنه لم ينبس ببنتِ شفة ، حتى نهض الإمبراطور عن عرشه ، وهبط منه ، وضمّ كفيه خلف ظهره ، وأضاف فى حزم :

— هل تعلم ما الذى فعله رجال المقاومة الأرضية هذه المرة يا (كوماد) ؟

أجابه (كوماد) فى برود :

— إننى أفضل أن يخبرنى الإمبراطور مباشرة بما لديه .

لوّح الإمبراطور بذراعه فى حدّة ، قائلاً :

— حسنًا يا (كوماد) .. حسنًا يا قائد الجيوش الصنديد ، الذى لا يشق له غبار .. سأخبرك بما لدى .. لقد حقّق رجال المقاومة أعظم انتصاراتهم على الإطلاق ، أمام عينيك ، وتحت أنفك .. لقد نجحوا فى دخول واحدة من قبابنا الوردية ، واستولوا على عدد من مقاتلاتنا ، واستخدموها لتدمير (الرعب الفضائى) .

ثم صرخ مستطردًا فى غضب هائل :

— ونجحوا فى تدميره .

شعر (كوماد) بالضيق ، والإمبراطور يُعلن له هزيمته على هذا النحو ، فتمتم فى توتر بالغ :

— إنهم لم يربحوا الحرب بعد .

هتف به الإمبراطور :

— وهل ستنتظر حتى يربحوها ؟

قال (كوماد) فى حدة :

— ما شأن هذا بما أحمله لك ؟

صاح به الإمبراطور فى غضب :

— شأن كبير يا قائد الجيوش .. شأن يعنى أن كل ما تحمله لى من أخبار يفوح برائحة الكذب .

اتسعت عينا (كوماد) فى دهشة ، وهو يقول :

— الكذب ؟!

هتف الإمبراطور :

— نعم يا (كوماد) .. رائحة الكذب .. إنك لم تنجح بعد فى القضاء على الرائد (نور) ، ولكنك لا تتورّع عن إعلان مصرعه .

انعقد حاجبا (كوماد) ، وهو يقول فى حدة :

— بل قضينا عليه يا مولاى .

لوّح الإمبراطور بذراعيه ، وصاح :

— لا .. لم يمت (نور) بعد .

صاح (كوماد) بدوره :

— كيف يمكنك أن تجزم ؟

اتقدت عينا الإمبراطور بنيران الغضب ، وهو يهتف :

— لم أشعر بموته بعد .

هتف (كوماد) فى دهشة :

ــ لم تشعر بموته بعد ؟!.. أى قول هذا يا سيدى الإمبراطور ؟.. منذ متى كان الشعور الشخصى هو الحكم فى انتصارات وهزائم الجيوش ؟..

صاح به (آغرو) فى شراسة :

ــ لا تجادلنى فى هذا .. لن تفهم ما أقصده أبدًا .

قال (كوماد) فى صرامة :

ــ حاول أن تشرح لى .

صرخ الإمبراطور :

ــ قلت لك لن تفهم .

ثم أشار بيده إلى الخارج فى حدة ، مستطردًا :

ــ هيا .. انصرف .. أريد أن أبقى وحدى بعض الوقت

ظهر الغضب على وجه (كوماد) ، وجذب حرملته الخلف بقبضته فى عنف ، ثم قال فى حدة :

ــ حسنًا أيها الإمبراطور .. سأنصرف

ثم رفع قبضته أمام وجهه ، هاتفًا :

ــ المجد لـ (جلوريال) .

واندفع يغادر القاعة الإمبراطورية فى حنق ، فى حين بقى الإمبراطور وحده ، وراحت عيناه تشتعلان أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ــ لم يمت (نور) بعد .. أنا وحدى أعلم هذا ..

وضرب عرشه بقبضته فى قوة ، صارخًا :

ــ لم يمت بعد ..

وبدا وكأن القاعة الإمبراطورية تعكس لهيب نيران .. نيران الغضب ..

* * *



٤ ـ السلاح ..

« أخيرًا »

نطقتها (نشوى) فى ارتياح بالغ ، يختلط بنبرة حنق ، فى مزيج عجيب نادر ، لايمكن أن يجتمع ، إلا لمن عانى الأمرّين ، فى سبيل بلوغ هدفه ، وهى تقف أمام ذلك الشاطئ المهجور ، الذى كان يومًا مزارًا عالميًا شهيرًا ، يحمل اسم (أبى قير) ، وتطلّعت أمها إلى غروب الشمس فى قلق ، وهى تغمغم :

ـ لم يحن أوان نطق هذه الكلمة بعد يا (نشوى) .

سألتها فى ضيق :

ـ ومتى يحين ؟

أجابتها حازمة :

ـ عندما نعثر على مركبة (بودون) ..

ثم تلفّتت حولها بعين فاحصة ، وهى تستطرد :

ـ لقد أخبرنى يومًا أنها مزوّدة بجهاز أمان خاص ، يخفيها عن الأعين ، ويعمل على انتقالها من مكان إلى آخر ، على نحو

مستمر ؛ لضمان عدم وقوعها فى أيدى الأعداء ، ولكنه منحنى وسيلة خاصة ، تسمح لى بالعثور عليها فى أية لحظة .

وفى حذر وحرص ، أخرجت من جيبها كرة صغيرة متألقة ، همست لها فى رفق :

ـ اذهبى .

ارتفعت الكرة عن راحة يدها فى بطء ونعومة ، وراحت تسبح فى الهواء فى رقة مثيرة ، جعلت (نشوى) تهمس فى انبهار :

ـ يا للرّوعة !

ثم تحرّكت الكرة فى هدوء ، متّجهة نحو منطقة عالية الأعشاب ، فقالت (سلوى) :

ـ فلنتبعها .. إنها ستقودنا إلى مركبة (بودون) .

أسرعتا الخطا خلف الكرة ، التى تسبح فى الهواء فى نعومة بالغة ، وهى تدور حول نفسها ، وتلقى بريقها ، وانعكاسات الشمس الأخيرة ، عنها فى مشهد مبهر أخّاذ ، حتى وهى تخترق منطقة العشب ..

ثم توقّفت الكرة ، وراح بريقها يتضاعف ويتزايد ، حتى بدت أشبه بشمس صغيرة ، تنافس شمس الأرض الغاربة ، مما جعل (سلوى) تشير إلى ابنتها بالتوقّف ، وتقول فى قلق :

— أظن أنه من الضرورى أن نتوقف هنا .

هتفت (نشوى) مبهورة :

— انظرى يا أمى .. انظرى .

لم تنبس (سلوى) ببنتِ شفة ، وهى تتطلع إلى حيث تشير ابنتها ، ولكن قلبها راح ينبض فى عنف ، من شدة الإثارة والانفعال ، وهى تشاهد كرة لامعة ، تبدو وكأنها تنشأ من العدم ، حول الكرة المتألقة ..

كرة ضخمة ، فى حجم فيل صغير ..

كانت مركبة (بودون) ..

وقبل مضى دقيقة واحدة ، كانت المركبة الأرغورانية تقف راسخة وسط الأعشاب ، وبلا أدنى صوت ، انفتح بابها ، وتلاشت داخلها الكرة المتألقة ..

مضت لحظات من الصمت والانبهار ، قبل أن تقول (سلوى) بأنفاس متقطعة :

— ها هى ذى .

اتجهت مع ابنتها فى حذر إلى المركبة ، وولجتاها فى صمت ، وراحتا تديران عيونهما فيها فى حيرة ، قبل أن تغمغم (نشوى) :

— كيف سيمكننا تعرّف السلاح المنشود ؟

خيّل إليها أن المركبة قد سمعت سؤالها ، فقد أضيئت شاشة زرقاء فجأة ، وتراصت فوقها كلمات باللغة العربية ، تقول :

— مرحبًا بك يا (نور) .. أو يا من أرسلك (نور) ، فهذه المركبة مجهّزة بحيث لا تستقبل سوى من يحمل كرة الاتصال ، التى سأعطيها بنفسى إلى (نور) ، أو تنسف نفسها بنفسها .

تمتمت (نشوى) :

— يا لـ (بودون) هذا !.. لقد أعدّ لكل شىء عدّته .

ارتفع من خلفها صوت بارد خشن يقول :

— ليس كل شىء .

التفتت (سلوى) و (نشوى) إلى مصدر الصوت فى حركة حادة ، وتراجعتا فى عنف ، فهناك ، عند باب المركبة المفتوح ، كان يقف واحد من جنود (جلوريال) ، وبندقيته مشهورة فى يده ، ومصوّبة إلى صدريهما ، وعيناه تحملان هدفًا واحدًا ، واضحًا ، دون أدنى شك ..

قتلهما ..

* * *



واخترق خيط الأشعة جمجمة المحتل ، الذى اتسعت عيناه فى ذهول ..

تتفق (سلوى) مع (نور) كثيرًا ، فى بغض كليهما للقتل والدمار ..

إلا عند الضرورة القصوى ..

وفى رأى (سلوى) ، كان هذا الموقف ضرورة قصوى ..

أو أنها حتى لم تمنح نفسها الوقت للتفكير ..

لقد رأت أمامها رجلًا يهدد حياتها وحياة ابنتها ..

بل جنديًا من جنود العدوّ ..

وبسرعة اكتسبتها من العمل فى فريق (نور) ..

وبمهارة ضاعفتها المعايشة الدائمة للخطر ، انتزعت (سلوى) من حزامها مسدس (نور) الليزرى ، الذى تحتفظ به ، وأطلقت منه خيطًا من الأشعة نحو الجندى الجلوريالى ..

واخترق خيط الأشعة جمجمة المحتل ، الذى اتسعت عيناه فى ذهول ، ودار حول نفسه نصف دورة ، ثم سقط جثة هامدة ..

وهتفت (نشوى) :

ــ أمى .. لقد قتلته .. قتلته بضربة واحدة .. إنك ...

قاطعتها (سلوى) فى توتر :

— كفى يا (نشوى) .. لم يكن والدك ليفخر أبدًا بقتل مخلوق حي ، مهما بدا هذا العمل بطوليًا ، فى أعين الآخرين .

تمتمت (نشوى) :

— ولكنك أنقذت حياتنا يا أمى .

أشاحت (سلوى) بوجهها ، وقالت فى حزم :

— كفى يا (نشوى) .

أدركت (نشوى) حقيقة مشاعر أمها ، فقالت فى خفوت :

— حسنًا يا أمى .. حسنًا .

ثم اتجهت إلى الشاشة الزرقاء ، مستطردة :

— دعينا نرى أولًا تلك الرسالة ، التى تركها لنا (بودون) .

كانت الكلمات العربية تتراص على الشاشة فى سرعة ، شارحة طبيعة السلاح السرى ، الذى زوَّد (بودون) به مركبته ، و (سلوى) و (نشوى) تتابعان الكلمات فى اهتمام بالغ ، حتى هتفت (نشوى) :

— يا إلهى !.. هذا رهيب !

وشحب وجهها فى شدة ، وهى تستطرد :

— إن هذا السلاح أكثر عنفًا من الاحتلال نفسه يا أماه .. إنه الدمار .. الدمار الشامل ..

لم تجب (سلوى) ..

لم يكن باستطاعتها أن تفعل ..

كان هناك رعب هائل يملأ كيانها ، وهى تتطلع إلى الشاشة الزرقاء ..

رعب بلغ أعمق أعماقها ..

وبدا لها السلاح ، الذى سعت مع ابنتها إليه رهيبًا .. رهيبًا بحق ..

* * *

غادر (كوماد) القاعة الإمبراطورية ، وهو يتميَّز غضبًا وغيظًا ، ويتمتم فى سخط :

— أى إمبراطور هذا ؟.. بل أى وغد إمبراطورى هو ؟

اتجه إلى حجرته الخاصة ، فى سفينة القيادة ، وراح يقطعها جيئة وذهابًا كليث غاضب ، وهو يزفر وينفخ فى حنق وسخط ، ثم لم يلبث أن ألقى جسده فوق مقعد هوائى خاص ، وهو يقول لنفسه فى حدَّة :

— ليس هذا هو إمبراطورنا الذى نعرفه !.. ماذا أصابه ؟.. أهو مسٌّ من الجنون ، أم نوبة حماقة حادة ؟!

ظلّ السؤال يتردّد في ذهنه طويلاً ، بعد أن أنهى عبارته ، واختلط بسيل من ذكريات قديمة ..

لقد كان يحترم الإمبراطور كثيرًا ، ويعتزّ بمنصبه هذا كقائد جيوشه ..

حتى حملة (أرغوران) ..

مازال يذكر كيف كان الإمبراطور صنديدا مقاتلاً ، وكيف أثار إعجابه واحترامه ، حتى سقطت كل القوى على كوكب (أرغوران) ..

وبعدها تبدّل الإمبراطور كثيرًا ..

تبدّل حتى بدا وكأنه شخص آخر ..

ولكن لِمَ لا ؟..

لِمَ لا يكون هذا الجالس على عرش الإمبراطورية شخصًا آخر ؟..

أثارته الفكرة في شدّة ، فعاد ينهض ، ويقطع حجرته مرة أخرى ، في توتر أكثر ، وذهنه يسترجع العديد من المشاهد ، التي لم ترُق له ، منذ حملة (أرغوران) ..

أسلوب الإمبراطور ..

التحية الجديدة ..

عصبية الإمبراطور الشديدة . حيال كل ما يتعلق بالأرض (نور) ..

العبارات غير المفهومة ..

شعر برأسه ينتفخ ، من كثرة التفكير في هذا الأمر ، فتمتم :

ـــ إنه أمر مثير بالفعل ، ويحتاج إلى جلسة طويلة مع عقل مفكّر .

صمت لحظة في شرود ، ثم أضاف :

ـــ مع (جلاكس) .

لم يكد يبلغ هذا الحد من التفكير ، حتى أسرع يغادر حجرته ، واندفع نحو حارس القاعة الإمبراطورية ، يسأله :

ـــ أين الحكيم (جلاكس) ؟

اعتدل الحارس بوقفة عسكرية عنيفة ، وهو يقول :

ـــ لقد لقي مصرعه أيها القائد .

اتسعت عينا (كوماد) في دهشة ، وتفجّر صوته ، وهو يهتف مستنكرًا :

ـــ لقي ماذا ؟

أسرع الحارس يقول :

— لقـى مصرعه أيها القائـد .. هكـــذا قال سمو الإمبراطور .. لقد أصيب بنوبة قلبية ، فى حضرة الإمبراطور ، ومات على الفور .

تراجع (كوماد) فى حركة حادة ، وهو يقول :

— نوبة قلبية ؟!

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد فى حسم :

— هل أخبرك الإمبراطور نفسه هذا ؟

أومأ الحارس برأسه إيجابًا ، وقال :

— نعم أيها القائد .. الإمبراطور نفسه أخبرنى هذا .

ران الصمت لحظات ، و (كومـــاد) يحدّق فى وجه الحارس بنظرة غامضة ، تموج بالتوتر ، قبل أن يعتدل ، ويقول :

— هكذا ؟

ثم استدار عائدًا إلى حجرته ، دون أن يزيد حرفًا واحدًا ، ولم يكد يغلق باب حجرته خلفه ، حتى أمسك بمقبض بندقيته فى عنف ، وهو يقول :

— الآن اتضحت الصورة .. إنه ليس الإمبراطور حتمًا .

واستل بندقيته ، مكرّرًا فى غضب :

— ليس هو .

وبدأت مرحلة صراع جديدة ..

* * *

لم تعد أعصاب (مشيرة محفوظ) تحتمل كل هذا التوتر ..

لقد تركها الجميع وحدها ، منذ رحلت (سلوى) و (نشوى) ..

خلا المخبأ السرى من الجميع ، إلا منها ، ومن والدى (نور) ..

وهى لم تعتد هذا النوع من الحياة ..

أكثر ما كان يثير أعصابها ، هو جهلها بما يحدث خارج المخبأ ..

صحيح أن شاشات الرصد تنقل معظم ما يدور بالخارج ، ولكنها كإعلامية قديمة ، تدرك جيّدًا أن الأخبار الحقيقية ليست هى ما تنقله الشاشات ..

الأخبار الحقيقية هناك ..

خلف كل الشاشات ..

إنها تجهل ما أصاب (نور) ..

ولماذا رحلت (سلوى) مع (نشوى) ؟..

وأين (رمزى) ؟..

وجهل الأمور يورثها دائمًا التوتر والعصبيَّة ..

وبينما هى فى لجة أفكارها ، اقتربت منها أم (نور) ، وسألتها فى قلق :

ــ أما من أخبار عن ولدى ؟

تنهدت (مشيرة) فى توتر ، وأجابت :

ــ ما من أخبار عن أى شخص .

سألتها أم (نور) ، وهى تشير إلى شاشات الرصد :

ــ وماذا عن هذه الشاشات ؟.. ألا تنقل إلينا شيئًا عن أخباره ؟

أجابتها (مشيرة) فى حنق :

ــ هذه الشاشات تنقل فقط ما يدور على السطح .

ثم هبَّت من مقعدها فى حركة حادَّة ، أفزعت أم (نور) ، وهى تضيف :

ــ وهذا لا يكفى .

اتجهت فى عصبية واضحة ، نحو ممر الخروج ، فهتفت بها أم (نور) فى قلق :

ــ إلى أين ؟

أجابتها (مشيرة) :

ــ لم أعد أحتمل البقاء هنا .. سأسعى بنفسى للحصول على الأخبار .

ارتفع حاجبا أم (نور) فى دهشة ، وقالت :

ــ ولكن الأوامر تقتضى ..

قاطعتها (مشيرة) :

ــ دعك من الأوامر الآن يا سيدتى .

برز والد (نور) من باب جانبى ، وهو يقول فى صرامة :

ــ حتى لو تجاهلت الأوامر يا بنيتى ، فلن يكون بوسعك الخروج الآن ، فلقد بدأت فترة حظر التجوال منذ دقائق .

أجابته فى عناد :

ــ سأخاطر .

نطقتها وهى تضغط زر باب الخروج السرى ، فانفتح الباب أمامها فى صمت ، وعبرته هى فى سرعة ، إلى مدخل صغير لبيت مهدَّم ، يخفى المدخل السرى الحقيقى ، ولم يكد الباب يُغلق خلفها ، حتى اندفعت خارج المكان ، وهى تقول فى حدَّة :

ــ أخيرًا .

تسمّرت فجأة فى مكانها ، وتجمّدت عيناها عند واحدة من عيون الحراسة القاتلة ، التى رصدت ظهورها ، فاتجهت إليها سابحة فى الهواء ، وارتفع منها صوت صارم حازم خشن ، يقول بنبرة معدنية آلية :

ــ لقد خالفت القانون أيتها الأرضيّة ، والموت هو جزاؤك الوحيد ..

ومن منتصف العين القاتلة ، برز مدفع الأشعة ..

والتصقت (مشيرة) بجدار البيت القديم ..

واتسعت عيناها فى رعب ..

وشق خيط من الأشعة الأرجوانية الساحقة هواء المكان ..

وأصاب هدفه ..

* * *



٥ ــ مواجهة ..

استمع الإمبراطور (آغرو) إلى حارس قاعته الإمبراطورية فى اهتمام ، ثم اعتدل على عرشه ، وقال :

ــ إذن فقد سألك عما إذا كنت أنا الذى أخبرك بمصرع الحكيم (جلاكس) .. لماذا فعل فى رأيك ؟

هز الحارس كتفيه ، وقال :

ــ لست أدرى يا سمو الإمبراطور ، ولكن يلوح لى أن أسلوب موت الحكيم (جلاكس) لم يرق له .

سأله الإمبراطور :

ــ لماذا ؟

مط الحارس شفتيه ، وقال :

ــ ربما لأن (جلاكس) كان من سلالة معمّرة .

هز الإمبراطور رأسه ، وقال :

ــ لا .. ليس هذا هو السبب حتمًا .

صمت طويلاً ، وهو يدرس الأمر ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ــ لم يعد هناك مجال للانتظار ..

ثم التفت إلى حارسه الخاص ، مستطردًا :

— اسمع يا (راندو) .. اسمعنى جيدًا .. إننى لم أعد أثق كثيرًا بقائد جيوشى ، وأى إمبراطور فى الكون كله يحتاج إلى قائد جيوش يبادله الثقة .

سأله (راندو) فى خبث :

— وماذا يقترح مولاى ؟

تطلع إليه الإمبراطور فى صمت لحظات ، ثم لوّح بكفه ، وقال :

— أخبرنى أنت يا (راندو) ، ما الذى ينبغى أن يفعله أى إمبراطور ، يفقد ثقته بقائد جيوشه .

انحنى (راندو) أمامه ، وهو يقول :

— يعزله يا مولاى .

ابتسم الإمبراطور ، وهو يقول :

— وهل يكفى هذا ؟

تبادلا نظرة تشف عن خبثهما وشراستهما ، قبل أن يقول (راندو) :

— فليأمر مولاى بما يريد ، ولن يسعنى سوى التنفيذ .

علم (آغرو) أن حارسه الخاص قد أدرك مقصده ، فنهض عن عرشه ، ورفع قبضته أمام وجهه ، وقال فى حزم :

— اقتله يا (راندو) .. اقتله تصبح أنت قائد الجيوش الإمبراطورية .

تألقت عينا (راندو) فى ظفر ، وقال :

— كما يأمر مولاى .

وانتزع بندقيته من حزامه ، وانحنى أمام إمبراطوره ، ثم اتجه فى حزم نحو حجرة (كوماد) ، وقد صار له هدف واحد .. القتل ..

* * *

كانت (مشيرة) تتوقع الموت حتمًا ، عندما حاصرتها العين القاتلة ، ولقد انتفض جسدها فى عنف ، عندما انطلق الشعاع الأرجوانى ، وأغلقت عينيها فى شدة ، وهى تصرخ :

— لا ..

وسمعت صوت انفجار مكتوم ..

انفجار حدث على بعد متر واحد منها ..

وعندما فتحت عينيها ، واجهتها مفاجأة ..

كان الشعاع الأرجوانى ينطلق نحو عين الحراسة ، لا منها ..

ولقد سحق العين القاتلة سحقًا ..

وبكل دهشتها وحيرتها ، التفتت (مشيرة) إلى حيث انطلق الشعاع ، وهتفت فى ذهول :

ــ أنت ؟!

اندفع (رمزى) إليها ، وهو يحمل بندقية الأشعة الأرجوانية ، التى انتزعها من أحد حرّاس الجحيم الأرضى ، وأمسك ذراعها ، ودفعها نحو النفق السرى مرة أخرى ، وهو يقول :

ــ مجنونة أنت كعهدى بك يا (مشيرة) .. كلنا نبذل أقصى جهدنا ، لنبلغ مكانًا آمنا ، قبل أن تنطلق عيون الحراسة ، وأنت تغادرين المكان الآمن إلى حيث العيون القاتلة .

هتفت به :

ــ دعك من هذا ، وأخبرنى أوّلا أين كنت ؟ وكيف عدت ؟

أجابها وهو يضغط زر الباب السرى :

ــ إنها قصة طويلة يا (مشيرة) ، تحتاج إلى مكان آمن لروايتها .

انفتح باب النفق السرى فى صمت ، فدفعها داخل

المكان ، وضغط زر إغلاق الباب ، وهو يعبر خلفها ، ثم تنهّد هاتفًا :

ــ أخيرًا .

اندفع والد (نور) نحوه ، وهتف الأب :

ــ (رمزى) ؟!.. حمدًا لله على سلامتك يا ولدى .. أين (نور) ؟

أجابه فى هدوء :

ــ صدقنى يا سيّدى ، أنا نفسى أحتاج إلى إلقاء مثل هذا السؤال .

وقبل أن يلقى عليه أحدهم سؤالا آخر ، راح يروى لهم ما حدث فى الجحيم الأرضى ، وهم يستمعون إليه فى دهشة واهتمام ، حتى انتهى من روايته ، فسألته (مشيرة) مبهورة :

ــ وماذا فعلتم ، بعد أن استخدمتم الطوّافة فى إخراج كل الأسرى من الجحيم ، وإعادتهم إلى هنا ؟

أجابها فى حماس :

ــ قرّرنا أن نضرب فى سرعة ، قبل أن يدرك المحتلون ما فعلناه ، ويبدءوا فى اتخاذ أهبتهم لصد هجومنا .

سألته فى لهفة :

ــ وماذا ستفعلون ؟

أجاب :

— الكل يتخذ موقعه الآن ، ونحن نحاصر المدينة كلها تقريبًا ، أما الدكتور (حجازى) والدكتور (عبد المنعم) ، فقد اتجها ، على رأس فريق من الرجال ، إلى الصحراء الغربية ، حيث سفينة القيادة الإمبراطورية .. سنشنّ هجومًا شاملا ، مع مشرق الشمس .

ثم تلفّت حوله ، وسألها فى اهتمام :

— ولكن أين (سلوى) و (نشوى) ؟.. وأين (محمود) ؟

أجابته :

لقد خرجت (سلوى) و (نشوى) لمهمة ما ، لم تعلنا عنها ، أما (محمود) فهو تحت رعاية طبية خاصة ، فى نفق سرى آخر ، و ....

قطع عبارتها أزيز قوى عنيف ، ، انطلق من جهاز إنذار خاص ، فأدار الجميع عيونهم إلى شاشات الرصد ، وانقبض قلب والدة (نور) ، وهى تقول :

— يا إلهى !.. لقد كشف المحتلون أمر النفق السرى .

كانت الشاشة تنقل صورة لفريق من جنود (جلوربال) ،

وهم يفحصون عين الحراسة المنسحقة ، ثم يتجهون مباشرة نحو النفق السرى ..

وقال (رمزى) فى قلق :

— ربما لن يكشفوا أمره ، أو ....

لم يتمّ عبارته ؛ لأن ما يراه على الشاشة كان أبلغ من أى كلام ..

كان قائد فريق الجلوربالين يصوّب بندقية الأشعة الأرجوانية نحو مدخل النفق ..

ويُطلقها ..

* * *

ران صمت رهيب داخل مركبة (بودون) ، و (سلوى) و (نشوى) يتطلع بعضهما إلى البعض ، قبل أن تقول (سلوى) فى خفوت وتردُّد ، زادا من رهبة الموقف :

— هل تظنين أنه يمكننا استخدام هذا السلاح ؟

مضت دقيقة كاملة من الصمت ، قبل أن تقول (نشوى) :

— نعم .

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، فأسرعت (نشوى) تضيف :

— كوسيلة انتحارية أخيرة .

حدقت (سلوى) فى ابنتها مستنكرة ، ثم هتفت :

— أتعلمين ما الذى سيفعله هذا السلاح ؟

أشاحت (نشوى) بوجهها فى مرارة ، وهى تقول :

— بالتأكيد .. لقد قرأت التعليمات على الشاشة الزرقاء مثلك .. إن هذا السلاح يمتصّ الطاقة .. كل أنواع الطاقة بلا تمييز .. واستخدامه يعنى أن نمتصّ حيوية كل مخلوق حى على وجه الأرض .. أو بمعنى أدق ، يعنى فناء الأرض كلها ، بكل سكانها ، وكل المحتلين على السواء .

هتفت (سلوى) :

— وهل يمكنك استخدام مثل هذا السلاح ؟

أدارت (نشوى) وجهها إليها ، وهتفت :

— نعم .. يمكننى هذا .

وهبّت من مقعدها فى حركة حادة ، وهى تستطرد :

— لو شعرت أنه ما من أمل فى تحرير الأرض ، فسأفعلها بلا تردد .. على الأقل حتى أفنى هؤلاء المحتلين القساة ، وأنقذ

سكان الكواكب الأخرى منهم .. أتتصوّرين أن الأرض هى محطتهم الأخيرة ؟.. لا يا أماه ..

من المؤكّد أنها ليست كذلك .. إنهم سيسعون حتمًا لاحتلال كوكب آخر ، وآخر ، وآخر .. إن هدفهم هو احتلال الكون كله .

قالت (سلوى) :

— ولكن الأمل لا ينقطع أبدا ، وما من مخلوق يمتلك الحق فى إصدار قرار إفناء الجميع .

قالت (نشوى) فى صرامة :

— من يدرى ؟

ران عليهما الصمت لحظات ، ثم تنهّدت (سلوى) ، وغمغمت :

— نعم .. من يدرى ؟

وفى أعماقها نما شعور بالخوف ..

بل بالرعب ..

رعب هائل ..

* * *

لم يتوقّف (كوماد) عن قطع حجرته جيئة وذهابًا فى توتّر

بالغ ، منذ عاد إليها ، بعد حديثه مع حارس القاعة الإمبراطورية ..
الآن صارت مخاوفه حقائق ..
هذا الجالس على عرش (جلوريال) ليس الإمبراطور ..
إنه شخص آخر مجهول ..
شخص يجهل الكثير عن تاريخ (جلوريال) ..
وعن طبيعة مخلوقاته ..
لم يعد لديه شك فى هذا ..
لقد دفع (جلاكس) حياته ، ثمنًا لهذا ..
من المحتّم أنه قد كشف سر ذلك المحتال ، الجالس على العرش ، مما دفع هذا الأخير إلى التخلّص منه ، وقتله ..
هذا ما حدث حتمًا ..
ولابد له من أن يزيح هذا المحتال ..
لابد له من أن يقاتل ، من أجل (جلوريال) ..
وفى حزم ، استلّ (كوماد) بندقيته ، ورفعها أمام وجهه ، قائلا فى لهجة حاسمة حازمة صارمة :
ــ من أجل (جلوريال) سأفعلها .
وفى حماس أضاف :
ــ المجد لـ (جلوريال) ..

واتجه فى حدة نحو باب حجرته الخاصة ، وضغط زر فتحه ..
وانفتح الباب ..
وتراجع (كوماد) فى حركة حادة ..
لقد وجد نفسه وجهًا لوجه أمام (راندو) ، الحارس الخاص للإمبراطور ..
وكان هذا الأخير يصوِّب إليه بندقيته بدوره ..
وكان من الواضح أنها عملية تصفية ، وعلى أحدهما أن يزيح الآخر عن طريقه ..
ولم يتردّد أحدهما ..
وانطلقت الأشعة الأرجوانية القاتلة ..

* * *





وكان من الواضح أنها عملية تصفية ، وعلى أحدهما أن يزيح الآخر عن طريقه ..

٦ ــ لكل شىء ثمن ..

ارتجَّ باب النفق السرى فى عنف ، عندما أصابته الأشعة الأرجوانية الساحقة ، ولكنه صمد للضربة الأولى ، وإن بدا واضحًا أنه سيركع أمام الثانية ، وينهار مع الثالثة ، فصرخت (مشيرة) :

ــ لقد ظفروا بنا .. سيقتلوننا بلا رحمة .

رفع (رمزى) بندقيته فى حزم ، وهو يقول :

ــ لن يظفروا بنا أحياء .

أمسك والد (نور) بكتفه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ هناك مخرج آخر لهذا النفق .. أليس كذلك ؟

أجابه (رمزى) ، وهو يتساءل عمَّا يقصده الرجل بسؤاله :

ــ بلى .. هناك نفق يقود إلى مقر سرى آخر .

ثم استدرك فى حدة :

ــ ولكن هذا لن يصلح ، فما داموا قد بلغوا هذا المكان ، فسيسيرون عبر الخيط حتى النهاية .

أجابه والد (نور) فى حزم :

ـ لا .. لن يحدث هذا .

قالها فى نفس اللحظة ، التى أصابت فيها الطلقة الأرجوانية الثانية باب النفق ، فأضاف فى توتر :

ـ هيا يا ولدى .. خذ (مشيرة) وزوجتى ، وانطلقوا إلى المقر السرى الآخر ، واتركوا لى أمر إعاقة هؤلاء الأوغاد .

حدّق (رمزى) فى وجهه بدهشة ، وقال :

ـ سيّدى .. الوسيلة الوحيدة لإعاقتهم هى ..

قاطعه فى صرامة :

ـ أعلم .. هيا اذهبوا بسرعة ، قبل فوات الأوان .

هتف (رمزى) :

ـ مستحيل يا سيّدى .. لن يسامحنى (نور) أبدا لو...

صاح به الرجل :

ـ أخبره عندئذ أن والده قد رفض أن تنتهى حياته الحافلة بالكفاح ، كما تنتهى حياة أى فأر حقير ، وأنه أصرّ على الموت كبطل .. هيا .. لا تناقش الأوامر فى زمن الحرب ، فهذه خيانة عظمى .

أصابت طلقة ثالثة الباب فى هذه اللحظة ، ولكنه لم ينهر ، وإنما تشقق على نحو ملحوظ ، فصرخ الرجل :

ـ هيا .

كان من الواضح أن والد (نور) لن يتراجع عن قراره ، وأن ما يقوله يتناسب تماما مع الموقف ؛ لذا فقد أمسك (رمزى) بيد (مشيرة) ، وقال فى حزم :

ـ هيا بنا .

انطلقا يعدوان نحو المخرج الثانى ، فى حين صاح والد (نور) فى وجه زوجته :

ـ ماذا تنتظرين ؟.. الحقى بهم .

أمسكت ذراعه فى حنان ، وهى تقول :

ـ لا يا زوجى العزيز .. لقد سمعت مثلك ولدنا (نور) ، وهو يتحدث عن ذلك الزر الخاص ، المعدّ للطوارئ القصوى .

ثم أسندت رأسها إلى كتفه ، وهى تستطرد :

ـ لقد عشنا حياتنا كلها معا ، ولن تروق لى الحياة دونك ..

ابتسم لها فى حنان ، وبادلته الابتسام ، على الرغم من انهيار باب النفق ، أمام الضربة الرابعة ..

وعندما اندفع الغزاة وعيونهم القاتلة داخل النفق ، أدهشهم أن وجدوا رجلًا وامرأة يجلسان هادئين ، إلى جوار أجهزة التحكّم الآلية ..

وعندما رفع الغزاة فوهات بنادقهم القاتلة فى وجهى الرجل والمرأة ، تضاعفت دهشتهم عندما ابتسم الرجل ، وقال :

ـ مرحبًا ..

ثم ضغط زرًّا صغيرًا إلى جواره ..

ودوى الانفجار ..

* * *

جلس الإمبراطور (آغرو) على عرشه صامتًا ، وعقله يسبح بعيدًا ..

كان يسترجع ذكريات بغيضة إلى نفسه ..

ذكريات صراع ..

صراع ذاق فيه هو مرارة الهزيمة ..

صراع دام ..

وفى أعماقه ، راح جبل من الكراهية والبغضاء ينمو وينمو ..

ووسط هذا الجبل الرهيب برزت صورة (نور) ..

الرائد (نور الدين محمود) ..

وبلغة مخيفة ، لا تشبه لغة الأرض أو لغة (جلوريال) نفسه ، أخذ الإمبراطور يقول :

ـ إنك لم تمت بعد يا (نور) .. أعلم أن هذا لم يحدث .. قد تكون مقاتلتك فى قرار المحيط الآن ، ولكنك لم تمت .. أنا أعلم هذا .. أشعر به .. و .....

قطع حديثه مع نفسه دوى مكتوم ، عندما انفتح باب القاعة الإمبراطورية فى عنف ، جعل الإمبراطور يرفع عينيه إلى الباب ، هاتفًا فى غضب :

ـ كيف تجرؤ ؟

بتر عبارته بغتة ، عندما وقع بصره على ذلك الشخص ، الذى فتح الباب هكذا ..

كان (كوماد) ..

وانعقد حاجبا الإمبراطور فى شدة ، فى حين تقدّم منه (كوماد) فى خطوات واثقة قوية ، وهو يقول فى لهجة ساخرة :

ـ هل أدهشتك رؤيتى على قيد الحياة يا سمو الإمبراطور ؟

تطلّع إليه الإمبراطور فى صرامة وبرود ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها أحد جنود الحرس الإمبراطورى إلى القاعة ، وأسرع إلى الإمبراطور ، هاتفًا فى ارتياع :

— لم نكن نعلم أنه سيقتحم قاعتك على هذا النحو يا مولاى .

قال الإمبراطور فى حزم :

— اصمت .

ثم تطلع إلى (كوماد) ، وقال :

— لماذا تتصوّر أن رؤيتك ستثير دهشتى يا (كوماد) ؟.. أليس من حق قائد الجيوش أن يلتقى بإمبراطوره فى أية لحظة ، كما تقول كل دساتير (جلوريال) ؟

أطلق (كوماد) ضحكة ساخرة ، وقال :

— رائع يا سمو الإمبراطور .. يبدو أنك تزداد علمًا بقانون (جلوريال) وتاريخه فى كل لحظة .

ثم بتر ضحكته بغتة ، واستحالت ملامحه إلى صورة من صور الغضب ، وهو يستطرد :

— ولكنك أخطأت أيها الإمبراطور .

قال الإمبراطور فى برود :

— أخطأت ؟!

أجابه (كوماد) فى صرامة :

— نعم .. أخطأت يا من تحتل العرش الإمبراطورى لـ (جلوريال) .. أخطأت عندما أرسلت لى هذا الـ ...

انتزع فجأة شيئًا من خلف حرملته ، وألقاه نحو الإمبراطور ، مستطردًا :

— هذا الحقير .

لم تكد الكلمة تنتهى ، حتى تدحرج جسم مستدير عند قدمى الإمبراطور ، الذى أحنى رأسه فى حركة حادة ، وتطلع إلى ذلك الشىء ..

كان رأس (راندو) ..

وفى غضب ، استطرد (كوماد) :

— لقد أرسلته لقتلى ، ولقد أضحكنى هذا كثيرًا ، فلن تبلغ سرعة (راندو) أبدًا ، مهما بلغت ، نصف سرعة مقاتل محترف مثلى .. لقد أطحت به بضربة واحدة .

ثم استطرد فى لهجة أضافت شيئًا من السخرية إلى نبراته الغاضبة :

— وهذا ليس الخطأ الوحيد ، الذى ارتكبته أنت ، فهناك خطأ فاحش ، كشف لى أمرك .

خيّل إليه أن قوله هذا قد جذب انتباه الإمبراطور فى شدة ، عندما سأله هذا الأخير :

— أى خطأ هذا ؟



لم تكد الكلمة تنتهي ، حتى تدحرج جسم مستدير عند قدمي الإمبراطور ،الذي أحنى رأسه في حركة حادة ..

أجابه (كوماد) :

ــ وصفك لكيفية موت (جلاكس) .. عندما قلت إنه قد أصيب بنوبة قلبية .

قال الإمبراطور في حذر :

ــ وماذا في هذا ؟.. كل مخلوق يمكن أن يصاب بنوبة قلبية ، و ......

قاطعه (كوماد) في صرامة :

ــ إلا (جلاكس) .. إلا سلالته كلها .

سأله الإمبراطور :

ــ ولماذا هو وسلالته بالذات ؟

أطلق (كوماد) ضحكة عالية ، وقال :

ــ لأن سلالة (جلاكس) كلها بلا قلوب .

انعقد حاجبا الإمبراطور في شدة ، وهو يغمغم :

ــ بلا قلوب ؟!

قال (كوماد) :

ــ نعم .. بلا قلوب .. إنهم من سلالة خاصة ، تنقبض أوردتها وشرايينها على نحو منتظم ، وكأن كل وعاء دموي هو قلب خاص ، دون أن يكون لهم قلب مركزي ، وكل إمبراطور

جلس على عرش (جلوريال) يعلم هذه الحقيقة ، التي قد يجهلها أي جندي عادي ، إلا إذا ..

اعتدل في حزم ، وشدّ قامته ، وهو يضيف :

ـ إلا إذا كان الجالس على عرش (جلوريال) إمبراطور مزيّف .

اتسعت عينا جندي الحراسة في ارتياع ، وهو ينقّل بصره بين إمبراطوره وقائده ، في حين راح الاثنان يتطلع كل منهما إلى الآخر في تحدٍّ واضح ، قبل أن يلتفت الإمبراطور إلى الجندي ، ويقول في صرامة :

ـ لا تقف هنا هكذا كالأبله .. غادر المكان ، وأغلق القاعة الإمبراطورية من الخارج ، ولا تسمح لأحد بالدخول .

انحنى الجندي في خوف ، ثم أسرع يغادر القاعة في خطوات أقرب إلى العدو ، وألقى نظرة فزعة عليها ، قبل أن يُغلقها خلفه في إحكام ، فابتسم (كوماد) في سخرية ، وقال :

ـ هل تنوي الاعتراف أمامي وحدي ؟

ابتسم الإمبراطور بدوره ، واتقدت عيناه بلهيب مخيف ، وهو يقول :

ـ بل أنوي إزاحتك عن الطريق يا قائد الجيوش .

وفي حركة حاذقة ، استلّ الإمبراطور من حزامه سيفًا مُتألقًا ، وهو يستطرد بنفس اللهجة الساخرة :

ـ على النمط القديم ، الذي يذكره تاريخ (جلوريال) .

ابتسم (كوماد) في ثقة ، واستلّ من حزامه سيفًا مماثلًا ، وهو يقول :

ـ فليكن .. سنتقاتل على طريقة الأجداد .

والتقى سيفاهما ..

* * *

انتفضت (سلوى) في شدة ، وهبّت من نومها فزعة ، وهي تهتف :

ـ (نشوى) .. أين أنت ؟

أتاها صوت ابنتها تقول في هدوء :

ـ اطمئني يا أمي .. أنا هنا .

تطلّعت طويلًا إلى ابنتها ، التي جلست تتابع تعليمات تشغيل السلاح السري ، التي تتابع فوق الشاشة الزرقاء للمرة العشرين ، وتنهّدت في ارتياح ، متمتمة في اضطراب :

ـ حمدًا لله أنك هنا ..

ثم اعتدلت ، وخلّلت شعرها بأصابعها ، ثم تركته ينساب على كتفيها في نعومة ، وغمغمت :

— لست أدرى كيف استغرقت فى النوم ؟

أجابتها (نشوى) فى شرود :

— كنت منهكة للغاية .

قالت (سلوى) :

— هذا صحيح .

ثم عادت تتطلع إلى ابنتها فى صمت ، وقلبها ما زال يرتجف ، من جراء ذلك الكابوس ، الذى أبى إلا أن يُفسد نومها ، كما فسدت يقظتها ..

كابوس رأت فيه ابنتها (نشوى) ، وهى تغيب وسط ضباب كثيف ، ورأت نفسها تصرخ منادية ابنتها فى هلع ، وابنتها تغوص وسط الضباب ، وهى تقول إنها تحبها ، و......

واستيقظت ..

يا له من كابوس بشع !!..

أرادت أن تنفض عن ذهنها آثار الكابوس ، فسألت ابنتها :

— أما زلت تدرسين تعليمات التشغيل ؟

هزت (نشوى) كتفيها ، وقالت :

— نعم .. فمن يدرى ؟.. ربما احتاج الأمر لتشغيل هذا الجهاز .

عقدت (سلوى) حاجبيها ، وهى تقول :

— أتمنى ألا يحدث هذا أبدًا .

لم تعلق (نشوى) على هذا ، وإنما قالت فى اهتمام :

— أتعلمين أنه من الممكن أن تتبعنا هذه المركبة ، أينما ذهبنا ؟

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

— وكيف يمكن هذا ؟

التقطت (نشوى) قرصًا صغيرًا ، ووضعته فى راحة يدها ، وقربته من وجه أمها ، وهى تقول :

— باستخدام هذا القرص الصغير ، يكفى أن تطلبى منه إحضار المركبة ، أينما كنت ، فتجدينها أمامك .

ابتسمت (سلوى) ابتسامة شاحبة ، وتمتمت :

— إنه أمر أشبه بالسحر .

هزت (نشوى) رأسها نفيًا فى قوة ، وقالت :

— بل بتكنولوجيا المستقبل .

تنهدت (سلوى) ، وقالت :

— هذا لو أنه هناك مستقبل .

تطلعت إليها (نشوى) فى صمت وارتجف قلبها على الرغم منها ..

ففى أعماقها ..

ومن قلب غريزة الأنثى فى كل عروقها ، كان هناك شىء ما ، يخبرها أنه ليس هناك مستقبل ..

بالنسبة لها على الأقل ..

* * *



٧ ــ الهجوم ..

أمسك (رمزى) جانبى رأسه براحتيه فى قوة ، وراح يهتف فى مرارة :

ــ لن أسامح نفسى أبدًا .. لن أسامح نفسى أبدًا .

ربتت (مشيرة) على كتفه فى تعاطف ، وغمغمت فى حنان :

ــ إنك لم تخطئ يا (رمزى) .. لم يكن لديك حل بديل .. إما أن نقضى جميعًا ، أو يضحى والد (نور) بحياته من أجلنا .. لا تنس أنه كان سيلقى مصرعه فى الحالتين .

صرخ فى ألم :

ــ ما كان ينبغى أن أتركه وحده .

هتفت :

ــ ولكن هذا هو القرار الصحيح ..

التفت إليها فى غضب ، فأضافت فى سرعة :

ــ لا تنس أن آلاف الأرضيين يعتمدون عليك ، لبدء حرب التحرير ، ومقاومة المحتلين ، مع مشرق شمس الغد .

اعتدل فى حركة حادة ، وكأنما تذكر أمرًا طال نسيانه له ، واصلت هى :

ـــ لقد أدرك والد (نور) هذا ، وأدرك أنه ليس من العدل أن تخسر حياتك ، فى هذا الوقت بالذات .. إنها حرب يا (رمزى) ، ولكل حرب ضحاياها .

انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

ـــ نعم .. إنها حرب .

ثم احتضن كف (مشيرة) براحتيه فى قوة ، مستطردًا :

ـــ أشكرك يا (مشيرة) .. أشكرك كثيرًا .. على الرغم من أننى الطبيب النفسى المختصّ ، إلا أنك أنت أنقذتنى من الوقوع فى هوة نفسية رهيبة .. أشكرك .

ترقرق الدمع فى عينيها ، وتهدّج صوتها فى فرحة ، وهى تقول :

ـــ كيف تشكرنى يا (رمزى) ؟.. ألا تعلم أننى .. أننى ...

عجزت عن نطق الكلمة ، فسعلت على نحو مفتعل ، ثم قالت :

ـــ لا تنس أنهم يعتمدون عليك يا (رمزى) .

تطلّع إلى عينيها ، وهو يقول :

ـــ بل علينا يا (مشيرة) .. علينا معًا .

غمغمت فى دهشة :

ـــ علينا معًا ؟!.. أتقصد أنت وأنا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ نعم يا (مشيرة) .. فى خطة التحرير ، التى وضعها (نور) ، كان لك دور رئيسى بالغ الأهمية .

هتفت فى دهشة أكبر :

ـــ دور رئيسى ؟! ؟!.. لى أنا ؟!

أومأ برأسه مرة أخرى ، ثم ابتسم فى وجهها ، وقال فى حنان :

ـــ نعم يا (مشيرة) .. سأخبرك بدورك .. سأخبرك بكل شىء .

وراح يقصّ عليها ما لديه ..

* * *

اشتد وطيس المبارزة ، بين (كوماد) وإمبراطوره ، دون أن يصدر عن التقاء سيفيهما أدنى صوت ..

لم يكونا سيفين عاديين ..

إنهما حزمتان من الطاقة ..



اشتدّ وطيس المبارزة ، بين (كوماد) وإمبراطوره ، دون أن يصدر عن التقاء سيفيهما أدنى صوت ..

الطاقة الصافية ..

أما المقاتلان ، فكانا — حسبما يُفترض — أقوى مقاتلين فى (جلوريال) كله ..

ولقد امتدّ أمد المبارزة طويلًا ..

التقى السيفان وتباعدا مئات المرات ..

وهتف (كوماد) :

— يلُوح لى أن إمبراطورنا قد صار أكثر مهارة عن ذى قبل ..

ابتسم الإمبراطور ابتسامة شيطانية ، وقال :

— أنت قلتها يا قائد الجيوش .. إننى لست إمبراطوركم .

تراجع (كوماد) فى رشاقة ، وهو يصدّ سيف الإمبراطور ، قائلًا :

— حتى ولو لم تكن كذلك .

ثم هوَى بسيفه ، مستطردًا فى حدة :

— فلن تبلغ مهارة (كوماد) أبدًا .

أطلق الإمبراطور ضحكة ساخرة عالية وهو يقول :

— أى نوع من المهارة يا قائد الجيوش .

راوغ (كوماد) سيف إمبراطوره ، ومال جانبًا فى

مرونة ، ثم مال جانبًا ، وانقضّ على الإمبراطور انقضاضة مباغتة ، هاتفًا :

ـ هذه المهارة .

ولكن الإمبراطور تفادى ضربة سيف (كوماد) ، وقفز إلى الخلف ، فوق أولى درجات سلم العرش ، وهو يطلق ضحكة مخيفة ، هاتفًا :

ـ حتى هذه تفشل فيها معي يا قائد الجيوش .

طوّح (كوماد) سيفه عند قدم الإمبراطور ، قائلًا :

ـ هل تراهن ؟

قفز الإمبراطور إلى أعلى ، متفاديًا سيف (كوماد) ، وهاتفًا :

ـ بالتأكيد .

ولكن تلك القفزة حصدت ما بذره (كوماد) ، فقد اختلّ توازن الإمبراطور ، مع هبوطه على حافة درجة السلم الثانية ، فسقط فوق عرشه ، وسقط سيف الطاقة منه ..

وهنا انقضّ (كوماد) على الإمبراطور ، صارخًا :

ـ نعم .. إننى أفضّلها هكذا .. فوق عرشك .

وغرس سيف الطاقة فى قلب الإمبراطور ..

* * *

جفّف الدكتور (عبد المنعم) العرق الغزير ، الذى يتصبّب على جبينه ، وقال للدكتور (محمد حجازى) فى توتّر :

ـ تصوّر أننى أعجز عن تصديق هذا .

تمتم الدكتور (حجازى) :

ـ أظننى أشاركك هذا الشعور .

تنهّد الاثنان فى آن واحد ، ولاذا بالصمت ، وهما يتطلّعان إلى السفينة الإمبراطورية ، القابعة على رمال الصحراء ، على بعد كيلومتر واحد منهم ، ثم لم يلبث الدكتور (حجازى) أن قطع حبل الصمت هذا ، وهو يقول :

ـ الموقف فى الواقع يُدهشنى كثيرًا ؛ لأننا نجلس هنا ، فى هذه الأطلال القديمة ، ونخطّط لهجوم بدائى ، على سفينة القيادة نفسها ، فى القرن الحادى والعشرين ، ألا يبدو لك الموقف هزليًا ؟

ابتسم الدكتور (عبد المنعم) ابتسامة متوترة ، وهو يقول :

ـ بل مرعبًا .

صمت لحظات ، ثم أضاف فى قلق :

ـ أتظن أن مثل هذا الهجوم الهمجى ، يمكن أن يفلح ، فى هزيمة سفينة فضائية متطوّرة كهذه ؟

أجابه الدكتور (حجازى) فى هدوء :

— إنه ليس هجومًا همجيًا كما قد تتصوَّر .. إن هجومنا ليس سوى جزء من خطة محكمة ، تعتمد على النظام الشديد الدقة ، الذى يتبعه هؤلاء الغزاة ، منذ احتلالهم الأرض ، فإيقاعهم يرتبط بالشمس ارتباطًا وثيقًا ، حيث تنطلق عيون الحراسة مع مغيب الشمس تمامًا ، فتجول فى المدن والطرقات ، وتسحق أى بشرى تلتقى به ، ثم تنسحب كلها مع مشرق الشمس ، معلنة انتهاء فترة حظر التجوال ، ومع انسحاب عيون الحراسة ، تبدأ وسائل المراقبة الأخرى ، مثل أجهزة الاستشعار ، والرادارات الليزرية ، وآلات الالتقاط الصوتى الفائقة .

قال الدكتور (عبد المنعم) فى قلق :

— وهل تتصوَّرون أننا نستطيع مواجهة كل هذا ، بمجرَّد أننا نمتلك قوة بشرية كبيرة ، وعددًا محدودًا من بنادق الأشعة الأرجوانية ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه نفيًا ، وقال :

— بالتأكيد لا .

ثم أضاف فى حسم :

— ولكن رجالنا يراقبون هذا النظام ، منذ أعلن (نور) بدء المقاومة ، وأسفرت مراقبتهم هذه عن أن السفينة الإمبراطورية هى التى تشرف على هذا النظام البالغ الدقة ، بوساطة أجهزة توجيه فائقة الحساسية .

قال الدكتور (عبد المنعم) متوترًا :

— ما زال حديثك يزيد الأمر تعقيدًا .

تنهَّد الدكتور (حجازى) مرة أخرى ، وقال :

— لست أدَّعى أن العملية هينة ، أو أنه من الممكن أن تصبح كذلك ، ولكنها حرب ، وكل الحروب قاسية وعنيفة .

قال الدكتور (عبد المنعم) فى حدَّة :

— لو أن الأمر كما تصفه ، فلن تكون هذه معركة ، بل مذبحة .. إن السفينة الإمبراطورية وحدها قادرة على سحق جيشنا كله ، مع الضربة الأولى .

صمت الدكتور (حجازى) لحظات ، وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم قال :

— إننا نعتمد فى الواقع على البلبلة ، فى الضربة الأولى ، فلقد تم اتصال بين (رمزى) و (سلوى) ، التى عثرت مع ابنتها على مركبة (بودون) الفضائية ، وبناء على هذا الاتصال تغيَّرت خطتنا كلها ، فمع مشرق الشمس ، ستبدأ عيون

الحراسة فى العودة إلى حظائرها ، وتبدأ مرحلة المراقبة ، وفى نفس اللحظة سنبدأ هجومنا على كل الجبهات .. فى البداية ستظهر مركبة (بودون) فى سماء المعركة ، وتقوم (سلوى) و (نشوى) بنسف أبراج الإشارات الرئيسية ، فوق سفينة القيادة ، وهكذا ينقطع الاتصال بين السفينة الأم ، وجيوش المحتلين ، وتعجز السفينة الإمبراطورية — فى الوقت نفسه — عن الاتصال بعيون الحراسة ، أو استخدام وسائل المراقبة والدفاع الأخرى ، وفى نفس الثانية ، التى تسقط فيها أبراج الإشارات ، سيبدأ هجومنا نحن .

قال الدكتور (عبد المنعم)، وقد جذب الأمر انتباهه فى شدة :

— هذه الخطة تبدو جيِّدة ، ولكن بها نقطتى ضعف بالغتى الخطورة .

سأله الدكتور (حجازى) :

— ما هما ؟

أجاب الدكتور (عبد المنعم) فى انفعال :

— أوَّلهما أن اقتراب مركبة (بودون) من السفينة الأم أمر مشكوك فيه ؛ لأنه من المؤكَّد أن السفينة الإمبراطورية مزوَّدة بوسائل غاية فى التطوّر والتعقيد ، تسمح لها بكشف أية مركبة تقترب منها ، وسحقها بلا رحمة .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه موافقًا ، وقال :

— هذا صحيح بالتأكيد ، ولكن مركبة (بودون) لها خاصية نادرة ، ألا وهى القدرة على الانتقال آنيًا ، من مكان إلى آخر (*) ، **بحيث ستظهر فجأة فوق السفينة الإمبراطورية ، كما لو أنها قد برزت من العدم .**

هتف الدكتور (عبد المنعم) :

— هذا عظيم .

ثم عاد يستطرد فى اهتمام :

— هناك نقطة الضعف الثانية ، وهى أن السفينة مزوَّدة حتمًا بوسيلة احتياطية ، بحيث لا تتوقَّف عن العمل تمامًا ، عند نسف أبراج الإشارات .

أجابه الدكتور (حجازى) :

(*) **(الانتقال الآنى)، أو (الانتقال اللحظى): حلم العلماء** منذ الستينات ، وهو مصطلح يعنى انتقال الجسم المادى ، من نقطة إلى أخرى ، دون المرور بمراحل وسيطة ، وفيه يتم تحليل الجسم إلى ذرات ، تنتقل كموجات الراديو ، بحيث يتم استقبالها ، وإعادة تجسيمها فى نقطة أخرى ، ولقد أجريت تجربة ناجحة فى هذا المجال ، فى (سياتل) الأمريكية ، عام ١٩٦٩ م .

— أنا واثق من وجود هذه الوسيلة الاحتياطية ، ولكننا نعتمد على الهجوم المباغت ، بحيث نثير بلبلة العدو وارتباكه ، ونبلغ غايتنا ، قبل أن يتخذ الوسيلة الاحتياطية .

عقد الدكتور (عبد المنعم) حاجبيه ، وهو يدرس الأمر من كل جوانبه ، ثم التفت إلى الدكتور (حجازى) ، وقال :

— هناك نقطة هامة أيضًا ، وهى .....

قاطعه الدكتور (حجازى) ، وهو يشير إلى نقطة خارج المكان :

— لم يعد هناك مجال للنقاش يا صديقى .. سبق السيف العذل(*) .

التفت الدكتور (عبد المنعم) إلى حيث يشير الدكتور (حجازى) ، وأدرك ما يعنيه هذا الأخير ..

لقد بدأ شروق الشمس ..

وحانت لحظة القتال ..

* * *

(*) سبق السيف العذل : مثل عربى قديم ، يضرب لبيان عدم جدوى اتخاذ المحاذير ، بعد وقوع الفعل . والعذل : اللوم .

٨ — بلبلة ..

ابتسمت (مشيرة) ، وهى تتطلع إلى (رمزى) ، فى ذلك الزى ، الذى جعله أشبه بواحد من الغزاة ، وقالت :

— يا إلهى !.. لولا أننى واثقة من أنك (رمزى) ، لارتجفت رعبًا أمامك .

لم يزد (رمزى) على قوله :

— هذا الزى التنكرى رائع .

ثم أضاف :

— وسترتدين مثله .

غمغمت :

— أعلم هذا .

ثم أطلقت ضحكة قصيرة ، وهى تستطرد :

— ولكن حذار أن يلتقط لى أيكم صورة هولوجرافية ، فى هذا الزى .

لم يبتسم أى من المحيطين بها ، وهى تقف مع (رمزى) ،

وسط المقر السرّى للوحدة الطبية ، التابعة لفريق المقاومة ، فتنحنحت فى حرج ، وأضافت :

ـــ لن يكون هذا لائقًا .

ابتسم (محمود) ابتسامة شاحبة ، وهو يرقد على فراش المرض ، وقال فى وهن :

ـــ إنك ستبدين جميلة فى أى زى يا (مشيرة) .

أطلقت ضحكة مرحة ، عندما أرضت العبارة أنوثتها ، وقالت فى دلال :

ـــ أحقًا ؟!

قال (رمزى) فى صرامة :

ـــ لا وقت لهذا .. علينا أن نتجه إلى مركز البث بعد قليل .

ابتسمت (مشيرة) ، وقالت :

ـــ هل تغار ؟

أجابها فى حدّة :

ـــ قلت : لا وقت لهذا .

تطلّعت إليه لحظة ، ثم قالت :

ـــ سمعًا وطاعة أيها القائد .

تركته واتجهت إلى حجرة جانبية ، لترتدى زيها التنكّرى ، فابتسم (محمود) ، وقال لرفيقه :

ـــ دعنى أستعد سؤالها يا (رمزى) .. هل تغار ؟

أجابه (رمزى) فى حزم :

ـــ مطلقًا .

صمت لحظة ، ثم أضاف فى عصبية :

ـــ وأنت تعلم أن (مشيرة) لم تعد تهمّنى ، على الرغم من أننا كنا زوجين فيما مضى ، ولكننى الآن أرتبط بـ (نشوى) ، ابنة (نور) .

راقبه (محمود) لحظات ، ولكن القناع الذى يرتديه (رمزى) أخفى انفعالاته تمامًا ، وهو يتابع :

ـــ ثم إن الوقت لا يسمح بالتفكير فى هذا .

عادت (مشيرة) بعد لحظات ، وهى ترتدى زيًا يُشْبِهُ الغزاة ، وأطلقت ضحكة مرحة ، وهى تقول :

ـــ هل أبدو فاتنة ؟

ابتسم (محمود) ، وهو يقول :

ـــ بالتأكيد .

أما (رمزى) ، فقال فى حزم :

ـــ هيا يا (مشيرة) .. ستشرق الشمس بعد قليل .

سأله (محمود) فى ضيق:

ـ هل سأبقى وحدى هنا ؟

أجابه (رمزى) فى تعاطف :

ـ أنت مصاب يا صديقى .

أومأ (محمود) برأسه متفهمًا فى مرارة ، ثم رفع يده بجهاز إرسال صغير ، وهو يقول :

ـ على أية حال ، سأبقى على اتصال دائم بكم ؛ فربما احتجتم إلى خبراتى فى مجال الأشعة .

ابتسم له (رمزى) ، ولوّح بكفه ، ثم اتجه مع (مشيرة) إلى الخارج ، فأحنى (محمود) رأسه فى حزن ، مكررًا :

ـ ربما ..

ومن عينيه ، انحدرت دمعة حزن ..

* * *

صرخت كل خلية من خلايا (كوماد) بالظفر والانتصار ، عندما انغرس سيفه حتى مقبضه فى قلب الإمبراطور ، فأطلق هو صيحة هائلة ، وهو يهتف :

ـ المجد لـ (جلوريال) .. المجد لـ ..

تجمّدت الكلمات على شفتيه ، واحتبست فى حلقه ،

واتسعت عيناه فى ذعر وذهول ، وهو يحدّق فى وجه الإمبراطور ، وابتسامته الساخرة .

وتراخت أصابع (كوماد) ، وتراجع مشدوهًا ، تاركًا سيفه فى قلب الإمبراطور ، وهاتفًا :

ـ مستحيل !.. مستحيل !

وأمام عينيه الذاهلتين المذعورتين ، نهض الإمبراطور واقفًا فى هدوء ، ومقبض سيف (كوماد) مازال يبرز عند موضع قلبه ، ونصله المصنوع من طاقة صافية يخترق ظهره ..

وانطلقت من حلق الإمبراطور ضحكة ..

ضحكة ساخرة شيطانية رهيبة ..

ثم ارتفعت يد الإمبراطور تقبض على مقبض السيف ..

وانتزعته من القلب الإمبراطورى فى حركة سريعة ، انتفض لها جسد (كوماد) ، الذى كرّر :

ـ هذا مستحيل !

وبحركة تموج بالازدراء ، ألقى الإمبراطور سيف الطاقة ، عند قدمى (كوماد) ، وهو يقول ساخرًا :

ـ هل أدهشك هذا ؟

حدّق (كوماد) فى موضع طعنة السيف ، عند قلب

الإمبراطور ، حيث لم تسقط قطرة دم واحدة ، ثم رفع عينيه فى ذهول إلى عينى الإمبراطور الناريتين ، وهتف :

ـــ من أنت ؟

أشار إليه الإمبراطور ، وقال فى لهجة مخيفة :

ـــ أنت تعلم أننى لست الإمبراطور .

كرّر (كوماد) :

ـــ من أنت إذن ؟

لوّح الإمبراطور بكفه ، مجيبًا :

ـــ أنا مثل (جلاكس) .. كائن بلا قلب ، ولكننى أختلف عنه فى أنه ليست لى عروق أو شرايين تنبض .

بذل (كوماد) أقصى جهده ، ليتغلّب على خوفه ، وهو يهتف :

ـــ لست من (جلوريال) إذن ؟!

أطلق الإمبراطور ضحكة ساخرة مخيفة ، وأجاب :

ـــ بل لست من عالمكم كله .. أتريد أن تعرف حقًا من أنا ؟.. انظر إذن .. انظر وسترى .

عند هذه النقطة بدأ جسد الإمبراطور يتموّج ، كما لو كان يبدو من خلف حوض مائى كبير ..

واتسعت عينا (كوماد) فى رعب ..

نعم .. فى رعب حقيقى هذه المرة ..

لم يعد الواقف أمامه هو الإمبراطور ..

بل لم يعد حتى يشبهه ، أو يشبه أى كائن آخر ، عرفه (كوماد) فى عمره كله ..

كان شيئًا بشعًا ..

بل هو البشاعة نفسها ..

وبعينين تشتعلان بالنيران ، اتجه ذلك الشىء نحو (كوماد) ، الذى تراجع بدوره ، حتى التصق بجدار القاعة ، وهو يردّد :

ـــ لماذا تحتل عرشنا ؟.. لماذا ؟

رفع الشىء كفه أمام (كوماد) ، وقال فى غضب :

ـــ لقد فعلت هذا من أجله .. كل هذا من أجل ذلك الأرضى (نور) .

تمتم (كوماد) :

ـــ من أجله ؟!

تعلّقت عيناه المذعورتان بكرتين زرقاوين ، فى راحتى الشىء ، الذى قال بلهجته الشيطانية المخيفة :

— والآن قد علمت كل ما سعيت لمعرفته يا عزيزى (كوماد) ، لم يعد هناك مفرّ من أن تلحق بصديقك (جلاكس) .

تهاوى صوت (كوماد) ، وهو يتمتم :

— ولكن لماذا ؟.. لماذا تبارزت معى ، وأنت تعلم أنك لن ..؟

أطلق الشىء ضحكة ساخرة ، وقال :

— قليل من المرح يا قائد الجيوش .. قليل من المرح

ثم ألصق الكرتين بكتفى (كوماد) ..

واتسعت عينا قائد الجيوش الجلوريالية ..

وانتفض جسده فى عنف ..

وأدرك أنه يموت ..

يموت ..

يموت ..

وسقط (كوماد) ..

سقط جثة هامدة ، عند قدمى الإمبراطور ..

الإمبراطور الزائف ..

وفى هدوء ، عاد ذلك الشىء إلى الهيئة الإمبراطورية ، وابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

— الوداع يا قائد الجيوش .

ثم رفع رأسه هاتفًا :

— إلىّ يا حرّاس .

انفتحت أبواب القاعة إثر النداء ، واندفع حارسان داخل القاعة الإمبراطورية ، وتسمّرت أقدامهما ، وهما يحدّقان فى جثة (كوماد) فى ذهول ، حتى انتزعهما صوت الإمبراطور من ذهولهما ، وهو يقول فى صرامة :

— احملا جثة هذا الخائن إلى الخارج .

حمل الحارسان جثة (كوماد) ، ولم يتلاش ذهولهما بعد ، فى حين عاد الإمبراطور فى زهو إلى عرشه ، واستقرّ فوقه فى خيلاء ، وهو يقول :

— لن يوقف أحد انتقامى .

اندفع أحد رجاله إلى القاعة — فى هذه اللحظة — وانحنى أمامه فى اضطراب واضح ، وهو يقول :

— فليغفر لى سمو الإمبراطور اقتحامى لقاعته الخاصة ، ولكن الأمر بالغ الخطورة .

سأله الإمبراطور فى اهتمام :

— ماذا وراءك ؟

أجابه الرجل ، وهو يلهث انفعالاً :

ـ لقد أرسلنا دفعة جديدة من الأسرى ، إلى جحيمك الخاص يا مولاى ، ولكن .. ولكن ..

سأله الإمبراطور بنفاد صبر :

ـ ولكن ماذا ؟.. هل حدث تمرّد هناك ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا يا مولاى ، ولكن الطوّافة التى ذهبت ، لم تجد أحدًا هناك .

انعقد حاجبا الإمبراطور ، وهو يهتف :

ـ لم تجد ماذا ؟.. ماذا تعنى يا رجل ؟

أجابه الرجل :

ـ لم يجدوا هناك سوى جنودنا ، الذين قضى عليهم الأسرى ، قبل أن يغادروا الجحيم .

اشتعلت عينا الإمبراطور ببريق مخيف ، تراجع له الجندى فى ارتياع ، فى حين غمغم الإمبراطور :

ـ إذن فقد فرّوا من جحيمى الخاص .

وسأل الجندى بغتة :

ـ متى ذهبت آخر طوّافة إلى هناك ؟

أجابه الجندى :

ـ منذ سبع ساعات يا مولاى .

صمت الإمبراطور لحظات ، ثم هتف بالجندى :

ـ اتركنى وحدى .

انحنى الجندى فى حركة سريعة ، واندفع مغادرًا القاعة ، فى حين هبط الإمبراطور عن عرشه ، وهو يحدّث نفسه ، قائلاً :

ـ كان ينبغى أن أتوقّع هذا ، ما دمت قد وضعت اثنين من الفريق فى مكان واحد ، حتى ولو كان هذا المكان هو جحيمى الخاص .

اتجه نحو ركن من أركان قاعته ، وضغط عدة أزرار ، فأضيئت أمامه ثلاث شاشات راصدة ، نقلت إليه كل ما يدور حول السفينة ، وهو يقول :

ـ كل شىء يبدو هادئًا ، ولكننى واثق أنهم فى مكان ما هنا ، فلقد درست شخصياتهم جيّدًا ، ولو أننى فى موضعهم ما انتظرت ، ولبدأت هجومى على الفور ..

عاد يدور فى قاعته ، وهو يستطرد :

— ما الخطة التي سأتبعها ، لو أنني في مثل ظروفهم ؟..
بالتأكيد كنت سأسعى للهجوم على السفينة الإمبراطورية مباشرة .. ما الوقت المناسب إذن للهجوم على السفينة الأم ؟.. نعم .. إنه حتما خطة شروق الشمس .. عندما تبدأ عيون الحراسة رحلة العودة ، وترتفع أبراج الإشارات والمراقبة .. ولكن كيف سيخططون لتدمير الأبراج ؟.. لا ريب أن لديهم خطة لهذا أيضا .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية ساخرة ، وهو يقول :

— وواجبي هو أن أفسد خطتهم هذه .

اتجه في خطوات سريعة نحو عرشه ، وجلس فوقه ، وضغط زر الاتصال الخاص ، وقال في حزم :

— هناك تغيير في خطتنا الدفاعية اليوم .. لن تعود عيون الحراسة إلى حظائرها ، مع شروق الشمس ، وسنحيط سفينة القيادة بمجال كهرومغناطيسي قوى ، يمنع أية قوى من بلوغها .

أتاه جواب مسئول الأمن :

— سمعا وطاعة يا مولاى .

أنهى الإمبراطور الاتصال ، وقال :

— عندما يبدأ هؤلاء الأرضيون هجومهم ، سيجدون أمامهم مفاجأة .. مفاجأة مذهلة .

وردّدت القاعة صدى ضحكة ساخرة ..

ضحكة شيطانية ..

* * *



٩ — المفاجأة ..

اعتدل الحارسان الخاصان ، لمحطة البث الهولوجرافى العام ، التابعة للقيادة العامة لقوات الاحتلال ، عندما توقف أمامهما قرص طائر ، يحمل شعار القيادة ، وهبط منه أحد ضباط (جلوربال) ، يتبعه جندى واحد ، واتجه الضابط إلى الحارسين ، وهو يقول فى صرامة :

— انتباه .. إنه تفتيش خاص .

توقف يتطلع إلى الحارسين فى إمعان وصرامة ، ثم قال لأحدهما فى غضب :

— منذ متى لم تقم بتلميع خوذتك أيها الجندى ؟

ارتبك الجندى ، وقال :

— أنت تعلم كثرة العمل أيها الضابط ، و .....

صاح به الضابط فى صرامة :

— ليس هذا عذرًا أيها الجندى .

هتف الجندى فى توتر :

— بالتأكيد يا سيدى .

أشار إليه الضابط فى ازدراء ، وهتف :

— هيا .. ابتعدا .

أفسح له الجنديان الطريق فى توتر ، وتركاه يعبر مع الجندى إلى داخل محطة البث ، ثم زفر أحدهما ، وهو يغلق بابها خلفه ، وغمغم لزميله :

— هذا الضابط شديد الصرامة .. من حسن الحظ أنه لم ينتبه إلى حذائى ، فلقد فقدت رباطه هذا الصباح .

مطَّ زميله شفتيه فى ضيق ، وقال :

— أنت حسن الحظ .

أما الضابط ، فلم يكد يجد نفسه داخل محطة البث ، حتى زفر بدوره ، وقال :

— يا إلهى !.. لم أتصوَّر أن تنجح الخطة بهذه البساطة .

لم يكن هذا الضابط سوى (رمزى) ، فى زيه التنكُّرى ، ولم يكن جنديه سوى (مشيرة) ، التى أجابته مبتسمة :

— يبدو أن النظم العسكرية تتشابه ، فى الكون كله .

ابتسم (رمزى) ابتسامة باهتة ، لم تلبث أن تلاشت فى سرعة ، وهو يقول :

— المهم الآن أن تنجح فى بلوغ حجرة البث ، فالسيطرة على وسائل الإعلام خطوة بالغة الأهمية ، فى أية ثورة .

غمغمت :

ــ ستنجح بإذن الله .

عبرا معًا ممرًّا طويلًا ، يقود إلى قاعة واسعة ، يمتد منها بدورها عدد من الممرات ، أثارت حيرة (رمزى) ، فسأل (مشيرة) :

ــ أتعلمين أى اتجاه ينبغى أن نتخذ ، لنبلغ حجرة البث ؟

ابتسمت مجيبة :

ــ بالطبع .. أنسيت أن هذه المحطة كانت ــ فيما مضى ــ محطة (أنباء الفيديو) ، التى كنت أرأسها قبل الاحتلال ؟

ثم أشارت إلى الممر الأيمن ، مستطردة :

ــ سنتخذ هذا الاتجاه .

سارا معًا إلى الممر المنشود ، وسألها (رمزى) :

ــ هل يمكنك إدارة أجهزة البث ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ــ بالتأكيد .. الأجهزة الحديثة لا تحتاج لأكثر من شخص واحد لإدارتها ، فالكمبيوتر يقوم بكل العمل .

قال (رمزى) :

ــ هذا من حسن حظنا ، وإلا وجدنا أنفسنا نواجه جيشًا جرّارًا .

مطّت شفتيها ، وقالت :

ــ يُدهشنى فى الواقع أننا لم نلتق بهذا الجيش الجرّار ، فلقد كنت أتوقّع أن تحاط محطة البث بجيش حراسة كامل .

قال فى توتُّر :

ــ تذكّرى أننا لم ننجح فى بلوغ المحطة ، إلا لأننا نرتدى هذا الزى التنكّرى ، القادر على خداع أجهزة الفحص عند العدو ، ولولا هذا لسحقتنا وسائل الأمن الإليكترونية ، قبل أن نقترب من حاجز أمن المحطة .

شعر بها تضغط يده فى اضطراب ، وهى تقول :

ــ استعد .. أمامنا مسئول أمن المحطة .

شدّ (رمزى) قامته ، ورسم شيئًا من الصرامة على قناعه المطّاطى ، وهو يستقبل ضابط أمن محطة البث ، الذى تطلّع إليه فى شك ، وهو يقول :

ــ مرحبًا أيها الضابط .. تُرى ما سر هذه الزيـــارة المفاجئة ؟

أجابه (رمزى) فى حزم :

— إنه تفتيش مفاجئ .

هتف ضابط الأمن :

— تفتيش مفاجئ ؟!.. عجبًا أيها الضابط !!.. هل تغيَّرت سياستنا العسكرية فى (جلوريال) ؟

سأله (رمزى) فى توتُّر :

— ماذا تعنى ؟

أشار ضابط الأمن إلى الحارسين ، اللذين يتبعانه ، وهو يجيب (رمزى) :

— أعنى أنه لم يحدث أبدًا ، فى كل تاريخ (جلوريال) ، أى تفتيش مفاجئ على محطات البث أيها الضابط الـ ..

وبسرعة ، رفع الجميع بنادقهم نحو (رمزى) و (مشيرة) ، والضابط يستطرد فى حدة مباغتة :

— المزيَّف .

وكانت لحظة حاسمة ..

* * *

سرَى التوتُّر فى عروق (سلوى) ، وهى تقول لابنتها ، داخل مركبة (بودون) :

— أسرعى يا (نشوى) ، الشفق يتلوَّن بأضواء الشروق .

أجابتها (نشوى) ، التى تقود المركبة فى مهارة :

— إننى أبذل أقصى جهدى يا أماه ، فهذا النوع من أجهزة الكمبيوتر يختلف كثيرًا ، عن الأنواع المألوفة هنا .

ثم تهلَّلت أساريرها ، وهى تستطرد :

— ها هو ذا .. الآن سيبدأ الهجوم .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى بدأت المركبة تتلاشى ، على نحو أثار قلق (سلوى) ، فقالت متوترة :

— ماذا يحدث ؟

أجابتها (نشوى) فى حماس :

— إننا نبدأ رحلتنا يا أماه .

تلاشت المركبة كلها ، وأحاطت موجة من الألوان المتداخلة بـ (سلوى) و (نشوى) ، مع تيار مغناطيسى هادئ ، وهتفت (نشوى) :

— إذن فهذا هو الانتقال الآنى .

امتزجت الألوان بعضها ببعض فى تموجات ناعمة رقيقة ، لم تلبث أن تلاشت بدورها ، وراحت جدران المركبة تعود للظهور ، وهتفت (سلوى) هذه المرة :

— انظرى يا (نشوى) .. إننا نتجسَّد ثانية ، أمام

السفينة الإمبراطورية مباشرة .. هيّا يا بنيّتى ، استخدمى مدفع الأشعة الأرجوانية فى المركبة ، لنسف أبراج الإشارات ، وبدء الهجوم .

هتفت (نشوى) فى حماس :

ــ فليكن .

قالتها وضغطت زر إطلاق الأشعة ..

وانطلقت الأشعة الأرجوانية من المركبة ..

ولكن برجًا واحدًا لم يسقط ..

لقد ارتطمت الأشعة بالحاجز الكهرومغناطيسى القوى ، وتلاشت بأزيز عنيف ..

ثم ساد سكون ..

سكون يأس وإحباط ..

ووسط الأطلال هتف الدكتور (حجازى) :

ــ يا إلهى !.. لقد فشل الهجوم .. فشل مع الضربة الأولى .

انهار الدكتور (عبد المنعم) ، وهو يقول :

ــ كنت أخشى هذا .. كنت أخشى هذا .

وفى المركبة الفضائية شحب وجه (نشوى) ، واحتبست الكلمات فى حلقها ، فى حين قالت (سلوى) فى ذعر :

ــ لقد فشلنا .. والآن ماذا سنفعل ؟.. ماذا ؟

أما داخل السفينة الإمبراطورية ، فقد أطلق الإمبراطور ضحكته الشيطانية الساخرة ، وقال :

ــ الآن انعكست الظروف ، وأصبحت المفاجأة من نصيب أصدقائنا الأرضيين .

ثم تلاشت سخريته ، واستطرد فى شراسة :

ــ وسنلعب نحن بعامل المفاجأة هذا .

وارتفع صوته فى وحشية :

ــ اسحقوا تلك المركبة الفضائية ، وأطلقوا عيوننا الحارسة على هذه الأطلال القريبة .. سنسحق ثورة الأرضيين سحقًا .

وبدأ الهجوم المضاد ..

* * *

ليس من المألوف أن يواجه طبيبٌ نفسىّ موقفًا قتاليًا كهذا ..

ليس من المعتاد أن يجد نفسه أمام بنادق قاتلة ، فى مكان محدود ..

ولكن (رمزى) يختلف ..

إنه ليس طبيبًا نفسيًا عاديًا ..

إنه واحد من أعضاء الفريق ..

فريق (نور) ..

لقد ارتفعت بنادق المحتلين الخمسة نحو (رمزى) و (مشيرة) ، فتجمَّدت أطراف (مشيرة) ، واتسعت عيناها فى رعب ..

أما (رمزى) ، فقد اتخذ الجانب الإيجابى ، ورفع بندقيته بدوره

وانطلقت خيوط الأشعة الأرجوانية .

وشعر (رمزى) بآلام مبرحة فى ذراعه ، ورأى أشعته تسحق ضابط أمن المحطة ، وتطيح بأحد جنوده ..

ثم سقط على ظهره ..

وتراقصت المشاهد أمامه ..

كان قد أصيب إصابة شديدة فى ذراعه ..

وفى غضب اتجه إليه الجندى الأخير ، وهو يقول :

ـــ دماء حمراء ؟!.. إنك لست أحد رجالنا حتمًا .

ثم رفع بندقيته نحو (رمزى) ، مستطردًا :

ـــ وهذا هو العقاب الذى تستحقه ..

وعكست الجدران بريق أشعة أرجوانية ساحقة .

* * *

١٠ ـــ البطل ..

كل الأمل تلاشى ..

كل الخطة انهارت ..

كشف المحتلون اللعبة كلها ، وقلبوا المائدة على رءوس الأرضيين ..

وفى أعماق (نشوى) تفجَّر غضب هائل ، جعلها تهتف :

ـــ اللعنة !

صاحت بها (سلوى) :

ـــ فلنبتعد أوَّلًا ، قبل أن يبدأ الهجوم المضاد .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى انطلق من السفينة الإمبراطورية خيط من الأشعة الأرجوانية ، مرَّ على قيد سنتيمتر واحد من المركبة الفضائية ، وفجَّر قلق (سلوى) ، فصاحت :

ـــ انطلقى يا (نشوى) .. انطلقى ..

ضغطت (نشوى) أزرار الانطلاق ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها شعاع أرجوانى آخر نحو المركبة ..

وبدأت المناورة ..

أشعة السفينة الإمبراطورية تحاصر المركبة ، التى تدور فى خطوط غير منتظمة ، لمراوغة خيوط الأشعة ..

وهتفت (سلوى) :

ـــ لن يمكننا تجاوز هذا الحصار .. إننا ندور حول أنفسنا فحسب .. الحل الوحيد هو الانتقال الآن ..

صاحت (نشوى) :

ـــ أعلم أن هذا هو الحل الوحيد ، ولكن ذلك المجال الكهرومغناطيسى القريب يُفسد عمل جهاز الانتقال ، و .....

لم تكد تتم عبارتها ، حتى أصاب المركبة شعاع أرجوانى .. مسّ جدارها فحسب ..

وكان هذا يكفى ..

فقدت المركبة توازنها ، وراحت تدور حول نفسها فى عنف ، و (سلوى) تهتف :

ـــ تشبثى بأجهزة القيادة يا (نشوى) .

صاحت (نشوى) فى مرارة :

ـــ إننى أحاول .. إننى أحاول .

ومن قلب الأطلال ، هوى قلب الدكتور (حجازى) بين قدميه ، وهو يراقب ما يحدث ، وهتف فى ارتياع :

ـــ لقد أصابوا المركبة .. إنها تهوى .. ستسقط أرضًا .

أجابه الدكتور (عبد المنعم) فى توتُّر :

ـــ يخيّل إلىّ أن (سلوى) و (نشوى) تحاولان استعادة زمام القيادة ، فالمركبة تتخذ مسارات منتظمة أحيانًا .

هتف الدكتور (حجازى) :

ـــ المركبة تهبط .. انظر .

لم يسمع جوابًا من رفيقه ، فالتفت إليه مستطردًا :

ـــ لقد نجحتا فى الهبوط بالمركبة .. إنهما الآن على الأرض .

بدا له الدكتور (عبد المنعم) جامدًا ، ذاهلًا ، اتسعت عيناه فى رعب واضح ، فهتف به :

ـــ ماذا بك ؟

أشار الدكتور (عبد المنعم) عبر نافذة جانبية انهارت قمتها ، وهو يقول فى رعب :

ـــ صحيح أنهما قد هبطتا فى سلام ، ولكن من يدرى ؟.. ربّما كان بقاؤهما فى السماء أكثر أمنًا .

التفت الدكتور (حجازى) إلى حيث يشير (عبد المنعم) ، ثم تراجع بدوره ، واتسعت عيناه أيضًا فى رعب ..

فهناك ..

من حيث تشرق الشمس ، كان هناك سرب هائل مخيف ، يندفع نحو الأطلال ، التى يختبئ فيها جيش الأرضيين ..

سرب من العيون ..

عيون الحراسة القاتلة ..

* * *

ارتجف جسد (رمزى) ، مع انطلاق خيط الأشعة الأرجوانية ، وانتظر أن يشعر بآلام رهيبة ، وينسحق جسده سحقًا ..

ولكن هذا لم يحدث ..

كل ما حدث هو أن الجندى ، الذى كان يصوّب بندقيته نحو (رمزى) ، لم يعد فى مكانه ..

لقد أطاحت به أشعة أرجوانية ..

أشعة بندقية (مشيرة) ..

وأطلق الجندى صرخة ألم هائلة ، تلاشت فى لحظة واحدة ، ثم ساد سكون تام ..

سكون رهيب ..

وبعدها انفجرت (مشيرة) باكية ..

لم يحتمل جهازها العصبى كل هذا القدر من الإثارة ..

لم تحتمل ذلك الموقف ، عندما قتلت مخلوقًا حيًا ، لأوّل مرّة فى عمرها ..

وفى تهالك ، اعتدل (رمزى) ، وربّت على كتفيها ..

وفى انهيار ، رفعت هى عينيها إليه ، وغمغمت :

ـ لقد قتلته يا (رمزى) .. قتلته .

تمتم فى تعاطف :

ـ لم يكن أمامك سوى هذا يا عزيزتى .. لقد أنقذت حياتى .

انهمرت الدموع غزيرة من عينيها ، وهى تقول :

ـ لقد فعلت هذا من أجلك يا (رمزى) .. من أجلك وحدك .

ضمّها إلى صدره فى رقة ، وهو يقول :

ـ أعلم هذا يا عزيزتى .. أعلم هذا

ثم اعتدل ، مضيفًا :

ـ ولكن لا ينبغى أن ينسينا هذا الموقف مهمتنا الرئيسية .

جفّفت دموعها ، وقالت :

ـ بالتأكيد ..

تحامل على نفسه لينهض ، وسار معها إلى حجرة البث الرئيسية ، وجلست هي أمام الأجهزة في انبهار ، وراحت تتحسسها في سعادة ، مغمغمة :

ـ كم اشتقت لكل زر من هذه الأزرار .

ثم أضاءت كل شاشات الرصد أمامها ، وهي تستطرد :

ـ ستنقل لنا هذه الشاشات كل ما يدور حولنا ، و .....

احتبست الكلمات في حلقها ، عندما نقلت لها واحدة من شاشات الرصد ما يحدث حول السفينة الأم .

واتسعت عينا (رمزى) ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !!

كان أمامهما مشهد رهيب ..

بل مذبحة ..

مذبحة للحرية ..

* * *

راحت عيون الحراسة تحصد الجميع بلا رحمة أو هوادة ..

وانطلقت صرخات الأرضيين من الأطلال القديمة ..

حاول البعض الفرار ..

حاول العديدون الاختباء بين الأطلال ..

ولكن هذا أو ذاك لم يخدع عيون الحراسة ..

كانت تطارد الفارين ، وتتسلل إلى حيث المختبئين ..

وتحصد الجميع ..

وفى بسالة ، تصدى بعض الأرضيين للعيون القاتلة ، وراحوا يطلقون عليها بنادق الأشعة الأرجوانية ، التي استولوا عليها من جنود (جلوريال) ..

ولكن هيهات ..

كانت العيون تأتى بالمئات ..

بل بالآلاف ..

تأتى من كل صوب ..

وأصبحت فعلاً مذبحة ..

وداخل مركبة (بودون) ، صرخت (سلوى) في مرارة :

ـ إنهم يقتلون شعبنا .. يحصدونه حصدًا ..

هتفت (نشوى) :

ـ اهدئى يا أماه .. إننى أحاول إصلاح المركبة .

صاحت (سلوى) :

ــ فلتذهب المركبة إلى الجحيم .

وقبل أن تدرك (نشوى) ما تعنيه أمها ، كانت هذه الأخيرة قد اختطفت واحدة من بنادق الأشعة ، وقفزت خارج المركبة ..

وصرخت (نشوى) فى رعب :

ــ لا يا أماه .. لا ..

ومن مخبئه ، رأى الدكتور (حجازى) هذا المشهد ، فصرخ :

ــ ما الذى تفعله هذه المجنونة ؟

ودون تردّد أو تفكير ، قفز خارج المخبأ ، وانطلق يعدو نحو (سلوى)، ومن خلفه صاح الدكتور (عبد المنعم) فى فزع :

ــ إلى أين أيها المجنون .. إنك تنتحر هكذا .

تجاهل الدكتور (حجازى) هذا النداء تمامًا ، وواصل ركضه نحو (سلوى) ، وأمسكها من كتفيها ، هاتفًا :

ــ كيف تخاطرين بالخروج هكذا ؟.. المركبة هى المكان الآمن لك، و .....

سمع أزيزًا مخيفًا من خلفه ، فالتفت إليه فى حركة حادة ، ثم التصق بالمركبة فى ارتياع ، وهو يكمل :

ــ إنها النهاية هذه المرة ..

فقد كانت هناك عينان من عيون الحراسة القاتلة تنقضَّان عليه وعلى (سلوى) .

وكانت النهاية بحق ..

ولكن لا ..

لم تحن النهاية بعد ، على الرغم من أن كل الظروف والملابسات توحى بهذا ..

لقد انطلق فجأة شعاعان لهما لون أزرق باهت ، ونسفا عينى الحراسة نسفًا ..

وارتفعت عيون الجميع إلى النقطة ، التى انطلقت منها تلك الأشعة الزرقاء ..

ووقعت عيون الجميع على مشهد مذهل ..

فى محطة البث اختلج قلبا (رمزى) و (مشيرة) ..

وعلى فراش المرض اتسعت عينا (محمود)، وتهلَّلت أساريره ..

فى ساحة القتال تجمدت عيون الجميع . وخفقت قلوبهم ..

حتى فى قلب السفينة الإمبراطورية اتسعت عينا الإمبراطور ..

ففى اللحظة التى فقد فيها الجميع الأمل ..

وعندما تأزمت كل الأمور وتعقدت ..

وفى ظل كل هذا ظهر البطل ..

الرمز ..

الأسطورة ..

ظهر (نور) ..

الرائد (نور الدين محمود) ..

* * *

١١ — فى الأعماق ..

من المؤكد أنه توجد دائمًا لحظات ، فى خضم أية أحداث ، تستحق أن يتوقف عندها المرء ، ويتساءل ..

وأن يعود إلى الماضى قليلًا ؛ لمعرفة الأسباب ، التى أدت إلى ما أمامه من نتائج ..

وهذه اللحظة تبدو مثالية ..

لحظة ظهور (نور) فى قلب الأحداث ، بعد أن اختفى طويلًا عن الساحة ..

وهذه اللحظة تحتاج إلى رحلة خلفية سريعة ..

رحلة إلى الماضى القريب ..

إلى حيث تركنا (نور) ، داخل مقاتلة جلوريالية ، تغوص به فى أعماق المحيط الأطلنطى ..

وتتهشم ..

دعونا نعد إلى هذه اللحظة ..

معًا ..

* * *

هوَت مقاتلة (نور) فى المحيط ، وراحت تغوص فى أعماقه بسرعة مخيفة ، حتى أشار مقياس العمق فيها إلى أربعة كيلومترات ، تحت سطح الماء ، وراحت جدران المقاتلة تتضاغط وتتهشم ..

ثم انهارت الجدران دفعة واحدة ..

واندفعت أطنان من مياه المحيط نحو (نور) ...

وأدرك بطلنا أن الضغط الهائل على جسده ، فى مثل هذا العمق ، سيسحقه سحقًا فى لحظة واحدة ، وسط ظلام دامس رهيب ..

وخيِّل إليه أن أذنيه تنفجران ..

و .....

وسقط فى دوَّامة مظلمة رهيبة ..

فى غيبوبة عميقة ..

أظلمتْ الدنيا فجأة ..

ثم أضاءت فجأة ..

هكذا ..

بنفس سرعة انتقالك من السطر الأوَّل إلى الثانى ..

هكذا بدت بالنسبة لـ (نور) ..

فجأة استعاد وعيه ، ووجد نفسه يرقد فوق أريكة وثيرة ، وسط حجرة واسعة ، تتألَّق فيها مصابيح بيضاء جميلة ، وتحتشد فيها أجهزة طبية لم ير لها مثيلًا فى عمره كله .. وتلفَّت (نور) حوله فى حيرة ..

أين هو ؟..

ما الذى أتى به إلى هذا المكان ؟..

آخر ما يذكره هو فقدانه لوعيه ، داخل مركبة فضائية جلوريالية ، على عمق أربعة كيلومترات فى قلب المحيط ..

نهض عن الأريكة الوثيرة فى حذر ، وعاد يُلقى نظرة ثانية على المكان ، الذى بدا له أشبه بحجرة عمليات جراحية حديثة ، ثم اتجه نحو شاشة مظلمة ، ذكَّرته بأجهزة الكمبيوتر القديمة ، وراح يتطلَّع إلى لوحة الأزرار الملحقة بها ..

كانت الأزرار تحمل أسماء كل اللغات التى يعرفها (نور) ، إلى جوار لغات أخرى ، لم يسمع بها فى عمره كله ..

وضغط (نور) زر اللغة العربية ، فأضيئت الشاشة على الفور ، وارتسمت فوقها كلمات عربية واضحة ، تقول :

— ما الذى تطلبه ؟

قال (نور) فى اهتمام :

— لماذا أنا هنا ؟

تراصت الكلمات العربية على الشاشة ، تقول :

— تمزّق فى طبلتى الأذنين ، ونزيف داخلى حاد ، ناشىء عن الخروج المباغت من جسم معدنى إلى المحيط ، على عمق أربعة كيلومترات ، ولقد تم علاج تمزّق طبلتى الأذن بجراحة ليزرية دقيقة ، وإيقاف النزيف بجراحة ميكروسكوبية عاجلة .

شعر بدهشته تتعاظم ، أمام هذا الجواب ، فسأل :

— وكيف لم ألق مصرعى ، فى هذا العمق ؟

أجابه الكمبيوتر :

— لم تتعرّض للضغط لأكثر من ثانيتين ، ولقد أجرى الجرّاح الآلى العمليتين فور وصولك :

خُيّل إليه أن عقله يعجز عن استيعاب كل هذا ، فجلس على مقعد قريب ، وظلّ يتطلّع إلى الشاشة لحظات فى صمت ، حتى رأى فوقها عبارة تقول :

— هل من أسئلة أخرى ؟

اعتدل يسأل فى حيْرة :

— ومنذ متى أنا هنا ؟

أجابه الكمبيوتر :

— منذ تسع ساعات وسبع دقائق وثانية واحدة .

انتبه فجأة إلى أنه لم يلق السؤال الأهمّ ، فقال :

— ومن أحضرنى إلى هنا ؟

فى نفس اللحظة التى تألق فيها الجواب على الشاشة ، سمع (نور) من خلفه صوتًا معدنيًا ، طال اشتياقه له ، يقول :

— (س ١٨) فى خدمتك يا سيّدى .(*)

عندئذ أدرك الجواب ..

* * *

استنفد (س ١٨) طاقته كلها ؛ لإنقاذ (نور) وفريقه ، فى معركتهم مع غزاة الأعماق ، وراح جسده يغوص فى المحيط الأطلنطى (**) .

ولم يقاوم (س ١٨) ..

الطاقة الباقية له لم تكن تسمح له بالمقاومة ..

فقط توجد حجرة ضئيلة للغاية من الطاقة ، تكفى لاتخاذ ما يلزم ؛ للتزوّد بطاقة جديدة ، أو البقاء متيقظًا ..

وغاص جسد (س ١٨) فى أعماق الأطلنطى ..

وفجأة التقطت أجهزته الحسّاسة إشارة لم تتلق مثلها منذ زمن طويل ..

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

(**) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣) .

منذ قرون عديدة ..

إشارة من السادة ..

سادة (أطلانطس) ..

ووجّه (س ١٨) أجهزته كلها نحو الإشارة ..

وترك جسده يسبح إليها ..

ولاحت له الأطلال ..

أطلال السادة ..

واستعادت ذاكرة (س ١٨) الآلية تاريخًا قديمًا ..

واستقرّ جسده وسط الأطلال ..

كانت الإشارة ضعيفة ، ولكنها كافية لتستقبلها أجهزته الفائقة الحساسية ..

وبآخر ما تبقّى له من طاقة ، اعتدل (س ١٨) واقفًا ، فى أعماق المحيط ، واتجه نحو مصدر الإشارة ..

وعند باب مغلق ، توقّف (س ١٨) ..

وفى هدوء ، دسّ سبّابته ووسطاه فى فراغين مستديرين ، فى جانب الباب ..

وانفتح الباب المعدنى فى بطء ..

وعبر (س ١٨) الباب ، وتركه يُغلق خلفه بنفس البطء ، قبل أن تبدأ آلات شفط الماء وطرده فى العمل ..

وعندما صار المكان جافًا ، انفتح باب آخر ، يقود إلى مركز القيادة ..

ذاكرته الآلية تذكر هذا المركز ..

حيث بدأ ..

وفى خطوات ضعيفة واهنة ، اتجه (س ١٨) ، بآخر نقطة طاقة فى جسده الآلى ، نحو صندوق ضخم ..

وانفتح صدر (س ١٨) ، وبرز منه قضيبان معدنيان ، التصقا بالصندوق الضخم ..

الآن فقط راحت الطاقة تسرى فى عروقه ..

طاقة هائلة ، تكفى لإضاءة مدينة كاملة ..

طاقة صافية ..

وحصل (س ١٨) على كل ما يحتاج إليه من طاقة ، فابتعد القضيبان المعدنيان عن الصندوق ، وعادا إلى صدره ، الذى أُغلق خلفهما فى إحكام ..

بعدها غادر (س ١٨) المكان كله ..

عاد إلى المحيط ..

إلى أطلال (أطلانطس) القديمة ..

وعلى عمق خمسة كيلومترات ، فى أعماق المحيط الأطلنطى ، وقف (س ١٨) ينتظر نداء سيّده ..

نداء (نور) ..

لم يشعر أبدا بالملل .. لم تبرمج أجهزته لمثل هذا الشعور ..

فقط كان ينتظر ..

وبعد عامين تقريبًا ، التقطت أجهزة (س ١٨) ، الفائقة الحساسية ، صوت ارتطام عنيف بسطح المحيط ..

وراح هذا الجسم ، الذى ارتطم بالمحيط ، يغوص فى سرعة كبيرة ..

وكفحص روتينى ، فحص (س ١٨) هذا الجسم ..

كان مقاتلة فضائية ، بداخلها جسم بشرى ..

وكان هذا الجسم مألوفًا ..

إنه (نور) ..

آخر السادة ..

(نور) يتعرّض للخطر ..

وهذا يكفى ..

وانطلق (س ١٨) ؛ لنجدة سيّده ..

وعندما بلغ (س ١٨) موقع المقاتلة ، كان جدارها قد انهار منذ ثانية واحدة ..

وتوقّف (س ١٨) ، وأطلق من صدره كرة شفّافة ، تعاظم حجمها فى سرعة ، ثم أحاطت بجسد (نور) إحاطة السوار بالمعصم ..

بل إحاطة الغلاف الجوى بالأرض ..

الآن صار (نور) فى أمان ..

الكرة الشفّافة تعزل جسده عن الضغط الجوى الهائل ، الواقع عليه ، فى مثل هذا العمق ، ولكن هذا لا يعنى أنه بمأمن ..

وبسرعة فائقة ، راحت أجهزة (س ١٨) تفحص جسد (نور) ، الفاقد الوعى ..

هناك تهتّك فى طبلتى الأذنين ..

ونزيف داخلى ..

وانطلق (س ١٨) عائدًا إلى (أطلانطيس) ..

إلى جناح طبى خارق ، بقى سليمًا ، على الرغم من مرور عشرات القرون ، على غرق تلك القارة العظيمة ..

ونجا (نور) ..

* * *

شعر (نور) بسعادة فائقة ، عندما وجد (س ١٨) أمامه ، فاندفع نحوه ، وربّت على كتفيه فى حرارة وهو يهتف :

ـــ مرحبًا بك يا صديقى .. كم اشتقت إليك .

أجابه (س ١٨) بالعبارة الوحيدة ، المسجلة فى برنامجه :

ـــ (س ١٨) فى خدمتك يا سيّدى .

لم يدر (نور) أية علاقة تلك ، التى تربطه بـ (س ١٨) !!.

إنه يشعر كما لو كان قد التقى بصديق بشرى قديم ..

ولكن (س ١٨) آلة ..

مجرّد آلة ..

تألقت ذاكرة (نور) فجأة بصوت (بودون) ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، قائلاً :

ـــ ابحث عن (س ١٨) .. إنه أملكم الوحيد ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدّة ..

لا .. إن (س ١٨) ليس مجرّد آلة ..

إنه أمل ..

وبكل حماسة ، أمسك (نور) كتفى (س ١٨) ، وهتف :

ـــ أتعلم يا صديقى ؟.. العناية الإلهية وحدها هى التى قادتنى إليك ، أو قادتك إلىّ .. إنك ستغادر هذه الأعماق ، وتعود معى إلى الأرض .. إنك أملنا الأخير يا (س ١٨) .

بكل برود وآلية ، أجابه (س ١٨) :

ـــ فى خدمتك يا سيّدى .

وكان ما كان ..

* * *



١٢ ــ العودة ..

كان لظهور (نور) مع (س ١٨) ، في سماء المعركة ، أثرٌ هائل في نفوس الجميع ..

وخفقت كل القلوب ..

حتى عيون الحراسة توقفت ، وتجمدت في أماكنها ، وكأنها تقيس قوة ذلك القادم الجديد ..

ولكن (س ١٨) لم يتوقف ..

لقد هبط مع (نور) إلى وسط ساحة المعركة ..

وهنا انطلقت كل عيون الحراسة نحو المقاتل الأطلانطي الأخير ..

وفرد (س ١٨) كفيه وأصابعه ، وانطلقت من الأنامل الآلية أشعة زرقاء ، راحت تنسف عيون الحراسة نسفًا ..

وتهللت أسارير الأرضيين ..

وانتعش الأمل في قلوبهم ..

كانت عيون الحراسة تهاجم (س ١٨) من كل صوب ،



وفرد (س ١٨) كفيه وأصابعه ، وانطلقت من الأنامل الآلية أشعة زرقاء ، راحت تنسف عيون الحراسة نسفًا ..

ولكن المقاتل الآلى كان يدور حول نفسه فى سرعة مدهشة ، ويطلق أشعته عليها فى مهارة ، دون أن يخطئ إصابة الهدف مرة واحدة .

واندفع (نور) نحو زوجته وابنته ، واحتضنهما فى حرارة ، وتفجرت (سلوى) باكية بين ذراعيه ، وهى تهتف :

ـــ كنت أعلم أنك ستعود .. كنت أعلم هذا .

هتف بها (نور) :

ـــ كان من الضرورى أن أعود ، من أجل من أحب .

صافحه الدكتور (حجازى) فى حرارة ، وهو يقول :

ـــ كم تسعدنى رؤيتك يا (نور) ، وكم يثلج قلبى أن نجحت فى العثور على (س١٨) ، والعودة به .

أجابه (نور) ضاحكًا :

ـــ الواقع أنه هو الذى عثر علىَّ يا سيدى .

ثم التقط بندقية من بنادق الأشعة الأرجوانية ، وهو يستطرد :

ـــ ولكن دعنا لا نضيع هذه الفرصة هباءً .

ورفع يده بالبندقية ، صائحًا :

ـــ هجوم .

نطقها وانطلق يعدو نحو السفينة الأم ، وتبعه كل الأرضيين ، وهم يطلقون صيحات حماسية هائلة ، فهتفت (سلوى) :

ـــ سأذهب مع (نور) .

وقال الدكتور (حجازى) :

ـــ ومن ذا الذى يتخلف عن مثل هذه اللحظة التاريخية ؟

أما (نشوى) ، فانهمكت فى إصلاح مركبة (بودون) ، وهى تقول :

ـــ أنا سأتخلف عنها .

وكان هجومًا رهيبًا ، على سفينة القيادة ..

وفى داخل السفينة ، جلس الإمبراطور على عرشه هادئًا ، يراقب ما يحدث على شاشات الرصد ، بلا انفعال ، ثم لم يلبث أن قال فى شراسة :

ـــ إذن فقد وصلت إلى هنا بنفسك يا (نور) .. مرحبًا بك .

وضغط زر الاتصال ، المثبت بمسند العرش ، وقال فى حزم :

ـــ افتحوا أبواب السفينة .

استقبل رجاله هذا الأمر ، بمزيج من الذهول والاستنكار الشديدين ، وهتف قائدهم فى غضب ، أنساه الاحترام الواجب ، فى مخاطبة الإمبراطور :

— نفتح الأبواب ؟!.. ولكن لماذا يا مولاى ؟.. إنهم مجرّد حفنة من البشر ، لن تبلغ قوتهم أبدا قوة النيازك ، التى ترتطم بسفينتنا ، فى رحلاتنا الفضائية ، دون أن تخلف فيها أدنى أثر .

زمجر الإمبراطور فى شراسة ، وهو يقول :

— أنسيت أيها الجندى الحقير أنه لا يحق لك مناقشة الإمبراطور ، فيما يُصدر من أوامر ؟.. إن هذه خطتى .. هيا افتح الأبواب ، أو يحيق بك الغضب الإمبراطورى .

وبكل الحنق والسخط فى صدورهم ، فتح جنود (جلوريال) أبواب السفينة الإمبراطورية ..

واندفع الأرضيون إلى داخل السفينة الأم ، وهم يطلقون صيحاتهم الظافرة ..

وكان مشهدا تاريخيًا رائعا بحق ..

وعلى فراش المرض ، داخل المقر الطبى السرى للمقاومة ، انهمرت دموع الفرح من عينى (محمود) ، وهتف :

— لم أتوقع أن أرى هذا .. لم أتوقعه أبدا .

أما (رمزى) و (مشيرة) ، فقد تفجّر فى أعماقهما حماس جارف ، تناسى معه (رمزى) جرحه وآلامه ، وراح يصرخ :

— انقل هذا المشهد إلى العالم كله يا (مشيرة) .. انقليه إلى الدنيا كلها .

أجابته ودموعها تُغرق وجهها :

— إننى أبثه إلى كل الشبكات بالفعل .. إنها لحظة الحرية يا (رمزى) .. لحظة النصر .

وفى كل بقعة من بقاع العالم ، شاهد سكّان الأرض ما يحدث ، على نفس الشاشات الهولوجرافية العملاقة ، التى أقامها الغزاة ؛ لنقل أوامرهم إلى الأرضيين ..

شاهدوا جيشًا من فرسان العرب ، يقتحم السفينة الإمبراطورية ، رمز القهر والذل والطغيان ..

رمز الاحتلال ..

ثم ارتفع فوق السفينة علمان ..

علم أبيض ، تتوسّطه كرة خضراء ، يرمز إلى كوكب الأرض ..

وعلم (مصر) ..

وهنا انفجر البركان ..

كل شعوب الأرض اتحدت فى شعور واحد ، وموقف واحد ..

الثورة ..

ثورة عارمة ، شملت الكوكب كله ، فى لحظة واحدة ..

ثورة ضد المحتلين ..

وهناك ، فى ساحة المعركة الكبرى ، كان جيش (نور) قد نجح فى احتلال السفينة الإمبراطورية تمامًا ، فيما عدا قاعة الإمبراطور ، فهتف (نور) :

ــ هيا يا رفاق .. سنحطِّم معًا آخر رموز الاحتلال .

انطلق نحو القاعة الإمبراطورية ، وتبعته (سلوى) وهى تصيح :

ــ نحن خلفك يا (نور) .. تقدَّم على بركة الله .

تبعهما الدكتور (حجازى) أيضًا ، وقد شمله حماس جارف ، وهتف :

ــ كيف يمكننا اقتحام تلك القاعة ؟.. إن جدرانها تبدو لى شديدة القوة والمتانة ، و .....

قبل أن يتمَّ كلمته ، انفتحت أبواب القاعة الإمبراطورية بغتة

انفتحت دفعة واحدة على نحو أدهشه وأفزعه فى آن واحد ..

ثم ساد الصمت ..

كان الإمبراطور يجلس على عرشه هادئًا ، ساكنًا ، يتطلَّع إليهم بنظرة عجيبة ، تحمل من الترقُّب والجذَل أكثر مما تحمل من الخوف أو القلق ..

بل لقد كانت ــ على عكس الموقف ــ نظرة ظافرة ..

ولم تمنع تلك النظرة (نور) ورفيقيه من اقتحام القاعة ، و (نور) يهتف :

ــ دالت دولتك أيها الإمبراطور ، وسقطت إمبراط ...

بتر عبارته بغتة ، مع صوت الأبواب ، التى أغلقت خلفهم فى عنف ..

وانتبه أبطالنا الثلاثة بغتة إلى الموقف ..

انتبهوا إلى أن الإمبراطور (آغرو) قد عزلهم عن الجميع ، داخل قاعته الإمبراطورية الخاصة ..

ولقد أعلن (آغرو) هذا بضحكة شيطانية ساخرة ظافرة ، أطلقها من فوق عرشه ، وارتجَّت لها جدران قاعته ..

ولم تكن الجدران وحدها هى التى ترتج .

أيضًا قلب (سلوى) فعل ..

لقد ذكّرتها تلك الضحكة بمغامرة قديمة ، ارتجفت لها كل قطرة دم فى عروقها ..

ويبدو أن الدكتور (حجازى) أيضًا قد استعاد الذكرى نفسها ، فقد شحب وجهه ، وغمغم متوترًا :

ربّاه !!.. هذه الضحكة ؟!..

أما (نور) فقد انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

— أى هدف تنشد ، من خُطتك السخيفة هذه ؟

أجابه الإمبراطور فى سخرية ، وبلغة عربية واضحة ، على الرغم من أنه لم يكن يرتدى واحدة من تلك الخوذات الجلوريالية ، التى تقوم بالترجمة :

— أظن هدفى يبدو واضحًا أيها الذكى .. إنه عزلكم .

وبضغطة زر من أزرار عرشه ، أضيئت شاشات الرصد ، ونقلت إليهم ما يدور خارج القاعة ، وهو يستطرد :

— قبل أن أتعامل مع جيشكم السخيف .

قال (نور) فى حزم :

— يبدو أنك قد نسيت (س ١٨) ، ذلك المقاتل الأطلنطى ، ذا الوجه الأخضر ، الذى نسف كل عيون الحراسة فى لحظات .

هز الإمبراطور رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

— لا .. لم أنسه بالطبع .

وبضغطة زر آخر ، شاهد الثلاثة على شاشة الرصد حلقات مضيئة ، تسبح فى الهواء ، وتنقض على (س ١٨) ، فى مناورات مثيرة ، فابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

— من الواضح أنك تجهل من هو (س ١٨) .. إن هذا الذى تراه أمامك أعظم سلاح أنتجته البشرية ، منذ هبوط (آدم) (عليه السلام) إلى الأرض ، وما من قوة معروفة يمكنها القضاء عليه ، أو .....

قاطعه الإمبراطور :

— ومن قال إننى أسعى للقضاء عليه ؟

وارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية ، وهو يستطرد :

— إننى سأبعده قليلًا فحسب .

لم يفهم (نور) ورفاقه ما يعنيه الإمبراطور بقوله ، فاتجهت أنظارهم إلى شاشات الرصد فى اهتمام ، ورأوا بعض الحلقات تحيط بـ (س ١٨) ، ثم تبدأ فى الدوران فى سرعة ..

وفى قلق ، غمغم (نور) :

— لست أظنك تتصوّر أن هذا سيربكه .. إنه ليس بشريًا .

لم يجب الإمبراطور ، وإنما ارتسمت على وجهه ابتسامة ساخرة ، فواصل (نور) مراقبته للشاشة ، قبل أن تنطلق منه ، دون أن يدرى ، شهقة دهشة ..

لقد رأى جسد (س ١٨) يتلاشى تدريجيًا ..

ثم يختفى بغتة ..

والتفت (نور) إلى الإمبراطور ، وصوّب إليه فوهة البندقية الساحقة ، وهو يهتف غاضبًا :

— ماذا فعلت به أيها الحقير ؟

أطلق الإمبراطور ضحكة شيطانية ساخرة أخرى ، وهو يجيب :

— رحلة صغيرة إلى الماضى .. هذه الحلقات المضيئة سر حربى خطير ، لا يستخدمه سوى الإمبراطور فقط ، وهى محدودة أيضًا ، فلا تصلح للاستخدام سوى مرة واحدة ، لهذا ادخرتها للحظة حاسمة كهذه .. أتدرون ما الذى فعلته برجلكم الآلى الخارق ؟.. لقد فتحت أمامه فجوة فى جدار الزمن ، ونقلته إلى العصور القديمة ، حيث سيظلّ محتفظًا بقوته

وقدراته ، ولكنه لن يضيرنا .. فكرة عبقرية .. أليس كذلك ؟

قالها وهو يطلق ضحكة ساخرة أخرى ، جعلت (نور) يهتف به :

— أيها الحقير .. إنك تستحق القتل .

اشتعلت عينا الإمبراطور بغضب هائل ، وهو يقول :

— بل شعبك هو الذى يستحق القتل أيها الرائد ..

والتفت بحركة حادة عنيفة إلى شاشات الرصد ، مستطردًا فى شماتة ظافرة :

— انظر .

رأى الجميع على شاشات الرصد أسطوانة هائلة ، تشبه أسطوانات الكمبيوتر ، أو الأسطوانات الموسيقية ، تبرز من خلف السحب والغيوم ، وتسبح نحو جيش الأرضيين ، والإمبراطور يقول فى انفعال :

— هل تذكرون هذه الأسطوانة ؟.. إنها نفس الأسطوانة ، التى كانت تمتصّ الإشعاعات الذرية ، عندما كنا نفجّر مفاعلاتكم ، مع بداية الغزو (*) أراهن أن هذا قد

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

أدهشكم جميعًا حينذاك ، وأنكم قد تساءلتم عن سر امتصاصنا لكل تلك الطاقة الهائلة .. لقد كان هذا لسببين عظيمين .. هذا أحدهما .

قالها عندما أصبحت الأسطوانة فوق كومة كبيرة من البشر ..

ثم أطلقت حزمة رهيبة من الحرارة ..

ونقلت شاشات الرصد صوت صرخات آلاف المعذبين وأنات آلام رهيبة هائلة ..

احترق الآلاف ..

اشتعل المئات ..

وكان مشهدا بشعا فظيعًا ، أنسى (نور) كراهيته للقتل ، وهو يلتفت إلى الإمبراطور صارخًا :

ــ أيها الوغد الحقير .

ثم أطلق أشعة البندقية الساحقة ..

وارتطمت حزمة الأشعة القاتلة بصدر الإمبراطور ..

وكان ينبغي أن تسحقه سحقًا ..

ولكنها لم تفعل ..

بل بدت وكأنها ما مسّته مسًا ..

وبدلًا من أن تنطلق منه صرخة ألم ، تفجّرت من حلقه ضحكة ساخرة مخيفة ، تراجع لها أبطالنا الثلاثة ، فشحب وجه (سلوى) ، حتى بدا وكأن دماء الحياة قد فارقته تمامًا ، وارتجف الدكتور (حجازى) ، وهو يحدّق فى ذلك الواقف أمامه ، فى خوف وذهول ، فى حين هتف (نور) :

ــ إنك لست إمبراطور (جلوريال) حتمًا .

فوجىء الثلاثة بصوت يأتى من جانب العرش الإمبراطورى ، قائلًا :

ــ بل قل إننى لست حيثما تظن أننى هناك .

ومع تلاشى العبارة ، راح جسد الإمبراطور يتلاشى فى موضعه ، ثم ظهر على قيد متر واحد من هذا الموضع ، وهو يبتسم فى سخرية ، فانعقد حاجبا (نور) فى شدّة ، وهو يقول :

ــ من أنت ؟

أطلق الإمبراطور ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

ــ ألم تعرف بعد من أنا ؟.. حقًا ؟

قالها وراحت صورته تتموّج وتتغيّر ..
واختفت صورة الإمبراطور ..
وظهر ذلك الشيء على حقيقته ..
صورة شيطانية بشعة ، جعلت الدكتور (حجازى) يهتف فى رعب :
ـــ إنه هو .. يا إلهى !!.. إنه هو .
وكانت لحظة رعب ..
رعب قاتل ..

* * *



١٣ ـــ الحقيقة ..

خفق قلب (محمود) فى عُنف ، وهو يتابع على شاشته ذلك المشهد المخيف ، لأسطوانة الطاقة ، التى تبيد أهل الأرض بحزم الحرارة الهائلة ، فالتقط جهاز الاتصال ، وراح يقول فى انفعال :

ـــ إنه تركيز لطاقة رهيبة ، وتحويلها إلى طاقة حرارية ، فى إطار شديد التركيز والفاعلية .. هل يسمعنى أحدكم ؟

أتاه صوت (نشوى) ، وهى تقول :

ـــ نعم .. أنا أسمعك يا (محمود) ، وأشاهد ذلك الموقف بنفسى ، ولكن أخبرنى ، بصفتك خبير علم الأشعة فى الفريق ، هل من وسيلة ؛ لمنع تلك الأسطوانة الرهيبة ، من إبادة شعبنا ؟

صمت لحظات ، ثم قال فى أسف :

ـــ لست أجد وسيلة ممكنة حاليًا يا (نشوى) ، فلا يمكن امتصاص كل هذه الطاقة ، خاصة وقد اختفى (س ١٨) ، على هذا النحو العجيب .

ثم استطرد فى توتر :

ـ ولكن أخبرينى .. أين (نور) و (سلوى) ؟

أجابته فى مرارة :

ـ لقد احتجزهم الإمبراطور داخل السفينة الأم ، ولا أحد يعلم ما مصيرهم بالداخل .

تقاطر الألم من حروف كلماته ، وهو يقول :

ـ يبدو أننا قد تسرّعنا فى الفرحة بالنصر يا (نشوى) .. إن أسطوانة الطاقة هذه ستبيد الجميع ، وستحيل النصر إلى هزيمة ماحقة ، ومذبحة لم يعرف التاريخ مثلها قط ..

هتفت فى حنق :

ـ ولكن هناك وسيلة للقضاء عليها حتما .. هناك وسيلة لامتصاص هذه الـ .....

بترت عبارتها بغتة ، ثم سمع هو صوتها ، يأتيه عبر جهاز الاتصال ، وهى تهتف فى انفعال :

ـ يا إلهى !!.. إن لدىّ الوسيلة يا (محمود) .. لدىّ الوسيلة .

صاح فى قلق :

ـ أخبرينى بها أوّلا يا (نشوى) ، فقد ...

لم يتم عبارته ..

لم يفعل ، لأنه لم يجد جدوى لهذا ..

لقد قطعت (نشوى) الاتصال ..

وبدأت العمل ..

* * *

هبط وجوم رهيب على (رمزى) و (مشيرة) ، وهما يشاهدان ما يحدث ، على شاشة الرصد الكبيرة ، فى محطة البث الرئيسية ، وانهمرت دموع المرارة من عينى (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ لقد انقلبت الأمور رأسا على عقب .

لم يجب (رمزى) ..

كانت هناك غصة فى حلقه ، تمنعه من النطق ..

غصة الهزيمة ..

وفى نفس المرارة ، تابعت (مشيرة) :

ـ هل أوقف البث ؟

قاوم غُصّته ، وهو يقول فى صوت متحشرج :

ـ لا .

كان سيكتفى بذلك الجواب المقتضب ، إلا أنه شعر بضرورة تفسير موقفه ، فاستطرد :

— من حق الجميع أن يعرفوا ما يحدث .. إنهم يدفعون أرواحهم ثمنا لهذا .

أومأت برأسها موافقة ، وراح الاثنان يتابعان ما يحدث على الشاشة ، قبل أن يعقد (رمزى) حاجبيه ، ويقول فى قلق :

— ما هذا الذى تفعله (نشوى) ؟

قالت (مشيرة) فى ارتياب :

— يخيّل إلىّ أنها ..

قاطعها (رمزى) هاتفًا :

— تلك المجنونة !.. أى عمل أحمق هذا ؟!

تسمّرت عيناه على الشاشة ، وهوى قلبه من بين ضلوعه ..

كان ما تفعله (نشوى) مخيفًا ..

مخيفًا بحق ..

* * *

مضت دقيقة كاملة من الصمت ، وأبطالنا الثلاثة يحدّقون فى ذلك المسخ البشع ، الذى ظهر على حقيقته ، بعد أن تلاشت عنه هيئة الإمبراطور (آغرو) ، التى يحتلها منذ زمن ، وراحت أذهانهم تسترجع ذكريات صراع رهيب ..

صراع قديم ، بينهم وبين هذا المسخ ..

وبكل كراهيته وبغضه ، غمغم (نور) :

— إذن فهو أنت !

أطلق المسخ ضحكة شيطانية رهيبة ، قبل أن يقول :

— نعم يا عزيزى (نور) .. هو أنا .. (بلعزبول الصغير) .. (لوسيفر الابن) .. أو أى اسم يروق لك ، من أسمائى العديدة .. هو أنا (ابن الشيطان) ، الذى تصوّرت أنك قد أزحته تمامًا عن الطريق ، لمجرّد أنك قد هزمته مرّة أو مرتين(*) .

قال (نور) فى غضب :

— إذن فأنت وراء كل هذا .

لوّح (ابن الشيطان) بذراعه فى زهو ، وهو يقول :

— بالتأكيد يا حفيد (أوزيريس) .. كان ينبغى أن تتوقع هذا ، أم أن الغرور قد ملأ نفسك ، عندما هزمتنى فى المرّة الأخيرة ، وأعدتنى إلى ذلك القرص الخالد ، ثم وضعته فى قلب قمر صناعى ، انطلق ليخترق أقرب ثقب أسود إلى الأرض(**) .

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢).

(**) راجع قصة (الجولة الأخيرة) .. المغامرة رقم (٧٥).

أطلق ضحكة عالية طويلة ممطوطة ، قبل أن يستطرد :

ـــ كانت هذه أكبر خدمة قدمتها لى فى حياتك كلها ، فلقد اخترق القمر الصناعى هذا الثقب الأسود ، الذى لم يكن سوى فجوة فضائية زمنية ، ألقت به بعيدًا فى الفضاء ، وفى الماضى ، حيث بلغ كوكب (أرغوران) ، فى مرحلة سابقة لتلك التى كنتم أنتم فيها هناك ..

ارتسمت ابتسامة شيطانية شامتة على شفتيه ، مع متابعته :

ـــ وأسر علماء (أرغوران) هذا القمر الصناعى ، وراحوا يدرسونه ويفحصونه ويمحصونه ، ثم اختاروا قرصى الخاص ، وأهدوه إلى إمبراطورهم ، الذى لم يدرك ماهيته ، فألقاه بإهمال فى خزانة غنائمه .

صمت لحظة ، تطلع خلالها فى تلذذ ، إلى أسطوانة الطاقة البادية على الشاشة ، وهى تبيد الأرضيين بحزمها الحرارية ، ثم واصل :

ـــ ثم أتيتم أنتم إلى (أرغوران) ، وهزمتموه ، وساد السلام على سطحه لأول مرة منذ قرون(*) ، وهنا .. وبعد عودتكم إلى أرضكم ، غزا الجلوريباليون (أرغوران) ،

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

وهزموه ، وانتقلت خزائن غنائم ملك (أرغوران) إلى إمبراطور (جلوريبال) ، وهنا بدأت اللعبة ..

قهقه ضاحكًا ، وكأنما يستعيد ذكريات ممتعة ، ثم تابع :

ـــ فى ليلة مظلمة ، راح إمبراطور (جلوريبال) يستعرض غنائمه من (أرغوران) ، وعثر على القرص ، وقرأ النقوش المدوّنة فوقه ، ثم ارتجف فى رعب ، عندما رآنى أتكوّن أمامه .. وبعدها تخلّصت منه ، وانتحلت هيئته ، وبدأت أخطّط لعملية غزو الأرض ؛ للانتقام منك يا (نور) .

شدّ (نور) قامته فى اعتداد ، وهو يقول :

ـــ يا للسخافة !!.. ولماذا هذه الخطة الشديدة التعقيد ؟.. كان يمكنك أن تستغل قدراتك نصف الشيطانية ، وتنتقل إلى هنا ، دون غزو أو احتلال .

صرخ (الشيطان الابن) :

ـــ مستحيل !!

ثم أضافت فى بُغض مخيف :

ـــ كنت أسعى لتدمير الأرض كلها هذه المرّة .. أتعلم الغرض الأوّل لأسطوانة امتصاص الطاقة هذه ؟.. لقد كان تغذية الجحيم .. لقد قرّرت أن أحوّل كوكبك كله إلى جحيم

رهيب يا حفيد (أوزيريس) .. جحيم تحيا فيه مع شعبك فى ذل وعذاب وهوان .. لقد جمعت الأسرى من الأرضيين ، ليحفروا هذا الجحيم ، وبعدها كنت سأطلق أسطوانة الطاقة فى سماء الأرض ، لتدور حول الكوكب ، وتبيد كل من يحيا على سطحه ، وهكذا لن تجدوا أمامكم سوى جحيمى الخاص ، مأمنًا من حرارتها القاتلة .

قهقه مرة أخرى ، قبل أن يستطرد :

ـ أرأيت كم هى فلسفة ساخرة .. أن يصبح الجحيم وحده هو المأوى والملاذ ؟

قال (نور) فى ازدراء :

ـ فلسفة وغد مختل .

صرخ (ابن الشيطان) :

ـ بل فلسفة من امتلأت نفسه بالكراهية حتى النخاع .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا فى بغض :

ـ أتعلم السبب الثانى ، الذى منعنى من الانتقال إلى هنا ، دون غزو أو احتلال ؟ إنه أنت يا (نور) .. نعم .. أنت .. بسبب هزيمتك لى أصبحت مطرودًا من عالمى الحقيقى .. من عالم أبى وشعبى .. لم أعد أستطيع الانتقال بين الأبعاد والأزمان ، لأننى لم أعد أستطيع ولوج عالمى .. هل تفهم ؟

قال (نور) فى احتقار :

ـ كل ما أفهمه هو أننى أمام وغد حقير ، امتلأت نفسه بالكراهية السوداء حتى الأعماق .

صاح (ابن الشيطان) فى سخرية :

ـ وماذا تنتظر من شيطان صغير ؟

قال (نور) فى حدة :

ـ بل قل من ..

قاطعته صرخة فزع أطلقتها (سلوى) ، وهى تتطلع إلى شاشة الرصد ، هاتفة :

ـ ابنتى ؟!.. ابنتنا يا (نور) !!

التفت (نور) بحركة حادة إلى الشاشة ، وخفق قلبه بدوره ، عندما وقع بصره على ذلك المشهد ، الذى أثار ذعر زوجته ..

كان مشهدًا لابنتهما (نشوى) ، وهى تهاجم أسطوانة الطاقة بمركبة (بودون) ..

وحدها ..

* * *

١٤ ــ من أجل من أحب ..

اتسعت عينا (محمـــود) فى رعب ، وهب من فراش المرض ، على الرغم من آلامه وجروحه ، وهو يحدّق فى شاشة الرصد ، ويصرخ فى جهاز الاتصال :

ــ لا يا (نشوى) .. لا تحاولى .. لا تحاولى .

كانت (نشوى) تسمعه فى الواقع ، ولكنها لم تحاول إجابته ..

فقط تركت دموعها تنساب على وجنتيها فى صمت ، وهى تنطلق نحو أسطوانة الطاقة ..

كانت تعلم أنها تمتلك السلاح الوحيد على الأرض ، القادر على إنقاذ شعبها ، وقلب كفتى الميزان مرّة أخرى ..

السلاح الوحيد لاستعادة النصر ..

ولم تكن لتتردّد فى استعماله ..

تمامًا كما كان سيفعل والدها ، فى نفس الظروف ..

ولكن فجأة نقل إليها جهاز الاتصال صوت أمها المذعورة ، وهى تهتف فى ارتياع ولوعة :

ــ ماذا تفعلين يا بنيتى ؟.. ابتعدى يا (نشوى) .. عودى أدراجك قبل فوات الأوان .

كان يمكنها أن تصمت ..

أن تتجاهل النداء ، وتواصل انطلاقها نحو هدفها ..

ولكنها لم تستطع ..

لقد وجدت نفسها تهتف :

ــ ما من سبيل سوى هذا يا أماه .. أتذكرين سلاح (بودون) السرى ؟.. ذلك الذى يمتصّ الطاقة بكـــل أنواعها .. إنها اللحظة المناسبة لاستخدامه يا أماه .. لن أسمح للمحتلين باستعادة قوتهم ، وأنا أمتلك السلاح الكافى لردعهم .

حمل صوت (سلوى) كل الدموع ، التى انهمرت من عينيها ، وهى تهتف :

ــ لا يا بنيّتى .. لسنا نعلم ما إذا كان سلاح (بودون) سيحتمل كل هذه الطاقة أم لا .. تراجعى يا بنيّتى .. أرجوك .

بللت دموع (نشوى) وجهها ، وهى تقول فى حزم :

ــ لا يا أمى .. لن أتراجع أبدًا .. لن أفعل ما دمت أحمل اسم (نور الدين محمود) .. إننى أفعل هذا من أجلكم

يا أمي .. هل نسيت كلماتك ؟.. « من الرائع أن يبذل المرء حياته ، فى سبيل من يحب » .. وداعا يا أمي .. وداعا يا أبي .. معذرة .. سأقطع الاتصال ..

صرخت (سلوى) فى انهيار :

— لا يا (نشوى) .. لا .

لم تجب (نشوى) هذه المرة ، وشاهدها العالم كله ، عبر شبكة البث الهائلة ، وهى تحتل أسطوانة الطاقة بمركبة (بودون) ، ثم تضغط زر تشغيل السلاح السرى ..

وتوقفت أسطوانة الطاقة فى الهواء ..

وتوقفت حزمة الجحيم المنهمرة منها ..

وأمام عيون الجميع ، راحت مركبة (بودون) تمتص الطاقة الهائلة من الأسطوانة ..

وفى ارتياع ، هتف (محمود) :

— إنها تقتل نفسها .. لن تحتمل كل هذه الطاقة قط ..

وانهار (رمزى) ، وهو يصرخ :

— لا يا (نشوى) .. أرجوك .. ليس هكذا .

وتجمدت مشاعر (نور) كلها ، وهو يراقب ما يحدث ، على شاشة الرصد ، فى قلب القاعة الإمبراطورية ، على عكس

(سلوى) ، التى انهارت مشاعرها كلها ، وهى تردد فى خفوت يمزق نياط القلوب ..

— لا يا (نشوى) لا يا بنتى .

أما (نشوى) نفسها ، فكانت تعلم المصير ..

مؤشرات مركبة (بودون) أنبأتها به ..

إنها لن تحتمل ..

لن تحتمل كل هذا القدر ..

ولكنها لم تتوقف عن امتصاص الطاقة ..

وعندما اقتربت المؤشرات من نقطة الخطر القصوى ، هتفت (نشوى) :

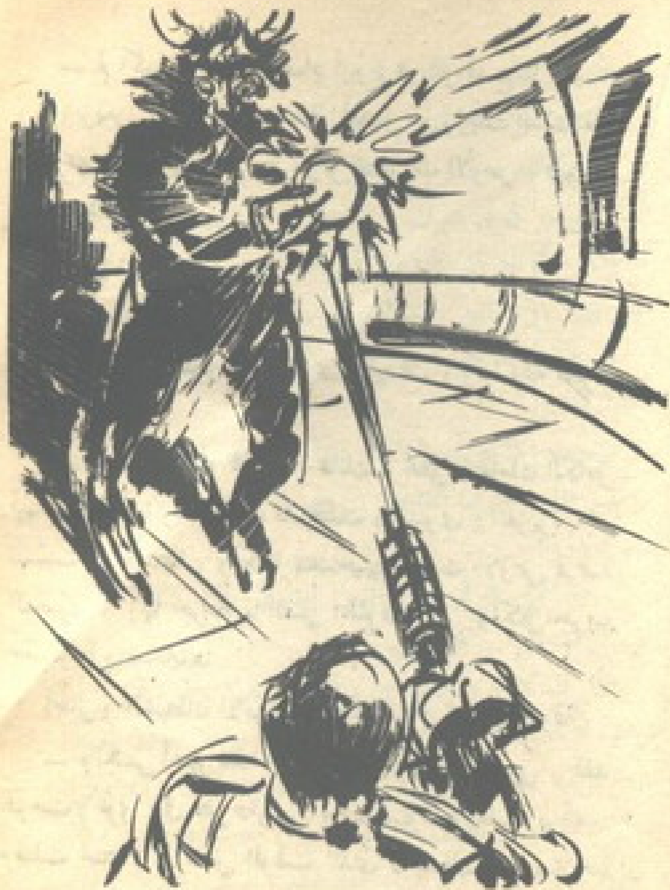
— حياتى من أجل من أحب ..

ودوى الانفجار ..

لم يكن انفجارًا بالمعنى المفهوم ، بل هو ظاهرة لا مثيل لها من قبل ..

لقد تألقت المركبة والأسطوانة كألف شمس ، حتى لقد أقسم أحد العميان أنه قد رأى هذا البريق ، وانطلقت منهما مئات الخيوط الإشعاعية ، من مختلف الألوان ..

ثم تلاشى كل شىء دفعة واحدة ..



ولكن (نور) رفع فوهة بندقيته ، وأطلق أشعتها الساحقة نحو الشيطان ..

تلاشت مركبة (بودون) ..
تلاشت أسطوانة الطاقة ..

وتلاشت (نشوى) ..

وبكل اللوعة والمرارة والهوان فى أعماقها ، صرخت (سلوى) :

— (نشوى) .. ابنتى !!

ثم سقطت فاقدة الوعى ..

أما (نور) فقد تفجّر بركان من الغضب والحزن والسخط والمرارة والألم فى أعماقه دون أن ينبس ببنتِ شفة ..

وكان يعلم بعدم جدوى ما يفعله ، ولكن (نور) رفع فوهة بندقيته ، وأطلق أشعتها الساحقة نحو الشيطان ..

أطلقها مرة .. ومرة .. ومرات ..

و (الشيطان الابن) يُطلق ضحكاته الساخرة الشامتة ..

ثم انهار (نور) ..
لم يعد يحتمل كل هذا ..
لم يعد يحتمل أن يرى مصرع ابنته أمام عينيه هكذا ! ..

وبكل السخرية والشماتة والظفر ، هتف (ابن الشيطان) :

— لم أكن أحلم بانتقام أروع فى الواقـع يا حفيـد (أوزيريس) .. لم أتوقع انتقامًا أفضل من رؤيتك ابنتك تلقى مصرعها أمام عينيك ، حتى ولو انتصرت الأرض ، فلم يعد يعنينى شأنها .

صرخ (نور) :

— أيها الحقير التافه .

واندفع الدكتور (حجازى) يهتف ، ودموعه تغرق عينيه :

— مهما قلت أو فعلت ، فإنك لم تحقّق انتقامك الكامل أيها الملعون .. ربما تكون قد قتلت (نشوى) العزيزة ، أو تسبّبت فى مقتلها ، ولكنها بتضحيتها منحت الأرض فرصة التحرّر .. إنها حرب يا ألعن المخلوقات .. ولكل حرب خسائرها وضحاياها .

أطلق (الشيطان الابن) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

— ولكننى أعتبر هذا انتصارًا ساحقًا أيها الأرضى .. لقد هزمت (نور) فى عقر دارى ، وحطمت قلبه وقلب امرأته ، وقتلت ابنته ، فى نفس الوقت الذى لا يمتلك فيه سلاحًا واحدًا ، يمكنه أن يطلق نيرانًا .

ثم رفع كفيه إلى أعلى ، وهتف :

— لقد هزمته يا أبى .

تراجع الدكتور (حجازى) فى رعب ، عندما ارتجّت القاعة بهدير قوى عنيف ، واندفعت فيها موجة من رياح ساخنة ، كما لو أن بابًا من أبواب الجحيم قد انفتح على مصراعيه ، و (ابن الشيطان) يستطرد فى صوت مخيف :

— هزمته هزيمة ماحقة هذه المرة .. وسأقتله أمام أعين شعبنا كله ..

ارتجّت القاعة بهدير أكثر عنفًا ، وراحت أشكال ملتهبة تنعكس على جدران القاعة ، وصوت (ابن الشيطان) يتصاعد ويعلو :

— امنحنى كل قوتك يا أبى .. امنحنى طاقة هائلة .. أعد إلىّ كل قدراتى .. كل قوتى .

خيّل للدكتور (حجازى) أنه سيفقد وعيه من شدّة الرعب ، عندما بدأت تلك الأشكال المشتعلة تتخذ صورًا بشعة مرعبة ، وكأنما حضرت كل شياطين الكون ، ليشهدوا حفل انتصار سفيرهم فى عالم البشر ، فى حين حمد (نور) الله (سبحانه وتعالى) ؛ لأن زوجته فاقدة الوعى ، وإلّا توقّف قلبها من شدة الرعب ..

وراح الهدير يتضاعف ويتضاعف ، حتى لقد بدت جدران القاعة وكأنها ترتجف فى رعب وفزع ..

وأدنى (ابن الشيطان) راحتيه من بعضهما البعض ، وراحت تتكوّن بينهما كرة من اللهب ، وهو يهتف فى ظفر :

ــ امنحنى القوة يا أبى .. امنحنى إياها .

تعاظم حجم كرة اللهب بين راحتى (ابن الشيطان) ، وتساءل الدكتور (حجازى) كيف أن هذا اللهب لا يؤذى (الشيطان الابن) ، كما تؤذيه النيران ..

واقترب (بعلزبول الصغير) من (نور) ، وهو يردّد :

ــ إنها نهايتك يا حفيد (أوزيريس) .. نهايتك .

ورفع كرة اللهب فوق رأسه ، صارخا :

ــ نهاية صراع أجيال ..

وفجأة انهار باب القاعة ، واندفع عبره آخر من يتوقّع الجميع رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

(س ١٨) ..

* * *

عندما أحاطت الحلقات المتألّقة بـ (س ١٨) ، لم تدرك أجهزته ما هيتها بالضبط ..

إنها مجرّد حلقات ، لا تحوى أية أسلحة ، على الرغم من أنها مشحونة بطاقة هائلة ..

ثم بدأت الحلقات تدور حوله ..

وفى سرعة ، راحت أجهزته تدرس وتحلّل ما يحدث ، لاتخاذ وسيلة الدفاع المناسبة ..

ولكن الحلقات تلاشت ..

كل ما حول (س ١٨) تلاشى ..

ووجد نفسه يسبح فى مجرى عجيب ، أشبه بأثير موسيقى ناعم ..

وفجأة تجسّدت الأشياء مرة أخرى ..

ولكنه لم يعُد حيث كان ..

كان يحيط به جو مختلف ..

جو بدائى عجيب ..

وتوقف (س ١٨) تماما ..

كان عليه أن يفهم أوّلا ما يحدث ..

وبكل همة ونشاط ، أخذت أجهزته تدرس الموقف ..

ومن بعيد ، راح شخص ضخم الجثة يراقب المشهد ، وهو يحمل فأسا حجريًا ..

ثم أخذ هذا الضخم يتسلل فى بطء إلى حيث (س ١٨) ..

ورصدت أجهزة (س ١٨) اقتراب هذا الضخم ، ووضعت صورته ضمن معطيات الأحداث ، لرسم صورة كاملة للموقف ..

واقترب الضخم أكثر وأكثر ..

ولم يتحرّك (س ١٨) ..

وفى حذر ، راح الضخم يتحسّس جسد (س ١٨) البارد ، فى خوف ، ثم لم يلبث أن ازداد جرأة ، مع صمت المقاتل الآلى وسكونه ، فراح يضربه بقبضته فى عنف ، وهو يزمجر فى شراسة ، ويهمهم بكلمات غير مفهومة ..

وتجاهله (س ١٨) تماما ..

كان يعلم أنه خصم تافه ، لن يضيره بشىء ..

ثم إنه كان يحتاج إلى كل طاقته لدراسة الموقف ..

وفجأة أعلنت أجهزته الداخلية فهمها للأمر ..

لقد انتقل عبر الزمن إلى الماضى ..

إنها حالة خاصة للغاية ، وضعها صانعوه كاحتمال بالغ الضآلة ، فى برنامجه الشديد التعقيد ..

ولكنهم وضعوه ..

والآن على (س ١٨) أن يجد الوسيلة المناسبة ، للعودة إلى زمنه ..

وكان هذا — على عكس ما قد يبدو — أسهل خطوة ..

لقد استعادت ذاكرته الإليكترونية كل التغيرات التى مرّ بها ، والتى سجّلتها أجهزته الفائقة الحساسية ، منذ أحاطت به الحلقات المتألّقة ..

تغيرات المجال الكهرومغناطيسى ..

تغيرات الحرارة ..

شدة الطاقة ..

ثم أجرت أجهزته حساباتها فى سرعة ، لعكس الموقف كله ..

وبدأت عملها ..

وتراجع البدائى الضخم الجثة فى فزع ، عندما بدأ أزيز سريع يتصاعد من قلب (س ١٨) ..

ثم تلاشى (س ١٨) بغتة ..

حدّق الضخم فى المكان ، الذى كان يقف فيه (س ١٨) منذ لحظة واحدة ، ثم حكّ رأسه فى حيرة ، وهزّ كتفيه ، ثم عاد يواصل رحلة بحثه عن طعام الغذاء ..

أما (س ١٨) ، فعاد يسبح مرة أخرى ، فى ذلك الأثير الموسيقى الناعم ..

ثم بلغ عصر (نور) ..

بلغه فى نفس اللحظة التى كان (ابن الشيطان) يكوّن فيها كرة اللهب ..

وبحث (س ١٨) عن سيّده فى سرعة ..

وأدرك أين هو ..

وأنه يتعرّض للخطر ..

وكأى شخص آلى ، انطلق (س ١٨) بلا تردد ، لنجدة سيّده ..

واقتحم القاعة الإمبراطورية ..

* * *

لم يكد (نور) يرى (س ١٨) ، وهو يقتحم القاعة على هذا النحو ، حتى انتعش الأمل فى قلبه مرة أخرى ، على عكس (الشيطان الابن) ، الذى تراجع هاتفًا :

ـ اللعنة !

امتزج الارتياح بالدهشة ، فى قلب الدكتور (حجازى) ، عندما تلاشت الأشكال المخيفة الملتهبة ، فور ظهور (س ١٨) ، وهتف :

ـ حمدًا لله .

ومع هتافه أطلق (س ١٨) من صدره شعاعًا أصفر ، أحاط بكرة اللهب ، وراح يدور حولها فى سرعة ، ثم تلاشت الكرة بغتة ، وتهاوت كهشيم ورماد ، فتراجع (ابن الشيطان) فى سخط ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !!

لم تعنِ الكلمة شيئًا لـ (س ١٨) ، الذى واصل قتاله ، فأطلق حزمتين من أشعة الليزر القاتلة نحو (ابن الشيطان) ، الذى استقبلهما بضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ لا تحاول أيها المقاتل الآلى .. لا تحاول .

تجاهل (س ١٨) هذا القول ، وراح يطلق أسلحته المختلفة نحو خصمه ، مستخدمًا الأقوى فالأقوى ..

ثم لم يلبث أن توقّف ..

كان عليه أن يدرس هذا الموقف ، بعد أن تبيّن له أن أسلحته تعجز عن إصابة هذا الخصم ، الذى لم يلتق بمثله من قبل ..

وجلجلت ضحكة (الشيطان الإبن) الساخرة ، وهو يهتف :

ـ أرأيت أيها الآلى .. أسلحتك القادرة على إبادة قارة

کاملة ، تعجز عن هزيمتي .. إنني الأقوى في كل العصور .

راح يكرّرها ويردّدها في زهو جنوني ، حتى صاح (نور) بغتة :

ـــ إنه مجرّد خصم من ورق يا (س ١٨) .. فقط خصم من ورق .

وقبل أن يدرك (ابن الشيطان) ما يعنيه هذا الأمر ، كان (س ١٨) قد أدركه ، وصنّفه ، ووضعه موضع التنفيذ ..

وانطلق من فم (س ١٨) لسان من اللهب ..

لسان ناري أصاب (الشيطان الابن) في صدره تمامًا ..

وصرخ (إبليس الصغير) ..

أطلق صرخة هائلة ، تجمع الألم والمرارة والدهشة والهزيمة في صوت واحد ..

وراح جسده يشتعل ..

ونهض (نور) في بطء ، وهو يكرّر :

ـــ نعم .. هو مجرّد خصم من ورق .

وهتف الدكتور (حجازى) :

ـــ يا إلهي !.. إنك عبقري بحق يا (نور) .. الآن فقط



وقبل أن يدرك (ابن الشيطان) ما يعنيه هذا الأمر ، كان (س ١٨) قد أدركه ، وصنّفه ، ووضعه موضع التنفيذ

فهمت .. لقد أخبرت (س ١٨) أن هذا الملعون مجرّد خصم من ورق ، فاستخدم (س ١٨) على الفور أقوى سلاح ضد الورق .. النيران .. يالك من عبقرى !

ولكن (ابن الشيطان) راح يصرخ وهو يحترق :

ـ ولكنكم لم تنتصروا بعد .. حتى هذا اتخذت حذرى منه .. أتعلم ما سيحدث مع هزيمتى ؟.. ستنفجر قنبلة من قنابل (جاما) فى جو كوكب الأرض .. قنبلة من تصميمى أنا ، ومن صنع تكنولوجيا (جلوريال) .. أتدرك تأثير هذه القنبلة ؟.. لن تدركه بالتأكيد .. كل سكان الأرض سينسون حضارتهم السابقة تمامًا .. سيفقد كوكبك قرونًا من التقدّم والحضارة .. ستعودون إلى الوراء .. إلى الوراء .. إلى الوراء .

تلاشت كلماته مع تلاشى جسده ، عندما تحوّل إلى لسان من النار ، خبا فى سرعة ، تاركًا خلفه ذلك القرص الملعون ..

وفى نفس اللحظة دوى انفجار مكتوم ..

انفجار قنبلة (جاما) ..

* * *

١٥ ـ الختام ..

تنهّد الدكتور (حجازى) فى عمق ، وهو يتطلّع إلى نقطة مشتعلة ، تبتعد فى سرعة كبيرة عن الأرض ، وقال :

ـ ها هى ذى آخر سفن المحتلين ، ترحل عن كوكبنا ..

لم يتلق جوابًا من (نور) ، الذى جلس صامتًا ، يستند بجبهته إلى راحته ، وقد كسا الحزن ملامحه كلها ، فأضاف فى خفوت :

ـ هل يمكننا أن نعتبر هذا نصرًا يا (نور) ؟

رفع (نور) إليه عينيه الحزينتين ، وهو يسأله :

ـ أخبرنى أوّلًا يا دكتور (حجازى) ، كيف حال (سلوى) و (محمود) ؟

أجابه الدكتور (حجازى) متعاطفًا :

ـ زوجتك تعانى انهيارًا عصبيًّا حادًّا يا (نور) ، بعد أن شاهدت مصرع ابنتكما بعينيها ، وستحتاج إلى وقت طويل ، قبل أن تسترجع طبيعتها ، و (رمزى) يشرف على علاجها بنفسه ، أما (محمود) فسيتعافى بسرعة بإذن الله .

ثم جلس إلى جواره مستطردًا :

ــ لقد كان حظ فريقنا أفضل كثيرًا من حظ باقى سكان الأرض ، فلقد أنقذتنا جدران السفينة الإمبراطورية من تأثير قنبلة (جاما) ، أنت و (سلوى) وأنا ، وكذلك نجا (محمود) والفريق الطبى ، لوجودهم داخل مخبأ المقاومة السرى ، ذى الجدران العازلة ، وأيضًا (رمزى) و (سلوى) ، داخل محطة البث العامة ، المعدّة لاحتمال هجوم نووى ..

وتنهّد مرة ثانية ، قبل أن يتابع :

ــ وكأنما انتخبنا القدر من بين الدنيا كلها ، لنظل محتفظين بعقولنا وحضارتنا وعلومنا .

تمتم (نور) :

ــ ربّما كان هذا أيضًا من أجل الأرض .

غمغم الدكتور (حجازى)

ــ ربّما .

ران عليهما الصمت لحظات ، قبل أن يقول (نور) فى مرارة :

ــ ولكن الخسائر كانت فادحة .

ربّت الدكتور (حجازى) على كتفه ، وقال مشفقًا :

ــ أعلم هذا يا (نور) .. والداك .. ابنك .. (فارس) .. القائد الأعلى .. الدكتور (عبد الله) .. وغيرهم .. وغيرهم .. لقد خسرنا الكثير مما نحب وممن نحب يا (نور) ، ولكن هكذا الحروب ، يخسر فيها المرء دومًا أكثر مما يربح .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ــ مهما كانت نتائجها ..

* * *

تطلّعت (مشيرة) إلى (سلوى) النائمة فى إشفاق ، وهمست تسأل (رمزى) :

ــ أتظنها ستشفى ؟

أجابها فى خفوت :

ــ بالتأكيد .. إنها مسألة وقت فحسب .

سألته :

ــ هل يمكن أن تنسى ابنتها ؟

أجابها فى حزم :

ــ مستحيل !

وبكت كلماته ، وهو يستطرد :

لن تنساها أبدا .

شعرت بغيْرة تتسلّل إلى أعماقها ، وهى تسأله :

ـ أكنت تحبّها حقًا .

تنهّد وأجاب :

ـ نعم .

انخفض صوتها ، وهى تهمس :

ـ وماذا عنّى أنا ؟

تطلّع إليها لحظة فى صمت ، ثم رفع رأسه إلى أعلى ، وغمغم :

ـ سيحتاج هذا إلى بعض الوقت .

تأبطت ذراعه ، وأسندت رأسها إلى كتفه ، وهى تهمس فى حنان :

ـ سأنتظر .

لم ينبس ببنت شفة ..

ولم تشعر هى أيضًا بالرغبة فى الحديث ..

كانت هذه اللحظة تكفيها ..

وكانت تعلم أنه يحتاج إلى وقت طويل ..

لينسى ..

وليحب ..

وعليها أن تنتظر ..

مهما طال الأمد ..

* * *

فجأة قطع الدكتور (حجازى) حبل الصمت ، وهو يسأل (نور) :

ـ قل لى يا (نور) : أين وضعت القرص الشيطانى هذه المرة ؟

أشار (نور) إلى (س ١٨) ، الذى يقف ساكنًا ، وأجاب :

ـ هناك .. فى قلب (س ١٨) .

تطلّع الدكتور (حجازى) إلى (س ١٨) ، وابتسم قائلاً :

ـ أظن أنه ما من مكان آمن ، أعظم من هذا .

وعاد يتطلّع إلى السماء لحظات ، ثم سأل (نور) فى اهتمام :

ـ أخبرنى يا (نور) : بعد كل ما فقدناه ، ومن

فقدناهم ، وبعد ما أصاب سكان الأرض من تخلف فكرى وانحطاط حضارى ، ومع رحيل المحتلين ، هل يمكننا أن نطلق على هذا اسم النصر ؟

أجابه (نور) :

ـ إننا أحرار الآن يا دكتور (حجازى) ، ومع كل ما ستعانيه الأرض ، بعد آثار قنبلة (جاما) الرهيبة ، سيبقى هناك الأمل فى أن تستعيد كل حضارتها وعلمها .. صدّقنى يا دكتور (حجازى) ، حريتنا وحدها تستحق أن نطلق على ما حدث هذا الاسم بكل فخر واعتزاز .. النصر ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٣٢١٥

المطبعة العربية الحديثة
٨ شارع ٤٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة ـ تليفون ٨٢٦٢٨٠

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

النصر

- ترى هل ينجو (نور) من الموت ، في أعماق المحيط الأطلنطي ؟
- ما سر الإمبراطور (أغرو) ؟ وما مصير قائد الجيوش (كوماند) ؟
- من ينتصر في الجولة الأخيرة من الصراع ؟.. ومن يحوز (النصر) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه ، من أجل الأرض .

٨٠

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : رمز القوة